جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام



تأليف الأستاذ : عبد المعطى اسماعيل عبادة

يشرف على إصدارها

محمد توفيق عويضة

القاهرة
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

رقم الكتاب ١٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل

قرآن كريم

بنـــاة الـــدين فى أمجـــاده	ودعـــاة الحـــق فى تبيـــانه
وأباة الضـــيم فى عـــدوانه	وأســـاة الضعف فى أرجـــائه
ورعـــاة الرأى فى ظلمـــائه	وحمـــاة العـــزم فى عليـــائه
صـــلاة الله فى رضـــوانه	وسلامه للمجتبى من رســـله



إهـــداء

الى ساحة « أولى العزم » من رسل الله ، اعلام الهـــدى ، وباعثى النهضة الكبرى فى الدين والدنيا .

اهدى هذا القبس من هدى رسالاتهم المقدسة وهداها .

المـــؤلف



مقدمة

المحمود الله ، والمصلى عليهم أولو العزم من رسل الله وبعد ..
فقد عكفت على هدى رسل الله بعامة ، وأولى العزم بخاصة :
قراءة وتدوينا . وبين يدى ما دونت كلمة فاردة عن محمد رسول
الله خيرة الله من خلقه نشرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ ١٤ من مارس سنة ١٩٦٨ م
فى كتاب مستقل بها .

ثم عن لى أن أزيدها بسطة تكسوها حلة الوفاء . وأن يجمع
ما كتب عن أولى العزم كافة كتاب واحد .

وانى لراج أن يجعل الله ما قدمت وما أخرت مقبولا ، وأن
يهدينا سواء السبيل !

المؤلف



تقـديم

بقلم فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر ((السابق))

الحمد لله والصلاة والسلام على ســادتنا انبيــاء الله وعلى زعمائهم أولى العزم من الرسل وعلى خاتمهم وأشرفهم سيدنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته وســار على نهجه الى يوم الدين ..

أما بعد فان القدوة ذات أثر فعال فى نفوس النــاس كافة ، وبخاصة الشباب منهم وهى غريزة طبعوا عليها .

وأنبياء الله ورسله المصطفون هم الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، والمثل العليا التى جعلها الله للناس بسبيل الهداية ، ومنار الرشاد ، يحتذونها ، وينسجون على منوالها ، ويســيرون فى ضوئها .

ونحن الآن فى عصر وقف فيه بعض الطوائف أنفســهم على محاربة العقائد ، والنيل منها ، واذاعة المفاسد ، والأخذ بيدها .

ولكن الايمان — والله المحمود — يمزقها شر ممزق ، ولا شىء يدعم الايمان كالنظر فى جهاد أنبياء الله ورسله ، وهم أئمة القادة المخلصين .

ولا ريب أن الوحدة التى ندعو اليها فى عصرنا هذا :

وطنية ، وعربية ، واسلامية ، وانسانية أساس أصله ثابت وفرعه فى السماء لوحدة الصفوف .

وان مرجع هذه الوحدة ومصــدرها فى كل حين هو التــأمل فى رسالات المرسلين ، والوقوف عند العظات والعبر منها .

ووحدة الاله العلى العظيم الذى أرسل المرسلين جميعا جعلت رسالات السماء مشتركة فى مبادىء واحدة بين يديها «التوحيد».

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » .

ولا تكمل عقيدة المسلم الا اذا آمن باليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، والأنبياء جميعا ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وتحلى بمكارم الأخلاق .

بهذا دعت الآيات والأحاديث النبوية الشريفة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنـون ، كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » .

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

ويقول الرسول الكريم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فجمله وحسنه ، وزينه الا موضع لبنة فيه ، فكان كل من رأى البيت يقول : ما أجمله ! .. ما أحسنه ! .. لو وضعت فيه هذه اللبنة ، فانا اللبنة ، وانا خاتم النبيين .

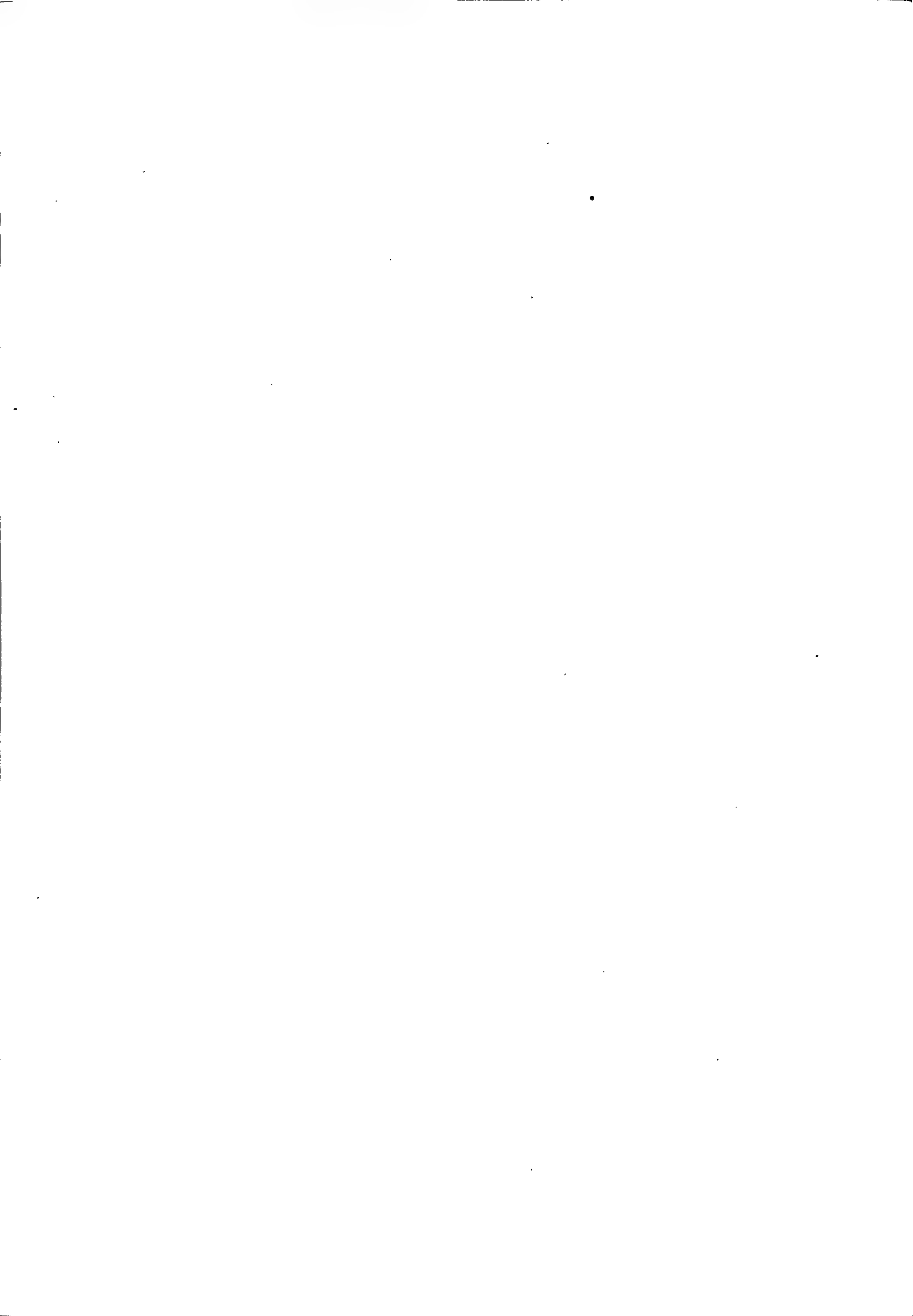
وان التوعية ، التى تبنى العقول ، وتضىء جوانب النفوس ، وتزكى نواحى الأرواح لهى الغذاء الفكرى والعقلى ، تدعو اليها الحياة الرفيعة ويهيب بها الدين الحنيف أبدا .

وهذا الكتاب الذى يجده القـارىء بين يديه هو غـذاء هذه المبادىء جميعا ، بما قدم من التصوير الواعى لقادة الرسـل وأولى العزم منهم لمؤلفه الفاضل الأسـتاذ الكبير عبد المعطـى اسماعيل عبادة ، الذى قضى بتوفيق الله ما مضى من سنى حياته المباركة بفضل الله مجاهدا فى سبيل العلم ، موجهـا للأساتذة والمربين ، حارسا لغة التراث العربى والقرآن فى وزارة التربيـة والتعليم ، وقد صار له بحمد الله من وراء قراءاته الواسعة ، توجيهاته النافعة البناءة خبرات مثمرة ، دانية القطوف .

وهذا الكتاب « أولو العزم من الرسـل » ثمرة ناضجة لذلك كله ، يسرنا أن نقدمه لجماهير المسلمين ، ويسعدنا أن يجدوا فيه اتصالات بمبادىء القدوة الحسنة .

وانا لنهيب بأبنائنا الكتاب المسلمين أن ينحوا مناحى استجلاء العظمة فى حياة من زكاهم الله من الأنبيـــاء والمرسلين ، ومن صديقيهم وتابعيهم باحسان .

نسأل الله أن يتقبل هذا العمل الجليل من المؤلف الفاضل بقبول حسن ، وأن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان ..



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم المربى الكبير الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية والعميد السابق لكلية دار العلوم .

لله وحده الحمد فى السموات والأرض ، وفى الأولى والآخرة ، وعلى رسله الطاهرين ، و « أولى العزم » المقربين أزكى الصلاة والسلام .

أما بعد ، فطالما تمنيت أن أرى بين كتب الثقافة الاسلامية كتابا يعالج حياة الرسل علاجا علميا يجلو أمامنا ما لقيه هؤلاء من صعاب ، وما احتملوه فى سبيل تأدية رسالاتهم من اضطهاد ، وثلب ، وبؤس ، وعذاب ، فما زاغت منهم عقيدة ، ولا وهنت لهم عزيمة ، بل صبروا ، وصابروا ، واستعذبوا كل ألم ، وتجلدوا لكل مكروه ، لأن نفوسهم زاكية صافية ، وعقولهم راجحة ، وهم المثل العليا نورا ، وهدى ، وقادة المجاهدين لنشر الدعوة ، ودعم الايمان ، والوحدة منشؤها التأمل فى تلك الرسالات ، وما لها من عبر وعظات أساسها التوحيد .

كان تأليف مثل هذا الكتاب من أعز الأمانى التى تجيش فى صدرى منذ زمن طويل ، حتى جاءنى الصديق الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عبادة وأسمعنى صفحات كثيرة من كتاب له لم يطبع بعد ، هو « أولو العزم من الرسل » .

ولقد رأيت فى كتابه هذا ما شفى غلتى ، وحقق أمنيتى ، وملأ فراغا كانت المكتبة العربية الاسلامية فى اشد الحاجة الى ان تملأه .

وانى لأتطلع فى شغف الى ذلك اليوم الذى أرى فيه هذا الكتاب منشورا بين أيدى القراء فى طبع أنيق ، واخراج حسن .

على أنه مما أسعدنى أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ عبادة ، فانى أعرف عن يقين ما امتاز به الأستاذ من سعة الاطلاع ،

ودقة البحث ، وحسن الاختيار ، والقدرة على تجميع الحقـــائق للوصول منها الى نتائج لا يأتيها الباطل ، ولا يتطـرق اليهـــا شكوك ، أو ريب .

وما من شك فى أن هذا الكتاب سيكون مزدحم الرواد من طبقات المتعلمين ، وذخيرة الراغبين من المثقفين ، لأنهم سوف يجنون منه فوائد عظمى بفضل ما يعرضه من أمثال رائعة فى الصبر ، والجلد ، والمثابرة فى سبيل تحقيق المبادىء الســامية ، والقيم الانســانية .

ولم يكن العرب والمسلمون بأشد حاجة الى التذرع بالصبر ، والعزم منهم الآن ، وبخاصة فى هذه المرحلة التى نجتازها اليوم .

والله أسأل للكتاب حسن القبول ..

ولمؤلفه حسن المثوبة ..

تقديم

بقلم فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أمين النواوى

المدير العام للتعليم الثانوى بالأزهر
والأستاذ بالدراسات العليا بجامعة الأزهر

الحمد لله الذى هدانا بهدايته الى سنن المرسلين ، وسبيلهم الأغر القويم متمثلا ذلك فى قصصهم العظيم الذى نوه الله سبحانه به فى كتابه الكريم اذ يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

وقال سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وخاتما لأولئك النبيين والمرسلين فسار على هديهم وسننهم تباعا لقول الله سبحانه وتعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

وبعد فقد طالما كنا نتشوق ولا نزال نتشوق أن نطلع على كتاب يبين لنا تاريخ هؤلاء الأنبياء الصالحين ، أو جانبا من تاريخهم صلوات الله عليهم أجمعين .

وطالما كنا نتشوق الى مؤلف متقن ، صاف خالص ، صادق فى شأن أعز الخلق على الله وأعظمهم شأنا عند الله نهتدى به الى السلوك القويم ، ونسير به على جادة الصراط المستقيم بدلا من تاريخ شكسبير ، ونابليون ، وجان جاك روسو وغير هؤلاء ممن لا يفيد التعرف الى تاريخهم دينا ، ولا خلقا .

ونحن أحوج ما نكون الى ما يقوم أعوجاج شبابنا وينهض بأخلاقنا ، وأخلاق أبنائنا .

وكنا نتعطش فى هذا المؤلف أن يكون متجردا من تلك الخرافات وهاتيك الاسرائيليات التى ملأت أدمغة كثير من الجاهلين الذين

هم عن الصراط ناكبون بما تضاعف جهـالاتهم ، وتتراكم نكباتهم وتنكباتهم .

تالله لقد كانت تلك أمنيتنا حتى رأينا بعض المصلحين وهب لها النفيس من عمره ووفر عليها الساعات الغالية من حياته .

ورأينا من بين هؤلاء ذلك الرجل الذى طلع علينا بكتابه القيم العظيم ولم يكن لنا به ورب الكعبة سابق معرفة من قبل الا بهذا الكتاب ، وفى هذا الكتاب .

فحين رايته تلفقته من يده تلقف الضالة المنشودة ، وضممته الى صدرى ضم الحبيب الى اعز الأحبة .

ذلك حينما لمست فيه تحقيق تلك البغية ، وتوفير تلك الرغبة .

وقد تصفحت الكتاب فوجدت فيه طائفة بعيدة المنال على غير الأفذاذ من الرجال ، اذ انما هى فنون صادقة ، وعروض بينة واضحة لا تشوبها شائبة ، تطمئن اليها كل نفس مؤمنة ، وتسير على نهجها الذى هو خير لهم فى الانسانية .

والكتاب يتعرض لأولى العزم الخمسة من الرسل الذين بينهم الله تعالى فى كتابه بقوله : « واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنـك ، ومن نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ، واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

وهو يعرضها عرضـا على قسطاس مسـتقيم ، بلا لغو ، ولا اسفاف ، ولا اخلال ، ولا اجحاف ، فيذكر عن كل واحد من هؤلاء الصفوة مولده ، ونشأته ، وصـلته بمن حوله وما قام به حيال رسالته ، وما قابل به كل صدمة من صبر ، وتسليم ، وكفاح مستديم . وهو مثابر لا يفتر ، ولا يهن ، ومن ورائه قوة الله ، وقدرته ، ومعونته ، ونصرته التى منحهـا عباده المرسـلين ، ووهبها لجميع المصلحين الصادقين ، كما يقول سبحانه فى كتابه: « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون » .

ويقول سبحانه : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيـاة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد ضاعف قيمة هذا الكتاب منزلة فوق منزلته أنه يخص خاتم هؤلاء الرسل صلوات الله عليه بحصيلة كبيرة ، ومجموعة جليلة ينشدها كل مسلم ، فان سيرته صلى الله عليه وسلم تجمع سيرهم ، وهى المثل الأعلى ، فكل ناشد سبيل الحق والهدى وهى وصية الله لعباده المؤمنين فى كتابه الكريم اذ يقول : « لقد كان

ولقد عنى بها أكرمه الله أكرم عناية ، فان النفع بها أكثر ، وذكر الله كثيرا » .

ولقد عنى بها أكرمه الله أكرم عناية ، فان النفع بها أكثر ؛ والفائدة فيها أجل وأعظم .

ففى الحق ما أحرى هذا التوجيه العظيم أن يكون نبراسا لكل مصلح ، وأسوة لكل حريص على مجد شعبه ، ووطنه ، واصلاح ما فسد فى أمته ، أو فى غير أمته ، قياما بواجب الانسانية ، وزكاة للطاقات الحيوية ، فان الله سائل كل انسان عما منحه من نعمة ، ومستوجب عليه حق الشكر على كل منة .

فحبذا مجهودك يا عبد المعطى اسماعيل عبادة وسبحان الله الحق المعطى .

وهلم أيها الشباب فارتشفوا من هذا الخضم العباب ، وهلم أيها المصلحون فهـذا بغيتكم ، وخير ما تنشـدون حتى ينجع اصلاحكم ، وتستقيم وسائلكم .

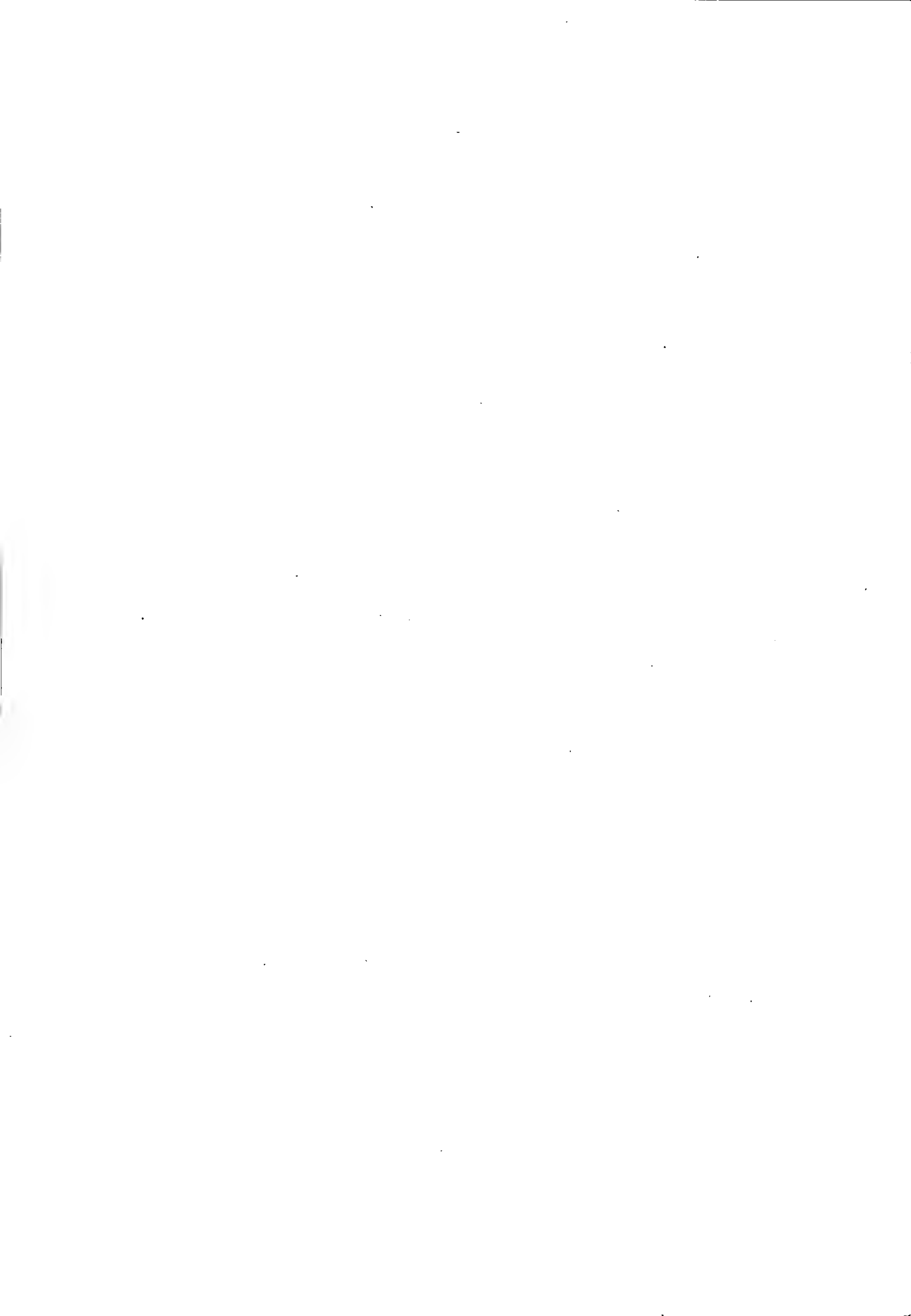
والله ولينا ، ووليكم ، وولى كل من يقدم خيرا لأمته ، ويبذل نصحا صادقا لجماعته فى أى لون من ألوان النصـح ، واسداء الخير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو مولانا ونعم المولى ، ونعم النصـير .



« ١ »

نُوحٌ

عليه السلام رسول الله
وصانع الفلك بأعين
الله ووحيه



— ١ —

نوح عليه السلام بن لامك

مما أنبأنا به التاريخ القديم أن نوحا عليه السلام ولد وعاش فى حاران التى دعيت فيما بعد حوران بالجزء الشمالى الغربى من المملكة الأردنية الآن .

عبادة لأصنام :

وقد اختار الله نوحا عليه السلام من بين قومه — وقد عكفوا زمنا طويلا على عبادة الأصنام يلتمسون خيرها ، ويتخذونها مدرأ للشر ، لا يذرون عبادة ود ويسوع ويغوث ويعوق ونسرا .

كان « نوح » فصيح اللســان :

وكان فصيح اللسان ، واضح البيان ، واسع الصدر ، راجح العقل والرأى ، صبورا على الجــدل . فأنذرهم بطش الله ، ورغبهم .

رأى قومه فيه :

فى حسن ثوابه ، فعتوا عن أمر ربهم ، وعموا ، وصــموا ، ورأوا أن نوحا واحد منهم ، لا يمتاز عليهم بفضل من الثروة أو الجاه . وما هو بملك بعثه الله لهدايتهم ، وعجبوا أن جــاءهم منذر منهم « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، ولتتقوا ولعلكم ترحمون » ، ولم يؤمن به الا شرذمة(١) قليلون .

مثابرته على الدعوة

سر الكون والحياة

ثابر على دعوتهم ليلا ونهارا ، وسرا واعلانا ، وأراهم بديع صنع الله فى خلقه ، وسر الكون والحياة ، « جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا(٢) ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا »

البراهين والحجج

ماذا طلبوا من « نوح » ؟

رد « نوح » عليهم :

وظل يقيم البراهين ، ويبسط الحجج للسادة والأشراف منهم وهم يتظاهرون(٣) على الاستهزاء به ، والسخرية منه ، ثم أمعنوا فى الجدل ، وقالوا : يا نوح أن أتصيت هؤلاء الأوزاع(٤) وأبعدتهم عنك فقد فتحت لنا باب الهداية والايمان بك . فقال لهم : كيف أقصى قوما آمنــوا برســالتى ، وقاموا بنصرتى وما لقيت منكم الا النكران ؟ وماذا يكون موقفى أمام خالقى اذا خاصــمونى وشكونى اليه ؟

---

(١) الشرذمة : الجماعة القليلة من الناس .
(٢) استغشوا ثيابهم : تغطوا بها .
(٣) يتظاهرون : يتعــاونون .
(٤) الأوزاع : الأخلاط من الناس .

وبين لهم أنه لا يطلب بدعوته جاها ، ولا مالا ، وانما أجره عند الله تعالى ، يا قوم انى أراكم قوما تجهلون .

قال تعالى فى سورة « هود » :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا(١) بادى(٢) الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل . بل نظنكم كاذبين » ٢٧ قال : يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت(٣) عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟ ٢٨ ، ويا قوم لا أسـألكم عليه مالا ان أجرى(٤) الا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملاقوا ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون(٥) ٢٩ ، ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ٣٠ ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقـول : انى ملك ، ولا أقول للذين تزدرى(٦) أعينكم : لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم ، انى اذا لمن الظالمين » ٣١ .

« نوح » يجتهد فى دعوتـه

جهـد « نوح » وصـبره :

بذل نوح عليه السلام غاية جهده فى دعوة قومه ، وصبر صبرا جميلا على ايذائهم ، ومد لهم حبل الرجاء حتى لا تكون لهم حجة على الله بعد الرسل . وطال به الزمن وهو يغاديهم ويراوحهم بالنصح والارشاد فما زادهم الا نفورا ، واستكبارا فى الأرض ، ومكر السيىء ، وتبرموا(٧) به ونالوه بالأذى ، وأمعنوا فى مراوغته فلم يصدع(٨) ذلك صفاة حلمه ، بل ضرب لهم الأمثال ، ووجه نظرهم الى صنع الله تعالى ورعايته لهم فى أدوار حياتهم الجنينية، وحياتهم فى الدنيا ، وأن من أنشأهم قادر أن يعيدهم ويجازيهم ، فأعرضوا عنه ، واتبعوا خطأ بعض كبرائهم ، فما زادهم الا خسارا، « قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٣٢ ، قال انما يأتيكم به الله ان شاء ، وما أنتم بمعجزين ٣٣ ، ولا ينفعكم نصحى أن أردت أن أنصح لكم . ان كان الله يريد أن يغويكم(٩) هو ربكم واليه ترجعون » .

تبرمهم به : حلمـه :

رعاية الله لهم :

اعراضـهم عنه :

---

(١) أراذلنا : أخساؤنا ، جمع أرذل ، وهو الردىء الدون .
(٢) بادى الرأى : من غير تعمق فى الفكر .
(٣) فعميت عليكم : فأخفيت عنكم .
(٤) ان أجرى الا على الله : ما أجرى الا على الله .
(٥) تجهلون : تجهلون أقدارهم المعنوية .
(٦) تزدرى أعينكم : تحتقر أعينكم .
(٧) تبرموا به : سئموه .
(٨) لم يصدع ذلك صفاة حلمه : لم يخرجه عن حلمه ، الصفاة : الصخرة الملسـاء .
(٩) أن يغويكم : أن يضلكم .

قال تعالى فى سورة نوح :

« انا أرسلنا نوحـــا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم ١ ، قال : يا قوم انى لكم نذير مبين ٢ ، ان أعبدوا الله واتقوه وأطيعون ٣ يغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم الى أجل مسمى ، ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤ ، قال : رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا ٥ فلم يزدهم دعائى الا فرارا ٦ ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا(١) ثيابهم ، وأصروا(٢) ، واستكبروا استكبارا ٧ ، ثم انى دعوتهم جهارا(٣) ٨ ثم أنى اعلنت لهــم وأسررت(٤) لهم أسرارا ٩ فقلت استغفروا ربــكم أنه كان غفارا ١٠ يرســل السماء(٥) عليــكم مدرارا(٦) ١١ ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعــل لكم جنات ، ويجعل لــكم أنهــارا ١٢ ، ما لــكم لا ترجون(٧) لله وقــارا ١٣ وقد خلقكم أطوارا(٨) ؟ ١٤ .

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا(٩) ١٥ وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا١٦ والله أنبتكم(١٠) من الأرض نباتا ١٧ ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ١٨ ، والله جعل لكم الأرض بساطا ١٩ ، لتسلكوا منها سبلا(١١) فجاجا ٢٠ قال نوح : رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ٢١ ، ومكروا مكرا كبارا(١٢) ٢٢ ، وقالوا : لا تذرن(١٣) آلهتكم ، ولا تذرن ودا(١٤) ، ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ٢٣ ، وقد أضلوا كثيرا . ولا تزد الظالمين الا ضلالا ٢٤ » .

يأس نوح من هداية قومه

كاد صبر « نوح » ينفـد :

يئس نوح عليه السلام من ايمان قومه ، وكاد صبره ينفد بعد خمسين وتسعمائة سنة أقامها بينهم يدعوهم الى عبادة الله وحده .

نصحه وارشاده :

ونبذ ما يعبدون من دونه ، ولم يألهم نصحا وارشادا .

---

(١) استغشوا ثيابهم : تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الى .
(٢) أصروا : ألحوا وتشددوا فى التمسك به .
(٣) جهارا : علانية .
(٤) أسررت : أخفيت .
(٥) يرسل السماء : يرسل السحاب أو المطر .
(٦) مدرارا : كثير الدرور .
(٧) لا ترجون لله وقارا : لا تأملون له توقيرا وتعظيما .
(٨) وقد خلقكم أطوارا : خلقكم طورا بعد طور ، فقد كنتم أولا من العنــاصر الأرضية ، ثم مركبات تغذى بها الانسان ، ثم أخلاطا ، ثم نطفا ... الخ .
(٩) طباقا : جمع طبقــة .
(١٠) أنبتكم من الأرض نباتا : أنشأكم منها .
(١١) سبلا فجاجا : طرقا واسعة .
(١٢) كبارا : كبيرا جــدا .
(١٣) لا تذرن : لا تتركن .
(١٤) ودا ... الخ : أسماء أصنام .

قال تعالى فى سورة هود : « وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ٣٦ » .

وابتهل الى الله بالدعاء عليهم فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا(١) ، ٢٦ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا(٢) كفارا » ٢٧ — من سورة نوح .

نوح عليه السلام يصنع السفينة

استجاب الله دعاء نوح عليه السلام ، وأوحى اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا لينجو هو ومن آمن به من الغرق . فاتخذ لذلك مكانا قصيا ، وأخذ يصنعها ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، فقالت طائفة منهم ، أزهدت يا نوح فى الرسالة ، ورغبت فى النجارة ؟

قوم نوح يسخرون منـه :

وقالت طائفة أخرى : لماذا اتخذت لسفينتك هذا المكان بعيدا عن الماء ؟ أيجرها الثيران بعد أم يحملها الهواء ؟ فمر على استهزائهم مر الكرام على لغو الكلام ، وقال : « ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٣٨ ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » ٣٩ .

لم يكترث « نوح » لاستهزائهم به :

نوح أتم صنع سفينته

ظهور آيات الله:

أقام نوح ألواح السفينة ، ووصل أجزاءها حتى اذا ظهرت آيات الله ، وجاء أمره ، وفار تنور أهله ، وانبثق الماء فيه ، وتفجرت عيون الأرض ، وأصابها وابل من السماء ، وبلغ السيل الزبى أسرع نوح فأدخل فى سفينته من كل زوجين اثنين ، وحمل اهله الا زوجه ، وكان المؤمنون به قليلين ، قيل : ستة ، وقيل : أربعون رجلا وامرأة .

« نوح » ينفذ أمر ربه :

المؤمنون بنوح :

وحملت المياه السفينة ، ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فلم يأبه لأبيه الرحيم ، وقال : « سآوى الى جبل يعصمنى من الماء » ، وصار هو ومن معه يصارعون الأمواج والأمواج تصرعهم ، ويغالبون الموت والموت يغلبهم حتى أنجز الله وعده فغرقوا جميعا . وسارت السفينة باسم الله مجريها ومرساها .

« نوح » ينـادى ابنـه :

انجاز الله وعده :

---

(١) ديارا . أحدا وهو مما يستعمل فى النفى العام .
(٢) فاجرا : فاسقا منبعثا فى المعاصى .

أولاد « نـوح » عليه السلام :

هم سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج . ويام الذى غرق فى الطوفان .

نوح عليه السلام يستشفع فى ابنه

« نوح » يستنجز وعـد الله

توجه نوح عليه السلام الى ربه يستنجز وعده بنجاة أهله . فقال:رب ان ابنى من أهلى،وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين» فأوحى الله اليه : يا نوح انه ليس من أهـلك لقـد حقت عليه كلمة الكفر . أما أهلك فهم المؤمنون بك ، المستجيبون لدعوتك ، المصدقون برسالتك . وهم الذين وعدتك بنجاتهم . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

من هم أهل «نوح»

بلوغ السـفينة غايتهـا

جبل « الجودى » :

ثم بلعت الأرض ماءها ، وأقلعت السماء ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت السفينة على جبل الجودى من ديار بكر ، ويسمى فى التوراة : أراراط ، وخرج من فيها ، وبارك الله فيهم فكثروا وملأوا الأرض ، قال تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » .

قال تعالى فى سورة هود :

واصنع الفلك بأعيننـا(١) ووحينا(٢) ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون ٣٧ . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ٣٨ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليـه عذاب مقيم ٣٩ ، حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور(٣) قلنا : احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معـه الا قليل ٤٠ ، وقال : اركبوا فيها باسـم الله مجريها(٤) ومرساها ان ربى لغفور رحيم ٤١ ، وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان فى معزل(٥) : يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ٤٢ قال : سـآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال : لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٤٣ وقيل : يا أرض ابلعى

---

(١) بأعيننا : تحت رعايتنا .
(٢) ووحينا : بارشـاد وحينـا .
(٣) فار التنور : نبع الماء من الفرن على طريق الاعجاز .
(٤) باسم الله مجريها ومرساها : باسم الله وقت جريها وارسائها ، أو مكانهما .
(٥) فى معزل : فى مكان عزل نفسه فيه عن أبيه .

ماءك ، ويا سماء أقلعى(١) ، وغيض المـاء(٢) . وقضى الأمـر ، واستوت(٣) على الجودى وقيل : بعدا للقوم للظالمين ٤٤ . ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابنى من أهلى ، وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ٤٥ ، قال : يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين ٤٦ ، قال : رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ٤٧ ، قيل : يا نوح اهبط(٤) بسلام منا وبركات عليك(٥) ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم(٦) ثم يمسهم منا عذاب أليم ٤٨ » .

طوفان نوح

عمـومه : يميل بعض العلماء الى أن طوفان نوح عليه السلام قد عم الكرة الأرضية ، وترى ذلك طائفة من علماء الجيولوجيا ، قائلين : انا وجدنا فى أعالى الجبال بقايا حيوانية من الأحياء لا تعيش الا فى الماء ، واستدلوا بذلك على وجود طوفان على هذه الجبال ، بل على وجود كثير من الطوفانات ، لأن فى هذه البقايا اختلافا فى العمر ، وقد يكون طوفان نوح عليه السلام واحدا منها .

خصـوصه : ويرى فريق آخر أن الطوفان كان على الجهة التى سكنها نوح وقومه ، أما بقية الكرة الأرضية فلم يعمها هذا الطوفان .

زعم الهند : ويستأنسون لذلك بأن الهند يزعمون أن تاريخهم الماضى أبعد مما قدرت التوراة لنوح وطوفانه .

وما يدرينا ، فلعل نوحا كان أبعد مما زعم الهند .

القـرآن الكريم

ما ذكره القـرآن الكريم : وليس فى القرآن الكريم نص فى هذا ، فكل ما ذكره أن قوم نوح عصوه فأغرقهم الله بالطوفان ، ونجى نوحا ومن آمن به فى الفلك ، وجعل ذريته هم الباقين .

الترجيـح : وكلا الرأيين محتمل ، بيد أن عدم انتشار النوع الانسانى فى

---

(١) أقلعى : أمسكى ، وكفى .
(٢) غيض الماء : نقص ، أو تسرب تحت الارض .
(٣) استوت على الجودى : استقرت على جبل الجودى .
(٤) اهبط بسلام منا : أنزل من السفينة بسلام منا ، أو مسلما عليك منا .
(٥) وبركات : وزيادات فى رزقك ونسلك .. الخ .
(٦) وأمم سنمتعهم : وممن معك أمم سنمتعهم فى الحياة ، ثم يمسهم منا عذاب أليم .

جميع الكرة الأرضية ، وانحصاره فى الناحية التى عمها الطوفان وأنهم قد هلكوا ، وبقى نوح وذريته : يرجح خصوصه .

أين جبل الجودى ؟

جبل الجودى فى نواحى ديار بكر من بلاد الجزيرة ، وهو يتصل بجبال ارمينية .

وفى القاموس المحيط : والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، ويسمى فى التوراة — **اراراط** — .

وفى التوراة : ان نوحا عليه السلام قد عاش فى الأرض التى رسا عليها فلكه جبل الجودى بالجزيرة ، مشتغلا بالفلاحة .

أطفال الآثمين من قوم نوح

قد لا تصيب النقمة الظالمين خاصة :

قد لا تصيب النقمة الظالمين خاصة « **واتقوا فتنة لا تصيبن** الذين ظلموا منكم خاصة » .

مضاعفة عذاب الكافرين :

وان علم هؤلاء الكافرين بهلاك أطفالهم معهم جعل عذابهم مضاعفا ، وقد كان ذلك اشد تنكيلا بهم .

سفينة نوح عليه السلام

لم ينص القرآن الكريم على حجم سفينة نوح وأبعادها ، وانما وصفها بأنها الفلك المشحون وبأنها ذات الواح ودسر .

دسر : جمع دسار وهو المسمار .

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »

دعاء « نوح » على قومه :

القرآن الكريم يرينا ان ابن نوح قد هلك بدعـــوة أبيه ، فقد دعا نوح على قومه فقال : « **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** » . ٢٦ ، ٢٧ سورة نوح .

لم يستثن ابنه :

ولم يستثنن ابنه — وهو كافر — فكان فى جملة من دعا عليهم بالهلاك .

« نوح » يدعو ربه

ودعا ربه فقال : « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات » .

الدعوة لم تشمل ابنه :

وهذه الدعوة لم تشمل ابنه ، فانه قد دخل بيته ، ولكنه لم يكن مؤمنا ، فاستثنى من هذه الدعوة .

ثم قال بعد ذلك : « ولا تزد الظالمين الا تبارا » (١) ٢٨ نوح .

دخول ابنه فى الظالمين :

فدخل ابنه فى الظالمين ، لأنه كافر ، والكافر ظالم .

عمر نوح عليه السلام

ورد فى القرآن الكريم أن نوحا عليه السلام مكث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما .

عمر « نوح » عليه السلام :

« ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » — فى سورة العنكبوت .

وقيل : كان عمره ألفا وخمسين سنة .

فقد بعث على رأس أربعين سنة .

ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة .

وعاش بعد الطوفان ستين سنة .

وعن وهب أنه عاش الفا وأربعمائة سنة .

والله وحده واهب الحياة ، ومؤقت الآجال .

مواطن العبرة فى رسالة نوح عليه السلام

١ — المؤمن القوى لا يبالى ما يلقى فى سبيل عقيدته ، فقد استقبل نوح عليه السلام من كبراء قومه التكذيب . والاحتقار . واستنكار أن يأتى لهدايتهم وهو لا يمتاز بفضل : « مانراك الا بشرا مثلنا » .

٢ — تقدير الانسان وثقة الناس به خلق كريم ، فكان لمن آمن بنوح وصدق برسالته مكانة لديه ، وصلة وطيدة به ، فلم يصغ الى آراء الناس فيهم : « وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » — « وما أنا بطارد الذين آمنوا » .

---

(١) التبار : الهلاك .

٣ — التواضع وعدم الغرور يدعوان الى الاطمئنان والرضا : « ولا أقول لكم : عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول : انى ملك » .

٤ — ان ادراك السعادة والهداية الى الحق لا يكون بالثروة ، وحسن المنظر ، وانما يكون باطمئنان النفس وبلوغ الهدى ، وان الأمر لله وحده : « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم : لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم » . ٣١ هود

٥ — الزهد فى الدنيا وعدم الطمع فى الأجر لقاء العمل الصالح سبيل الانسان الفاضل : « ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، أن أجرى الا على الله » . ٢٩ هود

٦ — نهى الله نوحا عليه السلام أن يشفع فى ابنه ، لأنه من الذين ظلموا . فكان من المغرقين . ونجى الله نوحا ومن آمن به .



«٢»

ابراهيم

عليه السلام

رسول الله وخليله



٢ – ابراهيم عليه السـلام

من أبـوه ؟

قال تعالى : « واذ قال ابراهيم ، لأبيه « آزر » . أتتخذ أصناما آلهــة ؟ »

اختلف المفسرون في اسم أبي ابراهيم :

فعد بعضهم آزر – أباه .. وجعل آزر عطف بيان لأبيه ، وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح كآدم .

اسم أبي ابراهيم :

وقيل : هما علمان ، كاسرائيل ، ويعقوب .

ومن قائل العلم تارح ، وآزر وصف له .

مولده ونشأته

يرجح أن ابراهيم عليه السلام ولد في أور الكلدانيين بالعراق ، فقد ورد في التوراة أن أخاه هاران أبا لوط عليه السلام قد مات في المكان الذي ولد فيه وهــو أور الـكلدانيين . وأن ابراهيم عليه السلام ولد في هذا المكان ، وعاش فيه حتى وفاة أخيه .

ومما قيل : ان أمه عوشاء قد أجاءها المخاض الى كهف قريب من قرية « كوثى » بالعراق ، فوضعته فيه . وهناك رأى ابراهيم – أول مارأى– نور الحياة . وقد نجا من الملك نمروذ الذي أزعجته الرؤى فدفعته الى مراقبة الحوامل ، وقتل الذكور من مواليدهن.

قوم « ابراهيم » :

وقد نشأ بين قوم ينحتون الأصنام بأيديهم ، ويتخذونها أربابا من دون الله ، قد أضلهم رغد العيش ، وأعمتهم ظلال النعمة فأنار الله بصيرة ابراهيم وأرشده الى الطريق القويم ، فعلم أن الأصـنام لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تفهم ، ولا تعقل ، وأن االله واحد،عليم، سميع ، بصير ، بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير .

بصيرة « ابراهيم »

الاصنام لا تسمع :

الله واحد ... :

ابراهيم يسفه أحلام قومه

غواية قوم « ابراهيم » وجهالتهم :

لمـا رأى ابراهيم عليه السلام ما فيه قومه من غواية ، وجهالة صمم أن يسفه أحلامهم ، ويخلصهم من الشرك والفساد ، فقد ران العمه على قلوبهم فدانوا « لنمروذ بن كنعان » الذي دعاهم

« نمـــــروذ بن كنعان » :

الى عبادته ، وهو القابض على زمام الملك فى بابل المستبد برأيه، الحاكم بأمره .

يقين ابراهيم عليه السلام بقدرة خالقه

ايمان «ابراهيم» :

« ابراهيم » يسأل ربـــه :

حب الاستطلاع :

اربعة من الطير :

كان ابراهيم عليه السلام مؤمنا ، عميق الايمـــان بالبعث بعد الموت ، وبالحساب على الأعمال فى الآخرة ، ولكنه أحب أن يزداد يقينا وأن يبصر الآية البينة على ذلك . فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ويبعثهم بعد فنائهم . فقال الله له : أو لم تؤمن قال: بلى قد آمنت ، ولكن تاقت نفسى الى المشاهدة ، ليطمئن قلبى ، فاستجاب الله له ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير ، ويضمها اليه، ثم يجعلها أجزاء ، ويضع على كل جبل منهن جزءا ، ثم يدعوهن اليه فيأتينه سعيا باذن الله ، فلما فعل عادت الأجزاء كل فى مكانه ، وسرت فيها الحياة ، وسعت اليه بقدرة الله تعالى ، فرأى آيات ربه الباهرة ، وقدرته البينة .

قدرة الله وعظمته:

فمن ذا الذى يســاوره أدنى شــك فى قـــدرة الله على بعث الموتى . ونشرهم بعد موتهم — وقد لمس عظمته وجلاله فيما صنع، وفيما أوحى ؟

قال تعالى فى سورة الأنبياء :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٥١ ، اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون ٥٢ ، قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين ٥٣ قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ٥٤ . قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ٥٥ ؟ قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين » ٥٦ .

ابراهيم يفهم قومه قدر آلهتهم

« ابراهـــيم »يدلى بالبرهان العملى :

أقام القوم على عبادة آلهتهم،ولم يثنهم عنها النصح والارشاد. ويدلى بالبرهـــان العملى أنها لا تضرهم اذا تركوها ، ولا تنفعهم اذا عبدوها ، فقال : « وتالله لأكيدن(١) أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ٥٧ . فجعلهم جذاذا(٢) الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ٥٨، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه لمن الظالمين ٥٩ . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٦٠ فى سورة « الأنبياء » .

---

(١) لأكيدن أصنامكم : لاكسرنها .
(٢) جذاذا : قطعـــا .

محاكمة ابراهيم

قال تعالى فى سورة الأنبياء :

« قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ٦١ قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ ٦٢ قال : « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون ٦٣ . فرجعوا الى أنفسهم ، فقالوا : انكم أنتم الظالمون » ٦٤ . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » ٦٥ .

حجة ابراهيم

الزامهم الحجة :

كانت حجة ابراهيم ساطعة ، بينة ، ورأى ان يلزمهم اياها ، فقال : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ ٦٦ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ٦٧ » . فى سورة الأنبياء .

فلما لم تجد حجته سبيلا الى قلوبهم وعقولهم وآذانهم عمدوا الى ما يسلكه القوى المبطل مع الضعيف المحق .

النار «برد وسلام» على « ابراهيم »:

قالوا : حرقوه(١) وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ٦٨ ، قلنا : يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » ٦٩ ، وأرادوا به كيدا(٢) فجعلناهم الأخسرين » ٧٠ ، ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ٧١ ، ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة(٣) . وكلا جعلنا صالحين » ٧٢ . من سورة « الأنبياء » .

أدب ابراهيم مع أبيه

بر « ابراهيم » بأبيه :

أدب « ابراهيم »:

تلطف ابراهيم فى دعوة أبيه ، وخفض له جناح الرأفة والحلم، فلم يسفه معبوداته ، ولم يحقر آلهته ، بل استثار عطفه بذكر رسالته ثم سأله فى أدب جم عن سبب عكوفه على عبادة ما لايسمع دعاءه ، ولا يبصر خشوعه ، ولا يدفع ضرا ، ولا يجلب نفعا .

وأراد أن يبصره بقدره ومنزلته فقال :

يا أبت لا تنكف(٤) عن متابعتى ، فقد أوتيت ما لم تؤته من العلم

---

(١) حرقوه : أحرقوه .
(٢) أرادوا به كيدا : أرادوا به مكرا .
(٣) نافلة : عطية زائدة .
(٤) لا تنكف عن متابعتى : لا تمتنع عن متابعتى .

والمعرفة ،وما بلغت شأوك ، فأنت أبي ، ثم رجاء أن يسير على هديه ، ليكون على الصراط المستقيم ، وأن ينأى عن عبادة الأصنام، فذلك طريق الشيطان الرجيم .

« تجاهل أبيه » وعناده :

فتجاهل أبوه نبوته ، وأصر على ضلاله وعناده ، واحتقر شأنه، وقال : « أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجمنك(١)، واهجرنى مليا (٢) — من سورة مريم .

كرم نفس « ابراهيم » :

فتلقى ابراهيم كلمات أبيه بنفس كريمة مطمئنة ، وقال : سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا(٣) ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى ، عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا » — من سورة « مريم » .

وعاد ابراهيم كئيبا حزينا ، لأنه لم يجد من أبيه ما كان يرجو من استجابته لدعوته ، ثم اعتزله .

صفات «ابراهيم» :

والقرآن الكريم يذكر لابراهيم عليه السلام حلمه ، ورقة قلبه، وعطفه ، وبره بأبيه مع قسوته عليه ، فيقول فى سورة « مريم »:

« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا(٤) ٤١ ، اذ قال لأبيه : يا أبت (٥) لم تعبد ما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولايغنى عنك شيئا ٤٢ . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا(٦) ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا (٧) ٤٤ ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان(٨) وليا ٤٥ . قال : أراغب(٩) أنت عن آلهتى يا ابراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجمنك ، واهجرنى مليا ٤٦ . قال : سلام عليك سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيا ٤٧ ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى(١٠) ، عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا » ٤٨ .

طريقة ابراهيم الحوارية

حوار «ابراهيم» :

لما رأى ابراهيم عليه السلام أن قومه كانوا ينحتون الأصنام على أسماء الكواكب ، كالشمس ، والقمر ، وما اليهما بين لهم أن

(١) لأرجمنك : لأقتلنك رميا بالحجارة .
(٢) واهجرنى مليا : واهجرنى زمانا طويلا ، من : أملى له : مد ، واطال .
(٣) حفيا : برا ، لطيفا .
(٤) صديقا : ملازما للصدق كثير التصديق .
(٥) يا أبت : يا أبى .
(٦) صراطا سويا : طريقا مستقيما .
(٧) عصيا : عاصيا .
(٨) فتكون للشيطان وليا : قريبا فى اللعن ، تليه ويليك ، أو ثابتا على موالاته .
(٩)أراغب أنت عن آلهتى : رغب عن الشىء : رفضه .
(١٠)عسى : فعل جامد ، معناه : يرجى ، ويتوقع .

هذه الكواكب لا ينبغى أن تكون آلهة ، وانما الاله هو الذى خلقهن ، وبيده ملكوت السموات والأرض ، وأن الاستعانة بغيره باطلة .

التدرج فى تكوين العقيدة :

يتدرج بذلك معهم فى تكوين العقيدة ، ويحتج لدينه ، ويزيف دينهم ، ثم يتوجه الى الله بالعبادة قائلا : انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا(١) ، وما أنا من المشركين .

قال تعالى فى سورة « الانعام »

يبين « ابراهيم » لقومه أن هذه الكواكب لا ينبغى أن تكون آلهة :

« واذ قال ابراهيم » لأبيه آزر : « أتتخذ أصناما آلهة ! انى أراك وقومك فى ضلال مبين ٧٤ ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين ٧٥ ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ٧٦ . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال:لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » ٧٧ ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر » فلما أفلت قال : يا قوم انى برىء مما تشركون ٧٨ ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ٧٩ » .

قوم ابراهيم عليه السلام يحاجونه

وحاجه(٢) قومه ، قال : أتحاجونى فى الله وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا ، وسع ربى كل شىء علما ، أفلا تتذكرون ؟ ٨٠ ، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا (٣) ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟ ٨١ ، الذين آمنوا ولم يلبسوا(٤) ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ٨٢ .

وتلك حجتنا آتيناها(٥) ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ٨٣ .

مسلك فى الحوار

النجم والقمر والشمس :

وكان مما سلك فى حواره أنه حين نظر فى المعبودات لم ترقه الأصنام . فظن النجم هو الاله ، فلما أفل انصرف عنه ، وانتقل

---

(١) حنيفا : مخلصا ، مائلا عن العقائد الزائفة .
(٢) وحاجه قومه : وجادله قومه .
(٣) سلطانا : حجة ودليلا ناهضا .
(٤) لم يلبسوا : لم يخلطوا .
(٥) حجتنا : دليلنا .

الى القمر ، فلما أفل تركه ، وانتقل الى الشمس ، فلمـــا أفلت علم أن الاله غير هذه كلها .

ابراهيم يحاج الملك

النمروذ بن كنعان:

أراد الملك نمروذ بن كنعان أن يجعل ابراهيم » فى دين قومه، فيعبده وآلهته ، وأن يرجع عن دينه الجديد .

الاحياء والامانة :

المطالبـة باتيـان الشمس من المغرب

قال تعـالى فى ســورة البقرة : « ألم تر الى الذى حـاج ابراهيم فى ربه أن آتاه(١) الله الملك ، اذ قال ابراهيم ، ربى الذى يحيى ويميتقال: أنا أحيى وأميت ، قال : ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب(٢) فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين » ٢٥٨ .

مواقف ابراهيم

تعـدد مـواقف « ابراهيم » :

تعددت مواقف « ابراهيم » ، فتارة يحاج أباه ، وطورا يحاج قومه ، وحينا يحاج الملك ، وأحيانا يرغم قومـه على محاجته ، فيحطم الأصنام ، ليحاجوه فى شأنها . فهو دائب الجدال لا يفتر . قال تعالى فى سورة « الصافات » :

نظرة « ابراهيم » فى النجوم :

« ابراهيم » يكسر آلهتهم :

يلقون « ابراهيم » فى النار :

« وان من شيعته(٣) لابراهيم ٨٣ ، اذ جاء ربه بقلب سـليم ٨٤ ، اذ قال لأبيه وقومه : ماذا تعبدون ؟ ٨٥ ، أئفـكا(٤)آلهة دون الله تريدون ؟ ٨٦ ، فما ظنكم برب العالمين ؟ » ٨٧ ، فنظر نظرة فى النجوم ٨٨ ، فقال انى سقيم ٨٩ ، فتولوا عنـه مدبرين ٩٠ ، فراغ(٥) الى آلهتهم فقال : ألا تأكلون ٩١ ؟ مالكم لا تنطقون؟ ٩٢ . فراغ عليهم ضربا باليمين ٩٣ ، فأقبلوا اليه يزفون(٦)) ٩٤ ، قال : أتعبدون ما تنحتون ٩٥ ، والله خلقكم وما تعملون » ؟ قالوا : ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم » ٩٧ ، فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ، وقال : انى ذاهب الى ربى سيهدين » ٩٩

وقال تعالى فى سورة « الشعراء » :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم ٦٩ ، اذ قال لأبيه وقومه : ماتعبدون؟

---

(١) أن آتاه الله الملك : لأن آتاه الله الملك ، أى أبطره ايتاء الملك .
(٢) بهت : صار مبهوتا ، متحيرا .
(٣) شيعته : حزبه .
(٤) افـكا : كـذبا .
(٥) فـراغ : مال بحيـلة .
(٦) يزفون : يسرعون .
(٧) أتل : أقـرأ .

يعبدون أصناما لا تسمع ولا تنفع ولا تضر :

٧٠ . قالوا : نعبد أصناما(١) فنظل لها عاكفين(٢) » ، قال : هل يسمعونكم اذ تدعون ٧٢ ؟ أو ينفعونكم أو يضرون » ٧٣ ؟ . قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ٧٤ ، قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ٧٥ أنتم وآباؤكم الأقدمون ٧٦ ؟ ، فانهم عدو لى الا رب العالمين ٧٧ ، الذى خلقنى فهو يهدين ٧٨ ، والذى هو يطعمنى ويسقين ٧٩ ، واذا مرضت فهو يشفين ٨٠ ، والذى يميتنى ثم يحيين ٨١ ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ٨٢ ، رب هب لى حكما(٣) وألحقنى بالصالحين ٨٣ ، واجعل لى لسان(٤) صدق فى الآخيرين(٥) ٨٤ ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ٨٥ ، واغفر لأبى ، انه كان من الضالين ٨٦ ، ولا تخزنى يوم يبعثون ٨٧ ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ٨٨ ، الا من أتى الله بقلب سليم ٨٩ »

رب العالمين :

« ابراهيم » يدعو ربه :

ابراهيم يخفق فى هداية قومه

لم يفز « ابراهيم » من قومه بطائل :

حاول ابراهيم عليه السلام اقناع قومه بشتى الوسائل ، فلم يفز منهم بطائل ، وجفوه ، وألقوه فى النار فكانت بردا وسلاما عليه. وتوعده أبوه بالرجم اذا استمر على انكار ما يعبدون .

من آمن به :

وما آمن من قومه الا زوجه سارة وابن أخيه لوط بن هاران ابن تارح .

ما قاله «ابراهيم» لقومه :

وكان مما قاله ابراهيم لقومه : انما اتخذتم من دون الله أصناما لتجتمعوا على عبادتها فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا،ومأواكم النار ومالكم من ناصرين».

رحلة ابراهيم الى أور الكلدانيين

رغبة « ابراهيم » عن أهله وقومه :

رغب ابراهيم عن أهله وقومه ، ولم يطب له المقام معهم ، فذهب الى « أور الكلدانيين » وهى مدينة كانت قرب الشاطىء الغربى للفرات .

استغفار «ابراهيم» لأبيه ، ثم تبرؤه منه :

وكان أبوه قد وعده أنه سيؤمن به ، فتوجه الى ربه ، واستغفره له ، ثم تبرأ منه ، اذ تبين له أنه مقيم على دين قومه.

دليل ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة : « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » .

---

(١) فنظل : فندوم .
(٢) عاكفين : مواظبين .
(٣) حكما : حكمة .
(٤) لسان صدق : حسن صيت .
(٥) فى الاخرين : فى الأقوام الاخرين الذين يتعاقبون الى آخر الدهر .

رحلته الى فلسطين

« ابراهيم » و « لوط » :

رحل ابراهيم الى فلسطين ترافقه زوجه سارة وابن أخيه لوط وزوجه .

عثمان بن عفان وزوجه « رقية » :

ولما هاجر عثمان بن عفان ومعه زوجه رقية بنت رسول الله الى الحبشة قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان عثمان أول مهاجر بأهله بعد لوط .

ارض الكنعانيين :

وأقام ابراهيم و لوط فى أرض الكنعانيين ولم يقم طويلا .

رحلته الى مصر

ضيق العيش فى « الشام » :

العماليق :

هبط ابراهيم عليه السلام تصحبه زوجه سارة الى مصر وقد لما ضيق سبل العيش فى الشام ، فقد شملها القحط والغلاء فى عهد ملوك الرعاة ، وهم العماليق ، ويسميهم الرومان — هكسوس الذين استبدوا حينا من الزمان .

بشارة « سارة »

وكانت سارة ذات بشارة(١) ، ووضاءة(٢) ، فأغرى الملك بها فدعا ابراهيم عليه السلام ، واستبان منه ما يربطهما من قرابه .

حديث« ابراهيم »:

فحدثه أنها أخته ، وليست ذات بعل ، وأعلمها بذلك .

وفاء « سارة » لابراهيم :

رؤيا الملك :

لم ينسها ما رأت من نعمة ، وبسطة عيش ، وسعة سلطان أن تكون الوفية لزوجها ، ابراهيم المعتصمة بدينها ، فلم تعبأ بما رأت ، وقد أسيت على مشهدها ، وكئبت ، فأوجس الملك خيفة منها ، وأوى الى فراشه ، فرأى فى منامه أن لها زوجا ، وأمر أن يخلى سبيلها .

هاجر :

ثم أطلق سراحها ، ووهب لها هاجر خادما .

رعاية الله :

خروجه من «مصر»

تلك رعاية الله تحوط ابراهيم وتكلؤه ، وترعى سارة ، وشاء الله أن يقيم بمصر بعد زمانا مثابرا على عمله ، دءوبا ، واسع الصدر ، وديع النفس ، قد أحاطت به نعمة ربه ، وارتفع ذكره ، فنقم عليه القوم سعة نعمته ، فرحل عنهم .

---

(١) البشارة : الجمال .

(٢) الوضاءة : الحسن والنظافة .

ابراهيم يدخل بهاجر

هبة ملك مصر : وهب ملك مصر لسارة زوجة ابراهيم عليه السلام هاجر وهى جارية مصرية .

« سارة عاقر » : « ابراهيم » و « هاجر » : وكانت سارة عاقرا ، فتألمت لأنها لم تلد لابراهيم ولدا وقد كبرت ولا ترجو أن تكون أما ، فأتمرت مع ابراهيم فدخل على هاجر فأتت باسماعيل عليه السلام .

ابراهيم والملائكة

اكرام « ابراهيم » لضيفه : « لوط » : استقبل ابراهيم عليه السلام ثلاثة رجال — وكان كريما مضيافا — فقرب اليهم عجلا حنيذا ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، ثم علم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من قوم لوط .

الملائكة تبشر ابراهيم باسحق

بشرى : قالت الملائكة لابراهيم : انا نبشرك بغلام عليم فقال ابراهيم : أبشرتمونى على أن مسنى الكبر ، وهذه امرأتى عاقر قد كبرت ؟

«سارة» تضحك : فلما سمعت سارة حديث الملائكة ضحكت(١) ، وابدت غاية الاستغراب ، فذكرهما الملائكة بقدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

قال تعالى فى سورة « هود » :

« ابراهيم » يكرم ضيفه : قوم « لوط » : البشرى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى . قالوا سلاما قال : سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ(٢) ٦٩ ، فلما رأى أيديهم لاتصل اليهنكرهم (٣) ، وأوجس منهم خيفة(٤) ، قالوا : لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط ٧٠ ، وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها باسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب ٧١ ، قالت:ياويلتى(٥) : أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ أن هذا لشىء عجيب ٧٢ قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد » ٧٣ .

---

(١) ضحكت : ضحكت سرورا بزوال الخوف ، أو حاضت .
(٢) عجلا حنيذا : مشويا فوق الحجارة .
(٣) نكرهم : أنكرهم .
(٤) أوجس منهم خيفة : أضمر منهم خوفا .
(٥) يا ويلتى : يا عجبا .

ــ دفاع ابراهيم عليه السلام عن ابن أخيه لوط ــ

« ابراهيم يدافع عن ابن أخيه «لوط» :

خشى ابراهيم أن ينزل العذاب بابن أخيه لوط فقـال للملائكة: ان فى سدوم(١) ــ لوطا ــ وهو ابن أخى .

امرأة « لوط » :

فقالوا : نحن أعلم بمن فيها ، لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين(٢) .

مجادلة ابراهيم عن قوم لوط

شفقة «ابراهيم» :

دفعت ابراهيم رقة قلبه ، وشـفقته أن يجادل فى شـأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم ، رجاء أن يعفو الله عنهم ، ويغفرلهم.

قال تعالى فى سورة « هود » :

قد جاء أمر ربك :

« فلما ذهب عن : ابراهيم الروع(٣) ،، وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ٧٤ ، ان ابراهيم لحليم ، أواه ، منيب(٤) ٧٥ ،يا ابراهيم أعرض عن هذا(٥) ، انه قد جاء أمر ربك ، وانهم آتيهم عذاب غير مردود » ٧٦ .

وقال تعالى فى سورة « الذاريات » :

« هل أتاك حـديث ضيف ابراهيم المـكرمين ٢٤ ، اذ دخلوا عليه فقالوا : سـلاما قال : سلام قوم منكرون ٢٥ فراغ(٦) الى أهله فجاء بعجل سـمين ٢٦ ، فقـربه اليهم . قال : الا تأكلون ٢٧ ؟ فأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف ، وبشروه بغلام عليم ٢٨ .

« امرأة ابراهيم » :

فأقبلت امرأته فى صرة(٧) فصكت(٨) وجهها وقالت : عجـوز عقيم(٩) ٢٩ . ؟

« ابراهيم »يخاطب الملائكة :

قالوا : كذلك قال ربك ، انه هو الحكيم العـليم ٣٠ ، قال :

---

(١) سدوم : عظمى قرى قوم لوط .
(٢) من الغابرين : من الذاهبين ، الماضين .
(٣) الروع : الخـوف .
(٤) منيب : راجع الى الله .
(٥) أعرض عن هذا : أعرض عن هذا الجدال .
(٦) فراغ الى أهله : مال اليهم سرا .
(٧) صرة : صيحة ، من الصرير ، وهو التصويت .
(٨) صكت وجهها : لطمت بأطراف الأصابع جبهتها ، فعل المتعجب .
(٩) عقيم : عاقر ، أى ، لم تلد .

« فما خطبكم(١) أيها المرسلون ؟ ٣١ » ، قالوا : انا أرسلنا الى قوم مجرمين ٣٢ ، لنرسل عليهم حجارة من طين ٣٣ ، مستومة(٢) عند ربك للمسرفين » ٣٤ .

اسماعيل وهاجر يرحلان الى وادى مكة

هجرة « اسماعيل » و « هاجر » :

لم يذكر القرآن الكريم من رحلة اسماعيل و هاجر سوى قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » .

شجر « مكة » و « الحرم » :

وجاء فى ص ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الأعشى : وليس بمكة والحرم شجر يثمر الا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

اقدام « ابراهيم » على ذبح « اسماعيل »

زيارة « ابراهيم » لابنه « اسماعيل » رؤيا « ابراهيم »: ابراهيم يلقى الى ابنه امر ربه :

كان ابراهيم عليه السلام يزور ابنه اسماعيل الفينة بعد الفينة ، ليطمئن عليه ، ويقر عينا بمرآه ، فلما بلغ معه السعى رأى ابراهيم فى نومه أنه قد أمر بذبح ابنه اسماعيل أمله الوحيد ، وثمرته المرجوة ، فاستجاب لربه ، ولقى اسماعيل والقى اليه أمر ربه : يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، فأسرع الغلام الى الطاعة ، والاستجابة ، قائلا : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ايمان عميق وبر وثيق ، أخذ يشجع أباه على تحقيق ما رأى ، وييسر له السبيل الى ما أراد ، وتقبل القضاء بالرضا ، والأمر بالتسليم ، فأرشده الى اقوم طريق ، ليخفف عن أبيه لوعته ، وعن أمه حسرتها ، ولهفتها ، ثم تله للجبين .

استجابة . . « اسماعيل » : « اسماعيل » يرشد أباه الى اقوم طريق :

زفرات « ابراهيم » وعبراته :

تتابعت زفرات ابراهيم وتدفقت عبراته ، ثم أمر السكين فوق عنق ابنه بين الزفرات والعبرات ، ولكن ارادة الله حالت دون حركتها وقضائها ، فأدركت ابراهيم الحيرة ، وتوجه الى الله أن يجعل له مخرجا من هذا البلاء المبين ، ففرج غمته ، وكشف كربته ، ونودى : « أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين » .

ارادة الله : كشف الله كربته :

ذبح ابراهيم « الكبش » :

ورأى ابراهيم عليه السلام كبشا قريبا منه ، فذبحه ، فدية عن ابنه . « وفديناه بذبح عظيم » .

---

(١) ما خطبكم : ما شأنكم ؟

(٢) مسومة : معلمة ، عليها أمثال الخواتم : أو معلمة بعلامة ، ليعلم أنها ليست من حجارة الدنيا .

قال تعالى فى سورة الصافات :

غـلام حـليم :

وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين ٩٩ ، رب هب لى من الصالحين ١٠٠ فبشرناه بغلام حليم ١٠١ ، فلما بلغ معه السعى قال : يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ، فانظر ماذا ترى قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ١٠٢ ،

بلاء مبين :
الفدية :
البشرى باسحق :

فلما أسلما وتله(١) للجبين(٢) ١٠٣ ، وناديناه : أن يا ابراهيم١٠٤ قد صدقت(٣) الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ١٠٥ ، ان هذا لهو البلاء المبين(٤) ١٠٦ ، وفديناه بذبح (٥) عظيم ١٣٧ ، وتركنا عليه فى الاخرين(٦) ١٠٨ ، ســـلام على ابراهيم ١٠٩ ، كذلك نجزى المحسنين ١١٠ انه من عبادنا المؤمنين ١١١ ، وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ١١٢ وباركنا عليه وعلى اسحق » .

ابراهيم رزق باسحق

ضحك « سارة » :
وعد الله :

بشر الملائكة ابراهيم عليه السلام بابنه اسحق وقد ضـــحكت سارة من هذه البشرى ، تعجبا ، لأنها عاقر قد بلغت من الكبر عتيا ، وابراهيم شيخ كبير ، فذكروها وعد الله القادر ، قائلين : أتعجبين من أمر الله .

حمل « ســـارة » باسحق :

ولم يحل الحول على سارة ــ وقد بلغت من العمر تسعين سنة ــ حتى حملت باسحق .

لمـــاذا أسـمـته « يصـــحق » ؟

ولمـــا وضعته اسمته يصحق أى يضحك ، تعنى أن هذه الولادة من هذين الأبوين غريبة تبعث الضحك ، فمن يسمع بها يتعجبه ويضـــحك .

« أسحق » نبى :

وقد صار اسحق نبيا ، لقوله تعالى : « وبشرناه باسحق نبيـــا من الصـــالحين » .

وقوله عز وجل : « وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهمـــا محسن وظالم لنفسه مبين » .

---

(١) تله : صرعه على وجهه .
(٢) للجبين : على جبينه .
(٣) قد صدقت الرؤيا : جعلتها صادقة .
(٤) البلاء المبين : الامتحان البين .
(٥) ذبح : ما يذبح بدل الانسان .
(٦) وتركنا عليه فى الأخرين : المنقول هنا محذوف والتقدير : وتركنا عليه ثناء . أو وتركنا عليه فى الآخرين قولهم سلام على ابراهيم .

« اســـحق » و « يعقوب » :

وقوله : « ووهبنا له اسحق ، ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا(١) » .

« ابراهيم » يجيء بهاجر وابنهـا :

وفى البخارى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : أول ما اتخذ النساء المنطق(٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا ، لتعفى أثرها على سارة ، ثم جـاء ابراهيم بهـا وبابنها اسماعيل وهى ترضعه ، فوضعهما عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنا لك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم

« ابراهـــيم » و « هاجر » :

قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ، ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت : اذن لا يضيعنا . ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية(٣) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم

« ابراهيم » يدعو بكلمـات :

دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال : ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

عطش « هــاجر » وابنهـا :

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك المـاء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى (أو قال يلتبط) فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت

جبل « الصفا » : « المروة » :

الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ، وسعت نحو سراب حسبته ماء عند المروة حتى اذا جاءته لم تجده شـيئا ، ثم رجعت الى الصفا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال : ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « فذلك سعى الناس بينهما » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت : « صه » تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت ان كان

الملك :

« هاجر » والماء :

عنـدك غوث ، فاذا هى بالملك عنـد موضع زمزم فبحث بعقبه (أو قال بجناحه) حتى ظهر المـاء ، فجعلت تحوضه(٤) وتقول بيدها(٥) هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله

---

(١) وجعلنا لهم لسان صدق عليا : وجعلنا لهم ثناء ، وحسن أحدوثه ، ووصفه بالعلو ، للدلالة على أنهم جديرون بكل ثناء .
(٢) المنطق : كمنبر : شقة تلبسها المرأة تشد وسطها ، فترسل الأعلى على الأسفل الى الأرض ، والاسفل ينجر على الارض .
(٣) الثنية : موضع .
(٤) تحوضه : تجمعه .
(٥) تقول بيدها : تأخذ بيدها .

« أم اسماعيل » و « زمزم » :

أم اسماعيل ، لو تركت زمزم ، أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا .

ماذا قال الملك ؟

وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فان ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله .

أهل بيت من « جرهم » :

الطائر والماء :

« أم اسماعيل » ترضى أن ينزلوا مثلاها :

زواج «اسماعيل»:

« ابراهيم » يزور ابنه :

« ابراهيم »وزوجة ابنه :

« اسماعيل »

« اسماعيل » يطلق زوجته :

« ابراهيم » يزور ابنه مرة ثانية :

يسأل زوجةابنه :

ثم مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء(١) ، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا(٢) ، فقالوا: ان هذا الطائر ليدور على ماء ، تعهدنا بهذا الوادى وما فيه من ماء ، فأرسلوا جريا(٣) أو جريين فاذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ، قال : وأم اسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى(٤) ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس ، فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألنى: كيف عيشنا ، فأخبرته أنا فى جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، أمرنى أن اقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك قال : ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها ، وتزوج أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده . فدخل على امرأته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا ، قال : كيف أنتم ؟ — وسألها عن عيشهم وهيئتهم — فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ، قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه .

---

(١) كداء : جبل بأعلى « مكة » ، دخل النبى صلى الله عليه وسلم « مكة » منه .

(٢) عائفا : عاف الطائر ، يعوف : استدار ، أو حام على الشىء أو الماء يريد الوقوع .

(٣) فأرسلوا جريا : فأرسلوا رسولا .

(٤) ألفى ذلك (أم أسماعيل) وجدته ورضيت به .

« اسماعيل » و « وزوجه » :

قال : فاذا جاء زوجك فأقرئى عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة — وأثنت عليه — فسألنى عنك فأخبرته ، فسألنى كيف عيشنا ، فأخبرته أنا بخير ، قال : فأوصاك بشيء

يمسكها :

قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله .

« ابراهيم » يزور ابنه « اسماعيل » مرة ثالثة :

ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد .

« ابراهيم » يحدث ابنه :

ثم قال : يا اسماعيل ان الله أمرنى بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعيننى ؟ قال : وأعينك . قال : فان الله

بناء البيت :

أمرنى أن أبنى ههنا بيتا .

« الكعبة » :

واشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها — قال : فعند ذلك رفعا

« ابراهيم » يبنى و « اسماعيل » يأتى بالحجارة : ماذا يقولان ؟

القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حتى البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم أ.هـ .

أمر الله لابراهيم :

ولما تم بناء البيت أمر الله ابراهيم أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا .

طلب « ابراهيم » و « اسماعيل » من الله تعالى :

وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التى ينسكانها : وأرنا مناسكنا .

الكعبة :

وتعد الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » .

منزلة البيت :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة(١) مباركا ، وهدى للعالمين ٩٦ ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ٩٧ .

---

(١) بكة : مكة ، أو موضع المسجد منها ، أما (مكة) فهى البلد .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

عهد الله الى « ابراهيم » و « اسماعيل » :

واذ جعلنا البيت مثابة(١) للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام(٢) ابراهيم مصلى(٣) ، وعهدنا(٤) الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين(٥) ، والركع(٦) السجود(٧) ١٢٥ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .

« ابراهيم » و « اسماعيل » يرفعان قواعد البيت : ويدعوان الله :

قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ، ثم اضطره(٨) الى عذاب النار ، وبئس المصير(٩) ١٢٦ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ١٢٧ ، ربنا واجعلنا مسلمين لك(١٠) ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا(١١) ، وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم ١٢٨ ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة(١٢) ويزكيهم(١٣) ، انك أنت العزيز الحكيم ١٢٩ .

وقال تعالى فى سورة ابراهيم :

« ابراهيم » يدعو الله :

واذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى(١٤) وبنى أن نعبد الأصنام ٣٥ ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم ٣٦ ، ربنا انى أسكنت من ذريتى(١٥) بواد(١٦) غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم(١٨) ، وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ٣٧ .

---

(١) مثابة : مرجعا .
(٢) مقام ابراهيم : مكان قيام ابراهيم .
(٣) مصلى : مكان صلاة .
(٤) عهدنا : أوصينا .
(٥) العاكفين : الملازمين .
(٦) الركع : جمع راكع .
(٧) السجود : جمع ساجد .
(٨) أضطره : أجبره .
(٩) المصير : المرجع .
(١٠) مسلمين لك : مخلصين .
(١١) مناسكنا : جمع منسك وهى طريقة النسك أى العبادة .
(١٢) الحكمة : ما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام .
(١٣) يزكيهم : يطهرهم .
(١٤) واجنبنى : وأبعدنى .
(١٥) من ذريتى : بعض ذريتى .
(١٦) بواد : الوادى : الأرض . المحصورة بين جبلين ويكون مجالا للسيل .
(١٧) تهوى اليهم : تسرع اليهم .

وقال تعالى فى سورة « الحج » :

ارشـــاد الله لابراهيم : الأمر بالايذان بالحج مما يعمله الحاج :

واذ بوأنا(١) لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين ، والركع السجود ٢٦ ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا(٢) وعلى كل ضامر(٣) ، يأتين من كل فج(٤) عميق(٥) ٢٧ ، ليشـــهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، وأطعموا البائس(٦) الفقير ٢٧ ، ثم ليقضوا تفثهم(٧) ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ٢٩ ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهـــو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام (٨) الا ما يتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس(٩) من الاوثان ، واجتنبوا قول الزور(١٠) ٣٠ حنفاء(١١) لله

انذار وتخويف :

غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر(١٢) من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق(١٣) ٣١ ، ذلك ومن يعظم شعائر الله(١٤) فانها من تقوى القلوب ٣٢ ، لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها(١٥) الى البيت العتيق ٣٣ .

موقف الرسول من الكعبـــة

حجـة الـــوداع :
الطـــواف بالبيت :
مناســك الحج :

فى حجة الوداع ، ذلك الموقف الأخير طاف الرسول بالبيت وطاف وراءه المسلمون ، يستغفرون الله ، ويتوبون اليه ، ويعلمهم مناسك الحج ، وهو أبلغهم خضوعا لله ، واستغفارا ، يشهد ربه أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، يسرع ويقول :

« اللهم ارحم امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » .

والمشركون من أعلى الجبال ينظرون الى البأس ، والعزيمـــة الصـــادقة .

موقف عظـــيم :

ذاك موقف عظيم ، وتلك صورة رائعة .

---

(١) بوأنا : أنزلنا .
(٢) رجالا : مشاة ، جمع (راجل) .
(٣) ضامر : مهزول من السفر .
(٤) فج : طريق واسع .
(٥) عميق : بعيد الغور .
(٦) البائس : الذى أصابه بؤس ، أى شدة وفقر .
(٧) تفثهم : وسخهم .
(٨) الأنعام : الابل والبقر والغنم ، المفرد : نعم .
(٩) الرجس : النجس .
(١٠) الزور : الانحراف عن الحق .
(١١) حنفاء : مائلين عن العقائد الزائفة .
(١٢) خر : سقط .
(١٣) مكان سحيق : مكان بعيد .
(١٤) شعائر الله : علامات دينه ، المفرد : شعيرة .
(١٥) محلها : الذى يحل فيه نحرها .

أسرار البيت وعبره

المهابة والاجلال : ان فى هذا البيت العتيق لأسرارا وعبرا تنطق بما أودعه الله من المهابة والجلال ، وقد جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ومستقرا لتوحيده ، وتعظيمه .

ولسان حاله دائم القالة « لا اله الا الله ، والله أكبر » .

وفاة « ابراهيم » عليه السلام

عمر « ابراهيم » : عمر ابراهيم عليه السلام .

أين دفن ؟ ولما مات دفن فى الموضع الذى عليه مقامه فى « حبرون » .

مدينة الخليل : يسمى « مدينة الخليل » .

سارة : وفيه دفنت « سارة » من قبل .

وفاة « اسماعيل » عليه السلام

مؤرخو العرب : أين دفن ؟ يقول مؤرخو العرب : انه مات بمكة ، ويظن أنه دفن بالحجر الذى بجوار البيت .

هدى وارشاد

١ — تملك العقيدة على المرء مشاعره ووجدانه ، وتستولى على فكره ، فلا يحفل بالعذاب يحل به ، ولا بالنار يلقى فيها ، ولقد ضرب « ابراهيم » عليه السلام فى ذلك المثل العليا .

٢ — كانت ثورة ابراهيم على الأصنام ثورة عملية ، فقد جعلها جذاذا الا كبيرا ، واتخذ عمله هذا وسيلة لحاجتهم .

٣ — لم يتبرأ ابراهيم من آلهتهم أول الأمر ، ولكنه دفعهم الى امتحانها واحدا واحدا ، وأبان لهم عجزها ، وبذل جهدا فى ابتكار وسائل دعايته الى ما رآه حقا ، فلجأ الى النجوم فلما عرف أنها لا تصلح أن تكون آلهة جهر بأمره : « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

٤ — لقد جادل الملك وحاجه حتى ألزمه الحجة : « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم :

ربى الذى يحيى ويميت . قال : أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم . فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين .

٥ ــ كان فى حوار « ابراهيم » لأبيه رقة قلب ، وسعة صدر ، يتجلى ذلك فى قوله له : سلام عليك ، سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا . ردا على قوله له : لئن لم تنته لأرجمك ، واهجرنى مليـــا .

كما تتجلى فى قوله : واغفر لأبى انه كان من الضالين .

وفى قوله : فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفــور رحيم .

٦ ــ الطاعة التى لا معصية معها وليدة الايمان بالحق ، ولقد امتثل ابراهيم أمر ربه لمــا طلب منه فى منامه أن يذبح ابنـــه اسماعيل وليس له ابن سواه ابتغاء رضوان الله حتى فداه الله بذبح عظيم .

٧ ــ كان ابراهيم مضيافا كريما ، يكثر القرى لأضيافه ، فقد قدم لثلاثة عجلا سمينا راضية بذلك نفسه الكريمة .

٨ ــ دفعت ابراهيم غريزة حب الاستطلاع والوقوف على دقائق صنع الله تعالى أن يطلب منه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ليطمئن قلبه ، فاستجاب الله له ، وأتم عليه نعمته .

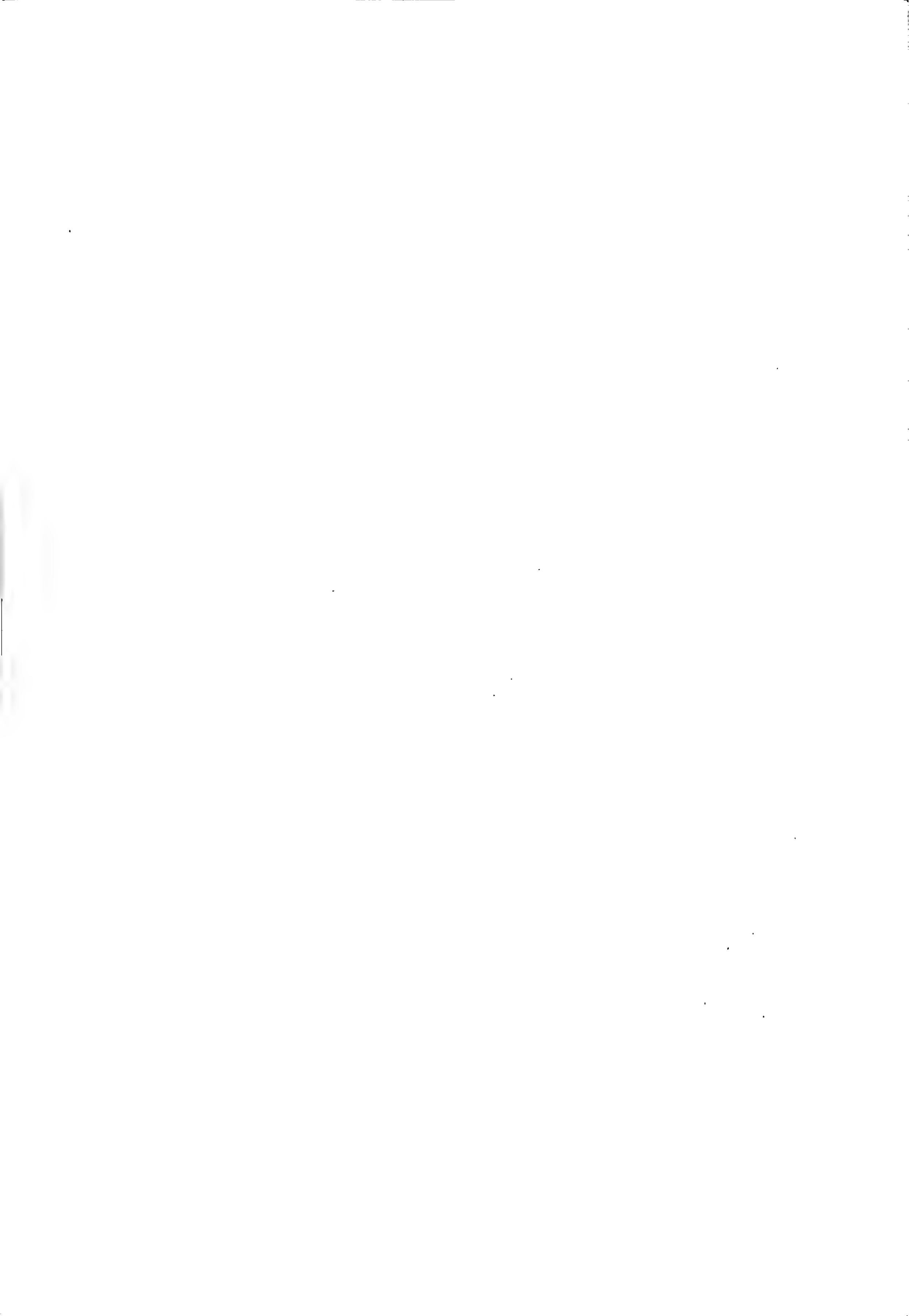


«٣»

موسى

عليه السلام

رسول الله وكليمه



٣ ـ « موسى » بن « عمران »

ولادته :

« عمران » يتزوج عمتــه :

ولد موسى عليه السلام من أبيه عمران ، وأمه يوكابد . وهى عمة أبيه ، ولم ينزل الأمر على موسى بتحريم مثل هذا الزواج الا بعد خروج بنى اسرائيل من مصر .

ما لقيتــه « بنــو اسرائيل » :

وقد لقى بنو اسرائيل فى هذا العهد الوان النكال ، والأهوال والظلم من فرعون الذى استبقى النساء ، وذبح الأبناء ، لأنه خشى أن يذهب ملكه على يد أحدهم كما أنبأه الكاهن .

رعاية الله :

ولكن رعاية الله كانت تكلأ موسى وعينه ترعاه « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم ائمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » من سورة القصص .

رضــاعة :

عيون « فرعون »:

صــندوق مــن الخشب :

ربــط الله عــلى قلب أمه :

أرضعته أمه ، واخفت أمره زهاء ثلاثة أشهر . ثم الهمها الله ـ وقد بعث فرعون عيونه فى المدينة ـ أن تضعه فى صندوق من الخشب ، وتلقيه فى اليم ، ففعلت : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ، لتكون من المؤمنين . من سورة القصص .

اخته تقص أثره :

وأمرت أخته أن تقص أثره ، وتعلم خبره ، وانبأ الله يوكابد أنه راده اليها ، وجاعله من المرسلين ، ليثبت فؤادها ، ويطمئن قلبهــا .

آل فرعـــــون : يلتقطــونه :

وسارت أخته تقفو أثره حتى التقطه آل فرعون ، ليكون لهم عدوا ، وحزنا . والقى الله عليه محبة زوج فرعون فاستحيته ، ليكون لها ولزوجها قرة عين .

تزهيــده فى المراضــع

اختــــه « مريم » تدعولهم من ترضعه

لم يقبل على ثدى احداهن . فعرضت أخته مريم على آل فرعون أن تدعو لهم من ترضعه ، وتكفله .

يقبل على ندى أمه

ثم اقبلت امه فأقبل على ثديها ، فدفعوه اليها ، ففرحت بذلك فرحا عظيما ، وعلمت أن وعد الله حق .

قال تعالى فى سورة « القصص » :

القاؤه فى اليم :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم(١) ، ولا تخافى ، ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين ٧ ، فالتقطه آل فرعون ، ليكون لهم عدوا ، وحزنا. ان فرعون وهامان ، وجنودهما كانوا(٢) خاطئين ٨ ، وقالت امرأة فرعون :

التقاط آل فرعون له :

محبة «زوج فرعون» لموسى :

« قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولدا ، وهم لا يشعرون ٩ ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا(٤) ان كادت(٥) لتبدى به لولا أن ربطنا(٦) على قلبها ، لتكون من المؤمنين ١٠. وقالت لأخته : قصيه(٧) ، فبصرت به عن جنب(٨) وهم لايشعرون وحرمنا عليه المواضع من قبل فقالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه(٩) لكم ، وهم له ناصحون ١٢ ، فرددناه الى أمه كى تقر(١٠) عينها ، ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣ » .

رده الى امه :

وعد الله حق :

وقال تعالى فى سورة « طه » :

ايحاء الله الى « أم موسى » :

عدو الله وعدوه :

« ولقد مننا عليك مرة أخرى ٣٧ ، اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ٣٦ : أن اقذفيه فى التابوت(١١) ، فاقذفيه فى اليم ، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى ، وعدو له ، وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع(١٢) على عينى ٣٩ ، اذ تمشى أختك فتقول : « هل أدلكم على من يكفله » ؟ ، فرجعناك الى أمك ، كى تقر عينها ، ولا تحزن ٤٠ » .

موسى فى قصر فرعون

أتمت أمه رضاعه:

عرف أنه « اسرائيلى » :

أتت به أمه الى قصر فرعون — وقد أتمت رضاعه — فنشأ بالقصر، ولما شب عرفه أنه اسرائيلى من المستضعفين، المضطهدين

---

(١) اليم : البحر ، والمراد به هنا : النيل .
(٢) خاطئين : متعمدين للخطيئة .
(٣) قرة عين : سرور وارتياح .
(٤) فارغا : خاليا من العقل ، لما دهمها من الخوف والحيرة .
(٥) ان كادت : انها كادت .
(٦) ربطنا على قلبها ، الربط على القلب : كناية من التثبيت .
(٧) قصيه : اقتفى أثره ، وتتبعى خبره .
(٨) عن جنب : عن بعد .
(٩) يكفلونه لكم : يقومون بأمره لأجلكم .
(١٠) تقر عينها :
(١١) التابوت : صندوق من خشب .
(١٢) ولتصنع على عينى : ولتربى وأنا راعيك .

« موسى » يعاهد نفسه ... »

من صفات«موسى»:

المثقلين بالآلام ، فعاهد نفسه أن يكون لهؤلاء ، واتجهت أنظارهم اليه ، ليحميهم ، أليس عالى الهمة ، كريم النفس ، وافر القوة ، يحق الحق ،ويبطل الباطل ، وينصر المظلوم ، ويدفع عنه عادية المعتدين ؟

« موسى » يبلغ اشده :

ولما بلغ أشده آتاه الله حكما وعلما ، وأوحى اليه بالنبوة : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين» ٤٤ — من « القصص » .

وجد « موسى » رجلين يقتتلان :

قضى « موسى »على « الفرعونى » :

ظن « الاسرائيلى» أن « موسى » يريد قتله :

ودخل المدينة يوما وأهلها غافلون فوجد فيها رجلين يقتتلان . أحدهما عبرانى من شيعته ، والآخر فرعونى ، فاستغاث العبرانى بموسى ، فوكز(١) الفرعونى وكزة قضت عليه ، فاستغفر «موسى» ربه ، وندم على فعلته ، وابتهل الى الله الا يجعله ظهيرا(٢) للمجرمين . وأصبح فى المدينة خائفا يترقب(٣) ، فاذا الذى استنصره(٤) بالأمس يستصرخه(٥) ، فعده « موسى » من الغاوين ، الضالين ، وتقدم يريد أن يظاهره ، فظن أن « موسى » يريد قتله ، فخاف بطشه ، وقال : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ؟ ان تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين » .

الفرعونى ينبىء قومه :

عرفوا القاتل :

ائتمارهمبه ليقتلوه:

النصح له بالخروج من المدينة، لينجو:

فلما سمع « الفرعونى » ذلك أسرع الى قومه فأنبأهم ، فعرفوا أن « موسى » هو القاتل ، وقد كانوا فى حيرة مذهلة ، وأمر مريج . فأتمروا به ليقتلوه ، فجاءه من أقصى المدينة رجل يسعى ، قال : « يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » ، ونصح له بالخروج من المدينة لينجو ، قال تعالى فى سورة « القصص » :

ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : هذا من شيعته(١) ، وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال : « هذا من عمل الشيطان ، انه عدو ، مضل مبين ١٥ ، قال : رب انى ظلمت نفسى ، فاغفرلى ، فغفر له ، انه هو الغفور الرحيم ١٦ ، قال : « رب بما أنعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين ١٧»، فأصبح فى المدينة خائفا يترقب ، فاذا الذى استنصره بالأمس

« موسى » يستغفر الله :

الذى استنصره بالأمسيستصرخه :

---

(١) وكزه : ضربه بجمع كفه .
(٢) ظهيرا : مساعدا .
(٣) يترقب : يترصد أن يقتص منه .
(٤) استنصره على عدوه : سأله أن ينصره عليه .
(٥) يستصرخه : يستغيثه .
(٦) شيعته : حزبه وأنصاره ، أى : اسرائيلى .

يستصرخه ، قال له موسى : «انك لغوى(١) مبين» ، فلما أن أرادان يبطش(٢) بالذى هو عدو لهما قال : « يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ؟ ان تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض ، وماتريد أن تكون من المصلحين ١٩ » وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى(٣) ، قال : « يا موسى ان الملأ يأتمرون(٤) بك ليقتلوك ، فاخرج انى لك من الناصحين » ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال : « رب نجنى من القوم الظالمين ٢١ » .

خرج « موسى » من المدينة خائفا يترقب :

وقال تعالى فى سورة « طه » :

تنجية الله له :

« وقتلت نفسا فنجيناك من الغم ، وفتناك(٥) فتونا » .

موسى بأرض مدين

خرج موسى من المدينة خائفا ، يترقب ، لا معين ، ولا رفيق الا رعاية الله له ، زاده التقوى ، والصبر الجميل .

الجهد والاعياء :

مشى حافيا ثمان ليال يريد مدين حتى تساقطت جلود قدميه .

وعن « ابن عباس » : « أنه ورد ماء مدين ، وأن خضرة البقل لتتراءى من بطنه من الهزال » .

عزاؤه :

وكان بعده عن « فرعون » وملئه مخففا لآلامه ، وخير عزاء له.

مورد الماء

الرعاء يتسابقون الى البئر :

« موسى » يرى امرأتين تبعدان أغنامهما :

ولما ورد ماء مدين(٦) وجد عليه جماعة يتسابقون الى البئر — معتمدين فى ذلك على قواهم ، ووجد من دونهم امرأتين تبعدان أغنامهما عن الورد(٧) ، حتى يسقى أولو القوة من الرعاة(٨) ، وينصرفوا .

حماية الضعيف

« موسى » يسأل المرأتين عن شأنهما :

أثار فى نفسه مارأى حماية الضعيف،فسأل المرأتين:ماشأنكما»؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاة أغنامهم عن الماء ، لأن قوتهم

(١) لغوى : لضال .
(٢) يبطش : البطش هو الأخذ بالعنف .
(٣) يسعى : يسرع .
(٤) يأتمرون بك : يتشاورون فيك .
(٥) وفتناك فتونا : ابتليناك ابتلاء .
(٦) أرض مدين : بين الشام والحجاز .
(٧) الورد : الماء الذى يورد .
(٨) الرعاء : الرعاة .

تثير كلماتهما فى نفسه حماية الضعيف فيسقى لهما :

تحول دون تقدمنا عليهم ، أو مشاركتهم ، وما جئنا الا مضطرتين، لأن أبانا شيخ كبير(١) ، فأقدم موسى — وهو الموفور القوة — على البئر ، فسقى لهما أغنامهما ، وقد رأى الرعاة من قوته ما منعهم أن يقفوا فى سبيله . ثم تولى الى الظل ليستعطف ربه ، ويسترحمه .

«موسى» يستعطف ربه ويسترحمه :

ولما عادت الفتاتان الى أبيهما مبكرتين على غير عادتهما أنكر منهما هذا التبكير ، وسألهما عن سببه ، فأخبرتاه ، فأرسل الشيخ احدى ابنتيه فى طلب موسى ، فقالت له — والحياء يغمرها :

الشيخ يطلب « موسى » :

ان أبى يدعوك ، ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فاستجاب موسى لدعوة الشيخ ، فأتى أهلا(٢) وسهلا ، وقص عليه قصصه ، فطمأنه قائلا : « لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين » .

« موسى » يقص على الشيخ قصته :

الشيخ يطمئنه :

قال تعالى فى سورة « القصص » :

« ولما توجه تلقاء مدين قال : عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل » ٢٢ . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين تذودان(٣) ، قال : ماخطبكما(٤) قالتا : « لا نسقى حتى يصدر(٤) الرعاء وأبونا شيخ كبير ٢٣ » ، فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، فقال : « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ٢٤ ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء ، قالت : « ان أبى يدعوك ، ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين » ٢٥ .

« موسى » يتولى الى الظل :

مصاهرة موسى للشيخ

الاطمئنان . . والاعجاب :

اطمأن كل منهما الى صاحبه ، وأعجب به ، فكلاهما فى الذروة من الايمان ، والاخلاص ، والخلق الكريم ، وقالت احدى الفتاتين — وهى التى دعت موسى — : « يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين » .

احدى الفتاتين تخاطب أباها :

ويذكر الطبرى فى تفسيره ما نصه :

الطبرى :

فأحفظته الغيرة(٦) أن قال : « وما يدريك ما قوته وأمانته ؟ »

---

(١) شيخ كبير : يرى « الحسن البصرى » و « مالك بن انس » أن الشيخ هو « شعيب » عليه السلام .
(٢) فأتى أهلا وسهلا : فأتى أهلا ونزل مكانا سهلا .
(٣) تذودان : تمنعان أغنامهما عن الماء .
(٤) ما خطبكما ؟ ما شأنكما ؟ .
(٥) يصدر الرعاء : يصرف الرعاة ماشيتهم عن الماء .
(٦) أحفظته الغيرة : أغضبته .

قوته وامانته :

فقالت : أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا . لم أر رجلا قط أقوى فى السقى منه . وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت اليه ، فلما علم أنى امرأة صوب(١) رأسه ، فلم يرفعه ، ولم ينظر الى حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : « امشى خلفى ، وانعتى لى الطريق ، ولم يفعل ذلك الا وهو أمين » .

اعجاب الشيخ براى ابنته : وابداء رغبته الى « موسى » :

فسرى(٢) عن أبيها ، وصدقها ، وظن به الذى قالت ، وأعجب الشيخ براى ابنته ، وأبدى رغبته الى موسى أن يزوجه احدى ابنتيه ــ وأشار اليهما ــ على أن يكون ظهيرا له : يرعى الغنم، ويساعده ثمانى سنين ، واذا أجمل معه جعلها عشرا ، فقبل موسى على ان له مطلق الحرية فى اى الأجلين .

« موسى » صهر للشيخ :

وبذلك صار موسى صهرا للشيخ ، وراعى غنمه .

قال تعالى فى سورة « القصص » :

« قالت احداهما : يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين » ٢٦ ، قال : « انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج(٣) ، فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ٢٧ » قال : « ذلك بينى وبينك ، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان(٤) على ، والله على ما نقول وكيل ٢٨ » .

الشيخ يعرض على « موسى رغبته » :

وفى سورة « طه » :

« فلبثت سنين فى أهل مدين ، ثم جئت على قدر(٥) ياموسى واصطنعتك(٦) لنفسى » .

موسى يعود الى وطنه

اكبر الأجلين : « موسى » يعد العدة للعودة الى وطنه : يبصر « نارا » :

قضى موسى أكبر الأجلين عشر سنوات ، ثم أحس بالشوق والحنين الى وطنه يدفعانه دفعا ، فأعدا العدة ، وودعهما الشيخ، ووهب لهما أغانم ، ودعا بخير ، وسارا ، فأبصر « موسى » من جانب الطور نارا ، فحط رحاله ، وأسرع اليها ، قائلا لزوجته :

---

(١) صوب رأسه : خفضه .
(٢) سرى عن أبيها : انكشف عنه ما كان يجد .
(٣) حجج : سنين ، المفرد : حجة .
(٤) فلا عدوان على : فلا مجاوزة للحد .
(٥) على قدر : على قدر من الوقت قدرته لأكلمك فيه .
(٦) اصطنعتك لنفسى : اصطفيتك لمحبتى .

« امكثوا انى رأيت نارا لعلى آتيكم منها بخير ، أو قطعة من الجمر لعلكم تستدفئون .

قال تعالى فى سورة « القصص » :

« فلما قضى موسى الأجل ، وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله : « امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها(١) بخبر ، أو جذوة(٢) من النار ، لعلكم تصطلون(٣) . ٢٩ » .

شاطىء الوادى الأيمن :
رسالة « موسى » :
هرب « موسى » وخوفه :

فى شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة بدات رسالة موسى ، وعظمت كرامته ، فنودى : « أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ، وألق عصاك » ، فلما رآها تهتز كأنها حية تسعى هرب خائفا ، فناداه : اقبل يا موسى ولا تخف ، فأنت من الآمنين .

وفى سورة « القصص » :

ينادى « موسى » من شاطىء الوادى الأيمن :
الآية الأولى :

« فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة : « أن ياموسى ، انى أنا الله رب العالمين ، وأن ألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان(٤) ولى مدبرا ، ولم يعقب(٥) ، ياموسى . أقبل ، ولا تخف انك من الآمنين » .

الآية الثانية :

وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء تتلألأ من غير آفة ، واضمم اليك يديك من أجل الخوف اذا أصابك ، لتظهر ضبط نفسك . فهاتان حجتان من ربك الى فرعون ، وقومه ، انكم خارجون عن الدين .

يؤيد ذلك قول الله تعالى فى سورة « القصص » :

كان « موسى » شديد السمرة :

« اسلك(٦) يدك فى جيبك(٧) تخرج بيضاء من غير سوء(٨) ، واضمم اليك جناحك(٩) من الرهب(١٠) ، فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه(١١) ، انهم كانوا قوما فاسقين(١٢) » .

---

(١) آنست نارا : أبصرت نارا .
(٢) جذوة من النار : جمرة ملتهبة .
(٣) تصطلون : تستدفئون .
(٤) جان : نوع من الحيات ، خفيف ، سريع .
(٥) لم يعقب الم يرجع .
(٦) أسلك : أدخل .
(٧) جيبك : جيب القميص : طوقه .
(٨) من غير سوء : من غير آفة — وكان « موسى » شديد السمرة .
(٩) اضمم اليك جناحك : المراد : الأمر بالتجلد والثبات .
(١٠) الرهب : الخوف .
(١١) ملئة : قومه .
(١٢) فاسقين : خارجين عن الدين .

« موسى » يخاف أن يقتلوه :
« هرون » يعينه ويصدقه :
الحجة والبرهان :

قال : « رب انى قتلت منهم نفسا ، فأخاف أن يقتلون ، فأرسل معى هرون أخي يعينني ويصدقنى ، انى أخشى تكذيبهم لى ، ولسانى لا يطاوعنى عند الحاجة ، وهو أفصح منى لسانا ، قال الله : « سنعينك بأخيك هرون ، ونجعل لكما حجة ، وبرهانا ، فلا يصلون اليكما ، اذهبا بآياتنا اليهم ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون ».

قال تعالى فى سورة « القصص » :

السلطان :

« قال : « رب انى قتلت منهم نفسا ، فأخاف أن يقتلون ٣٣ ، وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى ردءا(١) يصدقنى ، انى أخاف أن يكذبون ٣٤ » ، قال : « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا(٣) ، فلا يصلون اليكما ، بآياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون » ٣٥ .

وقال تعالى فى سورة « النمل » :

آنس « موسى » نارا :

« اذ قال » موسى لأهله : « انى آنست نارا ، سآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشهاب(٤) قبس(٥) لعلكم تصطلون ٧ » ، فلما جاءها نودى : « أن بورك من فى النار ، ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين ٨ ، يا موسى . انه أنا الله العزيز الحكيم » ٩ .

ومنها أيضا :

« موسى » يولى مدبرا :
ادخال اليد فى الجيب :

« وألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ، ولم يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ١٠ ، الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ١١ ، وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه ، انهم كانوا قوما فاسقين ١٢ » .

وقال تعالى فى سورة « النازعات » :

الوادى المقدس طوى :

« هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى(٦) : « اذهب الى فرعون أنه طغى(٧) ٧ ، « فقل هل لك الى أن تزكى(٨) وأهديك الى ربك فتخشى ١٩ » .

---

(١) ردءا : معينا .
(٢) سنشد عضدك : المراد التقوية .
(٣) سلطانا : حجة وبرهانا .
(٤) شهاب : شعلة من نار ساطعة ، وكل مضيء متولد من النار ، وكل مايرى كأنه كوكب منقض ، وقد يطلق على الكواكب .
(٥) قبس : شعلة من نار .
(٦) طوى : اسم الوادى .
(٧) طغى : جاوز الحد فى العصيان .
(٨) تزكى : تطهر .

وقال فى سورة « طه » :

طغيان « فرعون »: القول اللين :

« اذهب أنت وأخوك بآياتى ، ولا تنيا(١) فى ذكرى ٤٢ ، اذهبا الى فرعون ، أنه طغى ٤٣ ، فقولا له قولا لينا ، لعله يتذكر ، أو يخشى ٤٤ » ، قالا « ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا(٢) ، أو أن يطغى ٤٥ » ، قال : « لا تخافا ، اننى معكما أسمع ، وأرى ٤٦ ، فأتياه ، فقولا : انا رسـولا ربك ، فأرسـل معنا بنى اسرائيل ، ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك ، والسـلام على من اتبع الهدى » .

ومنها أيضا : —

عصا « موسى » :

« وما تلك بيمينك يا موسى ؟ » ١٧ ، قال : « هى عصاى ، أتوكأ عليهـا ، وأهش بهـا على غنمى ، ولى فيهـا مـآرب(٣) أخرى » ١٨ ، قال : « ألقها يا موسى ١٩ » ، فألقاها ، فاذا هى حية تسعى ٢٠ ، قال : « خذها ولا تخف ، سنعيدها(٤) سيرتها الأولى ٢١ ، واضمم يدك الى جناحك(٥) تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ٢٢ ، لنريك من آياتنا الكبرى ٢٣ .

القاؤها :

ضـم يـده الى جناحه :

وقال تعالى فى سورة « الاسراء » :

الكتـاب هـدى لبنى اسرائيل :

« وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيـل : ان لا تتخذوا من دونى وكيلا(٦) ٢ ، ذرية من حملنا مع « نوح » ، انه كان عبدا شكورا ٣ »

وقال تعالى فى سورة « طه » :

يلتمس « موسى » على النـار هاديا يهديه الى الطريق: « موسى » نودى :

« وهل أتاك حديث موسى ٩ ، اذ رأى نارا ، فقـال لأهله : « أمكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس ، أو أجد على النار(٧) هدى ، ١٠ فلما أتاها نودى : ياموسى ١١ ، انى أنا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى ١٢ ، وأنا اخترتك ، فاستمع لما يوحى ١٣ ، اننى أنا الله ، لا اله الا أنا ، فاعبـدنى، وأقم الصلاة لذكرى ١٤ ، ان الساعة آتية اكاد أخفيها ، لتجزى كل نفس بما تسعى ١٥ ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ، واتبع هواه فتردى(٨) ١٦ .

السـاعة :

الجـزاء :

---

(١) لاتنيا : لا تفترا .
(٢) يفرط علينا : يعجل علينا بالعقوبة .
(٣) مآرب : مقاصد .
(٤) سنعيدها سيرتها الأولى : سنرجعها الى حالتها الأولى .
(٥) جناحك : جنبك .
(٦) وكيلا : ربا تكلون اليه أموركم .
(٧) أو أجد على النار هدى : أجد هاديا يهدينى الى الطريق .
(٨) فتردى : فتهلك .

وقال تعالى فى سورة « القصص » :

جانب الوادى الغربى : أهل « مدين » : جانب « الطور » :

« وما كنت[1] بجانب الغربى اذ قضينا الى « موسى » الأمر ، وما كنت من الشاهدين ٤٤ ، ولكنا أنشأنا قرونا[2] ، فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا[3] فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا مرسلين ٤٥ ، وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك ، لعلهم يتذكرون ٤٦».

وقال تعالى فى سورة « طه » :

عقد اللسان : « موسى » يطلب « هارون » أخاه وزرا له : يستجيب الله له :

« اذهب الى فرعون انه طغى ٢٤ ، قال : « رب اشرح لى صدرى[4] ٢٥ ، ويسر[5] لى أمرى ٢٦ ، واحلل عقدة من لسانى ٢٧ يفقهوا قولى ٢٨ .واجعل لى وزيرا من أهلى ٢٩ ، «هرون» أخى ٣٠ ، اشدد[6] به أزرى ٣١ ، وأشركه فى أمرى ٣٢ ، كى نسبحك كثيرا ٣٣ ، ونذكرك كثيرا ٣٤ ، انك كنت بنا بصيرا ٣٥ » ، قال: قد أوتيت سؤلك[7] يا « موسى » .

حبسة لسان « موسى »

يروى المفسرون لحبسة لسان موسى أو لكنته سببا :

« موسى » نتف خصلة من لحية « فرعون » : « جمرة »و«ثمرة»:

هو أن موسى وهو صغير نتف خصلة من لحية فرعون ، فأراد قتله ، فقالت له زوجه : « انه لا يعقل ما يفعل » ، ووضعت جمرة ، وثمرة فى طشت ، فأخذ موسى الجمرة ، ووضعها فى فيه ، فأثرت فى لسانه ، فنشأ غير فصيح ، وقد يكون هذا غير صحيح .

وهناك سببان لحبسته :

تحريم المراضع على « موسى » مدة :

الاول : أن الله قد حرم على موسى المراضع مدة ، رحمة بأمه، حتى جاءت فأرضعته ، واذا تأخر الطفل عن الرضاع مدة كهذه أورثه ذلك حبسة فى لسانه .

مكث « موسى » فى « مدين » زمنا طويلا :

الثانى : أن « موسى » مكث فى مدين زمنا طويلا ، فنسى اللغة المصرية .

---

(١) وما كنت بجانب الغربى : ما كنت بجانب الوادى الغربى .
(٢) قرونا : أجيالا مختلفة من الناس .
(٣) ثاويا : مقيما .
(٤) أشرح لى صدرى : وسعه لقبول الحق .
(٥) ويسر لى أمرى : وسهل لى أمرى .
(٦) اشدد به أزرى : قونى به فوق قوتى .
(٧) سؤلك : مسئولك .

أقام « هرون » مع المصريين حياته :

أما هرون فكان مقيما مع المصريين حياته ، فهو جدير أن يفهمهم ويفهم منهم .

حوار موسى و هرون

« هرون »كان يجيد العبرانية :

استطاع موسى أن يحاور أخاه هـــرون ، لأن هرون كان يجيد العبرانية ، وهى قريبة من لغة أهل مدين .

فرعون وأعوانه

انصرافهم عن الايمان بالله :

ايغالهم فى التنكيل ببنى اسرائيل :

ظل فرعـــون وأعوانه يحكمون بنى اسرائيـــل ، واتخـــذوا من نفوسهم أربابا لهم من دون الله ، وانصرفوا عن الايمان بالله ونور اليقين الى شهواتهم وغوايتهم ، أوغلوا فى تعذيب بنى اسرائيل والتنكيل بهم ، وساموهم الخسف ، والذلة ، وكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، فانطفأ بين أيديهم نور الرجاء .

دعـــوة موسى لفرعـــون

« موسى »و«هرون» يبلغان « فرعون » رسالة الله :

ويطلبـــان اليه أن يرسل معهما « بنى اسرائيل » :

ويخبرانه أنهما قد أرسلا بآية من رب العالمين :

امتثال لأمر الله :

آية الله :

انطلق موسى وهرون الى فرعون فبلغاه رسالة الله تعالى ، وطلبا اليه أن يرسل معهما « بنى اسرائيل » لعبادة الله وحده ، أنهما قد أرسلا بآية من رب العالمين ، وجعل موسى موافقة فرعون على ارسال بنى اسرائيل نعمة يمنها عليه .

وفى ذلك الأدب امتثال لأمر الله : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » . قال تعالى فى سورة « الاعراف » :

« وقال موسى : يا فرعون انى رسول من رب العالمين ١٠٤ ، حقيق على ألا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم ، فأرسل معى بنى اسرائيل » .

وفى سورة الشعراء :

موافقة « فرعون » على ارسال « بنى اسرائيل » نعمـــة يمنها على«موسى» :

أن أرسل معنا بنى اسرائيل ١٧ .

وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ٢٢ .

توبيخ :

ويرى بعض المفسرين أن فى هذه الآية : وتلك نعمة .. الخ . توبيخا من موسى عليه السلام لفرعون ، لأنه استعبد بنى اسرائيل، وتهكما به من أجل ذلك .

أدب جم : ويرى آخرون : ان فى الآية أدبا جما ، فهو يقول : « ان موافقتك على ارسال بني اسرائيل وتعبيدك لهم ، أى تكريمك ، وتمكينهم من عبادة الله نعمة تمن بها على » .

هذا الى تربيتى ، ومكثى بينكم سنين من عمرى .

فرعون يذكر موسى تربيته فى قصره

اللوم : وجه فرعون اللوم الى موسى وذكره بتربيته وليدا ، وبمكثه فى قصره من عمره سنين ، فكان عليه أن يرعى هذه المكرمة ، ويحفظ ذلك الجميل ، ثم ذكره بقتل القبطى وهربه .

ادحاض دعوة « فرعون » : فانبرى له موسى عليه السلام يدحض(١) دعوته ، ويسفه قولته، قائلا : فعلتها اذا وأنا من الضالين ، ففرت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربى حكما ، وجعلنى من المرسلين » .

وفى سورة « الشعراء » أيضا :

تربيته « موسى » وليدا : خوفه : « موسى » من المرسلين : « قال » ألم نربك فينا وليدا(٢) ، ولبثت فينا من عمرك سنين ١٨ . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ١٩ » ، قال : فعلتها اذا وأنا من الضالين ٢٠ ، ففررت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربى حكما ، وجعلنى من المرسلين ٢١ » .

فرعون يحاور موسى ويحاجه فى ربوبيته الله

« فرعون » يسأل « موسى » عن رب العالمين : غيظ « فرعون » : **أخذ فرعون يحاور موسى ويحاجه فى رب العالمين ، فسأله :** وما رب العالمين ؟ فقال موسى : رب السموات والأرض وما بينهما ، خالق هذا الكون ومبدعه » ، فكاد فرعون يتميز(٣) من الغيظ ، والتفت الى من حوله يعجبهم(٤) ، ويثير استنكارهم .. قائلا : « ألا تستمعون ؟

رد « موسى » : أسأله عن حقيقة ربه فيذكر أفعاله ، فقال موسى : « ربكم ورب آبائكم الأولين) ، (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ».

اضطراب « فرعون » : فاضطرب فرعون ولج فى ضلاله ، فقالا له : « انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى » ، قال فرعون : « فمن ربكما

---

(١) يدحض : يدفع ، ويبطل .
(٢) وليدا : صبيا مولودا .
(٣) يتميز من الغيظ : يتقطع من الغضب .
(٤) يعجبهم : يثير عجبهم .

« موسى » يصف ربه :

« القرون الأولى »:

يا موسى » ؟ فأعلمه أنه هو الذى أحصى كل شيء خلقه : أعطاهم العقول والحواس ، وخلق لهم ما فى الأرض ، وجعلهم فيها خلفاء، وصرفهم فيما عليها من حيوان ، وما فيها من خيرات » ، فسأل فرعون : فما بال القرون الأولى ؟ . قال موسى : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ، ولا ينسى .

قال تعالى فى سورة « طه » :

من كذب وتولى :

الأرض :

والسماء :

انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ٤٨ » ، قال : فمن ربكما يا موسى ٤٩ ؟ قال : ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى ٥٠ قال : فما بال القرون(١) الأولى ؟ ٥١ ، قال : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل(٢) ربى ، ولا ينسى ٥٢ ، الذى جعل لكم الأرض مهدا(٣) ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا(٤) من نبات شتى(٥) ٥٣ . كلوا وارعوا أنعامكم(٦) ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى(٧) ٥٤ ، منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ٥٥ » .

وفى سورة « الشعراء » :

« فرعون » يسأل « موسى » عن ربه :

و « موسى » يجيبه :

« قال فرعون : « وما رب العالمين ؟ ٢٣ قال : « رب السموات والأرض وما بينهما أن كنتم موقنين ٢٤ » ، قال لمن حوله : الا تستمعون ٢٥ ؟ ، قال : ربكم ورب آبائكم **الأولين** ٢٦ ، قال : ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ٢٧ ، قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ٢٨ » .

فرعون يدعى الألوهية

« فرعون » بين ملئه :

لم يكترث للدعوة :

« هامان » :

وجه موسى دعوته الى فرعون وهو بين ملئه ، وذلك يحط — فى رأيه — من قدره ، ويضع من مكانته(٨) ، فلم يكترث(٩) للدعوة ، وتجاهل الله ، وانصرف الى ملئه يوهمهم أنه سيصعد الى السماء ، ليطلع الى اله موسى — وانه ليظنه كاذبا — ، وأمر هامان أن

---

(١) القرون الأولى : أهل القرون الأولى من جهة السعادة والشقاوة بعد موتهم .
(٢) لا يضل ربى : لا يخطىء .
(٣) مهدا : فراشا .
(٤) أزواجا : أصنافا .
(٥) شتى : متفرقات فى الصور والمنافع ، المفرد : شتيت .
(٦) أنعامكم : جمع نعم : المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الابل، وتطلق أيضا على البقر والغنم .
(٧) النهى : العقول ، المفرد نهيه ، وأولو النهى : أصحاب العقول .
(٨) مكانته : منزلته .
(٩) لم يكترث للدعوة : لم يبال بها .

« فرعون » يحاول اقناع قومه :

يعد العدة لذلك ، فيبنى له صرحا شامخا ينال السماء ، يدخل بذلك فى ردع(١) قومه ، وركنه(٢) أنه أمر تناله قدرته ، وتيسره ربوبيته .

وهم يتمالئون على أمره :

وما أظن الجهل قد بلغ من هذا الشأو(٣) ، وما أحسب ملأه الا قد تمالئوا(٤) على أمره ، مجاراة له ، ومجاملة ، لينالوا عنده المنزلة ، ويفوزوا بالخطوة — وان باينت(٥) ما تكنه نفوسهم .

ماذا فعل هامان ؟

القرآن الكريم المفسرون

لم يذكر القرآن الكريم شيئا فعله هامان ، ولم يشر اليه ، ولكن المفسرين ذكروا أن هامان بنى صرحا وصل الى غاية ليس وراءها غاية ، ثم صعد فرعون ، ورمى بسهم الى السماء فعاد خضيبا بالدماء ، فقال : « لقد قتلت اله موسى » .

توهيم وتضليل :

فمن أين هذه الدماء ؟

وما هذا التوهيم والتضليل ؟

قال تعالى فى سورة « القصص » :

هامان والصرح :

وقال فرعون : يأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على الطين ، فاجعل لى صرحا ، لعلى أطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه من الكاذبين .

وفى سورة غافر :

رجاء الاطلاع على اله موسى :

وقال فرعون : يا هامان ابن لى صرحا ، لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فأطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله ، وصد عن السبيل ، وما كيد فرعون الا فى تباب .

« فرعون » يثور . يتوعد « موسى » :

ثارت ثائرة فرعون وكبر عليه أن يستمع لموسى ، وأخذته العزة بالاثم ، فقال — وقد بلغ غضبه أشده — : « لئن اتخذت الها غيرى

---

(١) روع قومه : قلوبهم وعقولهم .
(٢) ركنه : قومه ذوى عزته وقوته .
(٣) الشأو : الغاية .
(٤) تمالئوا على أمره : اجتمعوا عليه .
(٥) باينت : خالفت .

رجاء « موسى » : لأجعلنك من المسجونين » ، فقال موسى — وقد بعث الرجاء لسانه : « أولو جئتك بشىء مبين » (١) فتنتضح من الشك باليقين ؟ وقال فرعون « فأت به ان كنت من الصادقين » .

معجزتا العصا واليد

محاكاة المعجزة لما برع فيه القوم من فن السحر :

أجرى الله المعجزة على يد موسى تحاكى ما برع فيه القوم من فن السحر الذى ذاع بينهم أمره ، واشتهر ذكره ، وكان فى مصر سحرة بلغوا شأوا خطيرا (٢) .

الخزى والحيرة : خوف الله ، وقدرته :

أراد الله أن تكون المعجزة مما كان لهم فيه السبق والبراعة وحده ، فيذهلهم(٣) ، ويقفهم موقف الخزى ، والحيرة ، والضعف ، والاستكانة(٤) ويستشعرهم(٥) خوفه ، وقدرته ، وأن كلمة الله هى العليا .

عصا « موسى » ثعبان مبين : يد « موسى » بيضاء : ارجاء « موسى » « هرون » :

فألقى موسى عصاه ، فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده ، فاذا هى بيضاء للناظرين ، فصمموا فى تكذيبهم ، وقالوا : ساحر عليم، فأشار الملأ من قوم فرعون عليه أن يرجىء موسى وأخاه هرون حتى يجمع السحرة من أرجاء مصر وآفاقها . فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يجمعون السحرة .

يوم الزينة : الحبال والعصى : فرح « فرعون » وملئه :

وفى يوم الزينة — وقيل : « هو يوم وفاء النيل — راود السحرة موسى ، : أيلقى سحره أولا أم يلقون هم ؟ فقال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا الحبال ، والعصى ، فخيل لموسى من سحرهم انها حيات وثعابين تسعى ، وفرح « فرعون » وملأه فرحا شديدا ، واعتقدوا أنهم الغالبون » .

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

الآية :
١ — عصاه
٢ — يده

قال : « ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين ١٠٦ . فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ١٠٧ ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ١٠٨ ، قال الملأ من قوم فرعون : ان هذا لساحر عليم ١٠٩ ، يريد أن يخرجكم من أرضكم ، فماذا تأمرون ١١٠ ، قالوا: « أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين(٦) ١١١ جامعين : يجمعون السحرة .

---

(١) تنتضح : تتبرأ .
(٢) خطيرا : عظيما .
(٣) يذهلهم : يجعلهم يذهلون ويغيبون عن رشدهم .
(٤) الاستكانة : الخضوع .
(٥) يستشعرهم خوف الله : يجعلهم يشعرون بخوف الله .
(٦) حاشرين : جامعين ، يجمعون السحرة .

السحرة و«فرعون» :

وجاء السحرة فرعون قالوا : «أإن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ١١٣ قال : « نعم ، وانكم لمن المقربين ١١٤ » ، قالوا : « ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ١١٥ ، قال : « ألقوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس ، واسترهبوهم(١) ، وجاءوا بسحر عظيم ١١٦ »

القاؤهم :

خوف موسى :

فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، فأزال الله خوفه ، وأمره أن يلقى عصاه ، فألقاها ، فصارت حية تسعى ، ابتلعت حيات السحرة ،

عصا « موسى » :

فبطل ما كانوا يعملون ، وسجدوا لله ، وآمنوا به ، فغاظ ذلك فرعون ، وقال لهم : انه لكبيركم الذى علمكم السحر — وهو عالم أن موسى ليس له بالسحر صلة من قبل — وأخذ يؤنبهم ويتوعدهم بالعذاب الأليم ، لأنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم : « آمنتم له قبل أن آذن لكم» ، ويتهددهم بقطع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف، وبالتصليب(٣) فى جذوع النخل ، فلم يأبهوا(٤) بتهديده ، وخشى أن يبدل موسى دين المصريين ، أو أن يظهر فى الأرض الفساد الذى يراه باطلاق بنى اسرائيل من أسر العبودية . لم يفلح فرعون فى رد موسى عن رسالته ، لأنه جاد فيها وقد أبى فرعون وقومه أن يؤمنوا بموسى ، وتمادوا فى طغيانهم ، لأن حياتهم المترفة ، وعيشتهم(٥) الرغد جعلت قلوبهم قاسية . فتوجه موسى الى ربه ، وسأله لهم الضلال ، وسوء الحال ، وأن يسومهم اليم العذاب : « ربنا أطمس(٦) على أموالهم ، واشدد(٧) على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .

« فرعون » يتوعد ويهدد :

« فرعون » يخشى أن يبدل « موسى» دين المصريين :

« موسى » جاد فى رسالته :

حياة « فرعون » وقومه :

« موسى » يتوجه الى ربه :

اقامة الصلاة :

فاستجاب الله سؤله ، وأمره أن يقيم الصلاة فى بيوت يتخذها لبنى اسرائيل فى مصر .

وفى سورة يونس :

استكبار« فرعون » وملئه :

ثم بعثنا من بعدهم موسى و هرون الى فرعون وملئه بآياتنا ، فاستكبروا ، وكانوا قوما مجرمين ٧٥ ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : ان هذا لسحر مبين » ٧٦ . قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم ، أسحر هذا ؟ ولا يفلح الساحرون ٧٧ ، قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ، وتكون لكما الكبرياء فى الأرض ؟ وما نحن لكما بمؤمنين ٧٨ » . وقال فرعون : ائتونى بكل ساحر عليم ٧٩ » ، فلما جاء السحرة قال لهم موسى : القوا ما أنتم ملقون ٨٠ ، فلما القوا قال موسى : « ما جئتم به السحر،

ما وجدوا عليه آباءهم :

« موسى » والسحرة :

---

(١) استرهبوهم ارهابا شديدا .
(٢) يتهددهم : يخوفهم .
(٣) التصليب : الصلب ، وشدد للكثرة .
(٤) يأبهوا : لم يهتموا .
(٥) عيشتهم الرغد : الواسعة ، الطيبة .
(٦) اطمس على أموالهم : أهلكها ، والطمس : المحق .
(٧) اشدد على قلوبهم : أقسيها ، واختم عليها حتى لا تنشرح للايمان

المؤمنون بموسى :

« موسى » وقومه:

ان الله سيبطله ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٨١ ، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ٨٢ ، فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم(١) ، وان فرعون لعال فى الأرض ، وانه لمن المسرفين ٨٣ » ، وقال موسى : « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ٨٤ » ، فقالوا : على الله توكلنا ، ربنا لا تجعلنا فتنة(٢) للقوم الظالمين ٨٥ ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ٨٦ » ، وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا(٣) لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة(٤)، وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين ٨٧ » .

البيوت مساجد :

اجابة الدعوة :

وقال موسى : « ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ٨٨ » ، قال : « قد أجيبت دعوتكما ، فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ٨٩ » .

وفى سورة « الشعراء » :

شىء مبين :

ارجاء أمر «موسى» و « أخيه » :

جمع السحرة :

قال : « لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ٢٩ » ، قال : أولو جئتك بشىء مبين ٣٠ ، قال : فأت به ان كنت من الصادقين ٣١ » ، فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ٣٢ ، ونزع(٥) يده فاذا هى بيضاء للناظرين ٣٣ ، قال للملأ حوله(٦) : « ان هذا لساحر عليم ٣٤ ، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ، فماذا تأمرون ؟ ٣٥ »، قالوا : أرجه(٧) وأخاه ، وابعث فى المدائن حاشرين ٣٦ ، يأتوك بكل سحار عليم ٣٧ ، فجمع السحرة لميقات(٨) يوم معلوم ٣٨ ، وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون ، لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ٤٠ ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : « أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ٤١ » ، قال : نعم ، وانكم اذا لمن المقربين ٤٢ » .

عصا « موسى » تلقف ما يأفكون :

قال لهم موسى : « ألقوا ما أنتم ملقون ٤٣ » ، فألقوا حبالهم وعصيهم . وقالوا : « بعزة فرعون انا لنحن الغالبون » ٤٤ ، فألقى موسى عصاه ، فاذا هى تلقف ما يأفكون ٤٥ ، فألقى السحرة

---

(١) أن يفتنهم : أن يعذبهم .
(٢) فتنة : موضع عذاب .
(٣) أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا : اتخذوا لهم مساكن .
(٤) قبلة : مصلى ، أو مسجد .
(٥) ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ، كان « موسى » عليه السلام شديد السمرة ، ولذا عدت معجزة .
(٦) الملأ : الأشراف .
(٧) أرجه وأخاه : أرجىء أمرهما .
(٨) ميقات : ميعاد .

ايمان السحرة : ساجدين ٤٦ ، قالوا : آمنا برب العالمين ٤٧ ، رب موسى وهرون ٤٨ » ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم أجمعين ٤٩ » ، قالوا : لا ضير(١) ، انا الى ربنا منقلبون ٥٠ ، انا نطمع أن يغفرلنا ربنا خطايانا(٢) أن كنا(٣) أول المؤمنين ٥١ » .

السحرة لا يأبهون بوعيد « فرعون » :

فرعون يصر على عنـــاده

الأســف يغمــر « فرعون » :

اصـــراره على عناده :

انكار قومه عليــه ترك « مــوسى » وقومه :

« فرعون » يسكن ثورة قومه :

قــوم « موسى » يستغيثونه :

« موسى » يعدهم الحرية والنجاة :

ذهل فرعون ، وغمرته(٤) موجة من الأسى(٥) ، والأسف ، وخشى على سلطانه أن يمحق ، وعلى بهتانه(٦) أن يصعق ، فأصر لى عناده ، واضطر أن يجاهد ، ويجادل حتى يتقشع هذا السحاب وتصفو له ولملئه الحياة ، وأنكر عليه قومه ترك موسى ومن معه يفسدون فى الأرض ، فسكن فرون ثورتهم ، ووعدهم أنه سيقتل أبناءهم ، ويستحيى نساءهم ، ثم أنزل بهم ألوان العذاب ، فلجئوا الى موسى » يســتغيثونه قائلين : « أوذينا من قبل أن تأتينـــا ، ومن بعدماجئتنا » فطمأنهم ، ووعدهم النجاة ، والحرية ، والسعة بعد الضيق ، وقال لهم : « استعينوا بالله واصبروا ، ان الأرض الله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

« فرعـــــون » و « قومه » :

وقال الملأ من قوم فرعون ، : أتذر(٧) موسى ، وقومه ، ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك وآلهتك ؟ قال : سنقتل أبناءهم ، ونســـتحيى نساءهم ، وانا فوقهم قاهرون ١٢٧ ، قال موسى لقومه : استعينوا بالله ، واصبروا ، أن الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ١٢٨ » ، قالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا ، قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم(٨) فى الأرض فينظر كيف تعملون ١٢٩» .

« موسى » وقومه:

فرعون وقومه يأتمرون بموسى ليقتلوه

« فرعون » وقومه يأتمرون بموسى ، ليقتلوه :

ولما سدت أمام فرعون وملئه السبل ، وأعيتهم الحيل راحوا يأتمرون بموسى ليقتلوه ، ورأوا أن ذلك خير سبيل لبقاء ملكهم

---

(١) لاضير : لا ضرر .
(٢) خطايانا : ذنوبنا ، المفرد : خطيئة .
(٣) أن كنا : لأن كنا .
(٤) غمرته : علته .
(٥) الأسى : الحزن ، والأسف : الحزن الشديد .
(٦) البهتان : الكذب ، والافتراء .
(٧) تذر : تترك .
(٨) يستخلفكم فى الأرض : يجعلكم خلفاء فيها .

نصح لهم رجل مؤمن من آل فرعون :

الآيات :

وقائع الله :

واطمئنانهم . فأنار الله بصيرة رجل من آل فرعون يكتم ايمانه ، فجادلهم ، وبين لهم سوء تدبيرهم ، وحذرهم بأس الله ، وبطشه، وأراهم أنه لا ينبغى أن يقتلوا رجلا ، لأنه يقول : ربى الله ، وقد جاءهم بما يثبت صدقه من الآيات ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبهم بعض ما أنذرهم به ، ثم أبان لهم وقائع الله تعالى بالأمم السابقة ، وجزاءهم الوفاء بما كانوا يصنعون ، وأنه مجازيهم على سيئاتهم ، وحسناتهم .

اعراضهم عن قوله :

يدعونه الى النار :

فأعرضوا عن قوله ، وبذلوا قصارى جهدهم ، ليردوه الى دين قومه ، يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار ، وهم يدعونه الى الكفر به ، يدعونه الى عبادة مالا ينفع ، ولا يشفع ، يدعونه الى النار .

أخلص لهم النصح ، ليخلصهم من النار ، عذاب المسرفين ، ثم فوض أمره الى الله .

قال تعالى فى سورة « غافر » :

أتقتلون رجلا لأنه يقول : ربى الله ؟

لكم الملك اليوم :

يوم الأحزاب .

يوم التناد :

يوسف :

المتكبر ، الجبار :

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ٢٨ ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين(١) فى الأرض ، فمن ينصرنا من بأس(٢) الله ان جاءنا » قال فرعون : « ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » ٢٩ ، وقال الذى آمن : « يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب(٣) ٣٠ ، مثل دأب(٤) قوم نوح و عاد و ثمود ، والذين من بعدهم ، وما اللهيريد ظلما للعباد ٣١ ، ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد(٥) ٣٢ ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم(٦) ، ومن يضلل الله فماله من هاد ٣٣ ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فمازلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا » . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب(٧) ٣٤ ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان(٨) أتاهم كبر مقتا(٩) عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع(١٠) الله على كل قلب متكبر جبار ٣٥ » .

---

(١) ظاهرين فى الأرض : غالبين فيها .
(٢) بأس الله عذابه .
(٣) مثل يوم الأحزاب : مثل أيام الأمم الماضية ، يعنى وقائعهم .
(٤) مثل دأب قوم نوح : مثل عادتهم .
(٥) يوم التناد : يوم التنادى ، أى يوم ينادى فيه بعض الناس بعضا ، وهو يوم الآخرة .
(٦) عاصم : حافظ .
(٧) مرتاب ، شاك .
(٨) سلطان : دليل وبرهان .
(٩) المقت : أشد النفور .
(١٠) يطبع : يختم ، وهما بمعنى الاغلاق .

وفى سورة « غافر » أيضا :

قول الذى آمن :

« وقال الذى آمن : يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ٣٨ ، يا قوم ، انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هى دار القرار ٣٩ ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغيرحساب ٤٠ ، ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة ، وتدعوننى الى النار ٤١ ؟ تدعوننى لأكفر بالله ، وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ٤٢ ، لا جرم(١) أن ماتدعوننى اليه ليس لهدعوة فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وأن مردنا(٢) الى الله ، وأن المسرفين(٣) هم أصحاب النار ٤٣ ، فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد ٤٤ ، فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق(٤) بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ ، النار يعرضون عليها غدوا(٥) وعشيا(٦) ، ويوم تقوم الساعة : ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ » .

يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار :

وأفوض أمرى الى الله :

حاق بآل «فرعون» سوء العذاب :

استخفاف فرعون بموسى

دأب « موسى » فى الدعوة :

دأب موسى عليه السلام فى دعوة فرعون الى الايمان بالله وحده ، وفى اطلاق بنى اسرائيل .

دأب « فرعون » فى السخرية منه :

ودأب فرعون فى رد موسى والسخرية منه ، ورأى أن عزة سلطانه ، وعظيم جاهه ، وموفور ثروته ، وحياته الرافهة ، الناعمة تقف دون تلبية دعوة موسى ، واتباعه لدينه .

أليس هو القائل : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ، ولايكاد يبين ؟

الخنوع والانقياد :

وكيف يلبى دعوة موسى وقد ألف قومه الخنوع له ، والانقياد ؟ وهو الذى حشرهم من الآفاق ، وخاطبهم بقوله: « أنا ربكم الأعلى » .

قال تعالى فى سورة « الزخرف » :

نداء « فرعون » فى قومه :

ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ، أليس لى ملك مصر ،

---

(١) لاجرم : لابد ، أو « حتا » .
(٢) مردنا : مرجعنا .
(٣) المسرفين : المسرفين فى الضلال .
(٤) حاق : أحاط .
(٥) غدوا : مصدر غدا ، يغدو أى ذهب وقت الغداة ، وهو من الفجر الى طلوع الشمس .
(٦) عشيا : جمع عشية ، وهى الوقت من بعد الظهر الى المغرب .

استخف عقول قومه :

وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ؟ ٥١ ، أم أنا خير من هذا الذى هو مهين(١) ، ولا يكاد يبين ٥٢ ، فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ، أو جاء معه الملائكة مقترنين(٢) ٥٣ » ، فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين ٥٤ .

وفى سورة « النازعات » :

أنا ربكم الأعلى :

« ثم أدبر يسعى ٢٢ ، فحشر(٣) فنادى ٢٣ » فقال : « انا ربكم الأعلى ٢٤ ، فأخذه الله نكال(٤) الآخرة والأولى ٢٥ ، ان فى ذلك لعبرة(٥) لمن يخشى ٢٦ » .

جزاء وفاق لفرعون وقومه

تمادى « فرعون » فى التكذيب والاعنات :
ايقاع العذاب بفرعون وقومه :
أنواع العذاب :

تمادى فرعون فى تكذيب موسى عليه السلام ، وتعتى(٦) ، واستمر تعنت بنى اسرائيل ويوقع بهم ضروب الذلة ، والهوان . فأمر الله موسى ان يعلن فرعون وقومه بأن الله سيوقع بهم العذاب الأليم ، لأنهم كذبوه ، ولم يطلقوا « بنى اسرائيل » ففاض(٧) ماء النيل .

غيض ماء النيل نقص الأموال ... الخ انتشار الضفادع :

وابتلاهم الله بنقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات ، فأهلك(٨) الزرع والضرع . وانتشرت الضفادع بينهم ، فساءت حياتهم .

أقض القمل مضاجعهم :

وسرى القمل(٩) فيهم فأقض(١٠) مضاجعهم .

الرعاف :

وسلط عليهم الرعاف(١١) فسال الدم من آنفهم .

الفقر المدقع :

ثم عاقبهم الله تعالى بالفقر(١٢) المدقع ، جزاء عنادهم ، وعتوهم .

---

(١) مهين : ضعيف ، حقير .
(٢) مقترنين : مقرونين به ، يعينونه .
(٣) حشر : جمع .
(٤) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى : أخذه الله أخذا منكلا لمن رآه أو سمعه ، أو للتنكيل به فى الدنيا والآخرة .
ونكل به تنكيلا : جعله موعظة وعبرة لغيره .
(٥) عبرة : موعظة .
(٦) تعتى : عتى ، واستكبر .
(٧) غاض ماء النيل : قل ، ونضب .
(٨) أهلك الزرع والفرع : أهلك النبات والحيوان .
(٩) القمل : صغار الجراد .
(١٠) أقض مضاجعهم : خشنها فلم يناموا .
(١١) الرعاف : الدم يخرج من الأنف .
(١٢) الفقر المدقع : الملصق بالدقعاء ، وهى التراب ، أى الفقر السيء المذل .

كثر وعدهم :

وطالما وعدوا موسى بالايمان به تارة ، وبارسال بنى اسرائيل تارة أخرى اذا طلب من ربه أن يكشف عنهم العذاب ، فاذا كشفه عنهم غدروا بعهدهم ، وعادوا الى طغيانهم ، حتى دهمتهم(١) المعجزة الكبرى .

قال تعالى فى سورة « الاعراف » :

الرجز وقع عليهم:

نكثهم العهد :

ولما وقع عليهم الرجز(٢) قالوا : « يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك،ولنرسلن معك بنى اسرائيل، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون »(٣) .

الآيات التى أرسل بها موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل .

الآيات : أحكام أمروا بالأخذ بها :

فسرها البيضاوى بأنها آيات أرسل بها موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل وهى أحكام أمروا بالأخذ بها ، لا آيات عقاب عوقب بها « فرعون » وجنوده .

ونص تفسيره :

تسع آيات :

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، وهى :

العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم وانفجار الماء من الحجر ، وفلق البحر ، ونتق(٤) الطور على بنى اسرائيل .

وقيل : الطوفان ، والسنون(٥) ، ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة .

صفوان :

اجابة النبى صلى الله عليه وسلم :

وعن صفوان : أن يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . ولا تسحروا ، ولاتأكلوا الربا .

ولا تشوا ببرىء لدى سلطان ليقتله . ولا تقذفوا محصنة ، ولا تفروا من الزحف . وعليكم خاصة اليهود : الا تعدوا فى السبت.

فقبل اليهودى يده ، ورجله .

---

(١) دهمتهم : غشيتهم ، وجاءتهم .
(٢) الرجز : العذاب .
(٣) ينكثون : ينقضون العهد .
(٤) نتق الطور : رفعه على « بنى اسرائيل » .
(٥) السنون : الجدوب ، أى أخذناهم بالجدوب ، والسنة غلبت على عام القحط. يقال : أصابتهم سنة ، أى جذب ومجاعة .

المراد بالآيات : فالمراد اذا بالآيات : الأحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع.

قال تعالى فى سورة « الأعراف » أيضا :

الحسنة والسيئة : طائرهم عند الله : الرجز : الايمان ، وارسال بنى اسرائيل : ينكثون العهد :

« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ١٣٠ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا(١) بموسى ومن معه ، ألا انما طائرهم(٢) عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣١ ، وقالوا : مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فمانحن لك بمؤمنين ١٣٢ » ، فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد، والقمل ، والضفادع ، والدم . آيات مفصلات . فاستكبروا ،وكانوا قوما مجرمين ١٣٣ ، ولما وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك بما عهد عندك(٣) لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى اسرائيل ١٣٤ ، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ١٣٥ » .

وفى سورة « الاسراء » :

« موسى » و « فرعون » :

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم ، فقال له فرعون : انى لأظنك يا موسى مسحورا ، قال: لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر ، وانى لأظنك يا فرعون(٤) مثبورا ١٠٢ » .

وفى سورة « طه » :

كذب وأبى :

« ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » ٥٦ .

وفى سورة « النمل » :

آياتنا مبصرة : المفسدون :

« فلما جاءتهم آياتنا(٥) مبصرة قالوا : هذا سحر مبين ١٣ ، وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ظلما ، وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ١٤ » .

وفى سورة « القصص » :

سحر مفترى :

« فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا : « ما هذا الا سحر مفترى ، وماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ٣٦ » .

---

(١) يطيروا : يتطيروا : يتشاءموا .
(٢) طائرهم عند الله : عنده سبب خيرهم وشرهم .
(٣) بما عهد عندك : بحق ما عنده ، وهى النبوة .
(٤) مبصرة : بينة ، أو هى ذات بصر ، من حيث أنها تهدى ، العمياء
(٥) مثبورا : مصروفا عن الخير ، بعيوا عنه ، أو هالكا .

لا يفلح الظالمون :

وقال موسى : ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له عاقبة الدار(١) ، انه لا يفلح الظالمون » ٣٧ .

وفى سورة الزخرف :

رسول رب العالمين :
أخذناهم بالعذاب :
هم نيكثون :

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال : انى رسول رب العالمين ٤٦ » ، فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ٤٧ ، وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها ، وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ٤٨ ، وقالوا . يا أيها الساحر ، ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا لمهتدون ٤٩ ، فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون » ٥٠.

وفى سورة القمر :

النذر :

« ولقد جاء آل فرعون » النذر (٢) ٤١ ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز(٣) مقتدر » ٤٢ .

وفى سورة النازعات :

الآية الكبرى :

فأراه الآية الكبرى(٤) ٢٠ ، فكذب وعصى ٢١ » .

انطلاق بنى اسرائيل

ما جاء فى « التوراة » :

تذكر التوراة أن فرعون قد اذن لبنى اسرائيل فى الخروج من مصر ، ليخلص من ألوان العذاب التى حاقت(٥) به ، فانطلق بهم موسى عليه السلام — وقد لمسوا لديه الرحمة ، والهداية ، وفازوا بالسلامة ، والبعد عن القوم الظالمين .

طريق يبس :

« ولقد أوحينا الى موسى أن أسر(٦) بعبادى ، فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا(٧) ، لا تخاف دركا(٨) ولا تخشى » .

---

(١) عاقبة الدار : المراد بالدار : الدنيا ، وعاقبتها الجنة .
(٢) النذر : المنذرون ، المفرد نذير .
(٣) أخذ عزيز مقتدر : أخذ منيع الجانب ، قادر على أعدائه .
(٤) الآية الكبرى : المعجزة الكبرى .
(٥) حاقت به : أحاطت به .
(٦) أسر : سر ليلا .
(٧) يبسا : يا بسا .
(٨) لا تخاف دركا : لا تخاف أن يدرككم العدو .

ندم فرعون على خروج بنى اسرائيل

ثورة « فرعون »: الحلى والزينة :

ثار ثائر فرعون لخروج بنى اسرائيل ، لأنه فقد عبوديتهم ، وتسخيرهم ، ولأن الاسرائيليات قد استعرن الحلى والزينة من المصريات ، ولم يرددنها اليهن ، فأتبع بنى اسرائيل بحشد من جنده ، ليردهم الى عبوديته ، وليسترد ما أخذ نساؤهم من حلى وزينة .

تراءى الجمعان : انا لمدركون :

فلما تراءى(١) الجمعان — وقد بلغ بنو اسرائيل ساحل البحر الأحمر على خليج السويس — قال أصحاب موسى : انا لمدركون ، وفزعوا الى(٢) موسى فأفزعهم .

انفـــلاق البحـــر

« مـــوسى » يضرب البحـــر عند شروق الشمس :

شرقت الشمس ، فضرب موسى عليه السلام البحر ، امتثالا لأمر ربه ، فانفلق حتى ظهرت أرضه ، فكان كل فرق(٣) كالطود العظيم .

اثنا عشر طريقا :

وبدا فى البحر اثنا عشر طريقا ، لكل فريق من بنى اسرائيل طريق ، فساروا آمنين ، تحرسهم عناية الله حتى عبروه .

« فرعون » وجنده يســلكون مسلك بنى اسرائيل : أغرقوا :

وطمع فرعون وجنده أن يسلكوا مسلك بنى اسرائيل ، فساروا، وما كادوا يصلون الى عرض(٤) البحر حتى غشيهم منه ما غشيهم، واطبق عليهم فأغرقوا جميعا .

الحقيقة الناصعة :

ولما بدت لفرعون الحقيقة ناصعة ، وايقن الهلاك قال : « آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » ، ظانا أنه خادع موسى والهه ، وممثل ما مثله من قبل ، فينجو كما نجا ، واسر هو وجنده الندامة لما رأوا العذاب .

يخدع « موسى » : الندامة :

جثة « فرعون » :

والقى البحر جثة فرعون على ساحله ، ليكون مثلا للآخرين ، وآية رب العالمين .

قال تعالى فى سورة الأنعام :

بعض آيات ربك :

« يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى ايمانها خيرا » .

---

(١) تراءى الجمعان : تقاربا حتى يرى أحدهما الآخر .
(٢) فزعوا الى « موسى » فأفزعهم : لجئوا اليه فأغاثهم .
(٣) الطود : الجبل .
(٤) عرض البحر : وسطه .

وفى سورة النساء :

التوبة :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن » .

فرعون موسى

« رعمسيس » الثانى :
ولد « موسى » فى عصره :
عدو الشعوب الآسيوية :
« منفتاح » :
« موسى » و « هرون » :

يحدثنا التاريخ القديم أن رعمسيس الثانى قد يكون فرعون الذى ولد موسى فى عصره ، واضطهد بنى اسرائيل المقيمين فى مصر ، لأنه خشى أن يكونوا مناصرين لأعدائه المواطنين لهم من قبل . وقد كان عدوا(١) أزرق للشعوب الآسيوية التى حاربها زهاء تسع سنين ، وأنه قد أشرك ابنه الملك منفتاح معه فى الحكم ، وقد كبرت سنه حين ولى العهد ، وهو القائل لموسى : « ألم نربك فينا وليدا، ولبثت فينا من عمرك سنين » ؟ وهو الذى أرسل اليه موسى وهرون عليهما السلام لأخراج بنى اسرائيل من مصر .

المتحف المصرى :

والعثور على جثة منفتاح فى المتحف المصرى مصداق لقوله تعالى : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » .

موضع عبور بنى اسرائيل

التوراة :

أوردت التوراة أسماء أماكن مر بها بنو اسرائيل حتى وصلوا الى موضع العبور الذى لم نهتد اليه ، لأنه ليس هناك معلومات عنه تزيل الشك ، أو تبعث اليقين :

البحارة فى البحر الأحمر :
بركة « فرعون »:
خليج السويس :
عبور « موسى » :

والبحارة فى البحر الأحمر يقولون : ان بركة فرعون — مكان فى خليج السويس — كان بها العبور ، وهى تبعد عن السويس كثيرا ، وهذا القول غير قريب من الحقيقة ، لأن خليج السويس كان يمتد فى تلك الأزمن الى البحيرات المرة ، أو يقرب منها ، على أنه قد وصل الينا أن شمال المكان المعروف بـ « عيون موسى » فى البر الآسيوى كان موضع عبور بنى اسرائيل وهى غير بعيدة عن السويس كثيرا .

الأطلس التاريخى:
خليج السويس والبحيرات المرة :

وقد رسم الأستاذ محمد رفعت فى أطلسه التاريخى طريق عبور بنى اسرائيل بين السويس والبحيرات المرة ، ورسم خطين يدلان على أن خليج السويس كان متصلا بتلك البحيرات .

(١) عدوا أزرق : شديد العداوة ، كما يقال : خصم لدود .

وهناك آراء أخرى .

ومن المرجح من هذه الآراء كافة لأنه أقصر الطرق وآمنها :

أرض جاسان :

بحيرة التمساح :

أن موسى عليه السلام وبنى اسرائيل بدءوا مسيرهم من أرض جاسان حيث كانوا يقيمون متجهين شرقا حتى وصلوا الى البحيرة المعروفة الآن بـــ بحيرة التمساح فعبروها من الجزء الشمالى منهـــا .

بعدوا عن الأماكن الخالية من المياه : سيناء :

وقد بعدوا عن الأماكن الخالية من المياه ، خشـــية الحاميات المصرية التى كانت تمنع الداخل الى مصر ، والخارج منها الا باذن من فرعون ، ثم اتجهوا جنوبا الى سيناء .

نذير مبين :

قوم مجرمون :

اترك البحر رهوا :

قال تعالى فى سورة الدخان : ولقد فتنا قبلهم قـــوم فرعون وجاءهم رسول كريم ١٧ : « أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين ١٨ ، والا تعلوا على الله ، انى آتيكم(١) بسلطان مبين ١٩ ، وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون(٢) ٢٠ ، وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ٢١ ، فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ٢٢ ، فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون ٢٣ ، واترك البحر رهوا(٣) انهم جند مغرقون ٢٤ .

جنات وعيون :

نجـــاة « بنى اسرائيـــل » مـــن عذاب « فرعون » :

كم تركوا من جنات وعيون ٢٥ ، وزروع ومقام كريم ٢٦ ، ونعمة كانوا فيها فاكهين(٤) ٢٧ ، كذلك وأرثناها قوما آخرين ٢٨ ، فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين(٥) ٢٩ ، ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ٣٠ ، من فرعون انه كان عاليا(٦) من المسرفين ٣١ » .

وفى سورة الذاريات :

تولى بركنه :

وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ٣٨ ، فتولى بركنه(٧) ، وقال : ساحر أو مجنـــون ٣٩ ، فأخـــذناه وجنـــوده فنبذناهم(٨) فى اليم وهو مليم(٩) .

---

(١) سلطان مبين : حجة واضحة .
(٢) أن ترجمون : الرجم : الضرب بالحجارة .
(٣) رهوا : ساكنا .
(٤) فاكهين : ناعمين .
(٥) منظرين : مؤخرين .
(٦) انه كان عاليا من المسرفين : انه كان متكبرا من المسرفين فى التكبر .
(٧) فتولى بركنه : فأعرض عن الايمان به ، كما قال : ونأى بجانبه .
والمعنى أنه تولى بما كان يتقوى به من جنوده .
(٨) فنبذناهم : القيناهم .
(٩) مليم : آت بمايلام عليه من الكفر والعناد .

وفى سورة غافر :

سوء العذاب :

« وحاق(١) بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ ، النار يعرضون عليها غدوا ، وعشيا ، ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ » ، واذ يتحاجون(٢) فى النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا : « انا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟ ٤٧ » ، قال الذين استكبروا : « انا كل فيها ؟ ان الله قد حكم بين العباد ٤٨ » ، وقال الذين فى النار لخزنة(٣) جهنم : « ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ٤٩ » ، فقالوا : « أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات(٤) » قالوا : بلى(٥) ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال» ٥٠ ، انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد(٦) ٥١ ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء(٧) الدار ٥٢ » .

الضعفاء والمستبكرون :

خزنة جهنم :

أنا لننصر رسلنا :

لهم سوء الدار :

وفى سورة الدخان :

شجرة الزقوم :

عذاب الحميم :

« ان شجرة الزقوم ٤٣ طعام الأثيم ٤٤ ، كالمهل(٩) ، يغلى فى البطون ٤٥ ، كغلى الحميم(١٠) ٤٦ ، خذوه فاعتلوه(١١) الى سواء الجحيم(١٢) ٤٧ ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم(١٣) ٤٨ ، ذق ، انك أنت العزيز الكريم ٤٩ ، ان هذا ما كنتم به تمترون(١٤) ٥٠ » .

فريق من بنى اسرائيل يألفون وثنية المصريين

وثنية المصريين :

ألف فريق من بنى اسرائيل وثنية المصريين ، لأنهم عاشروهم حياتهم ، وعاشوا بينهم(١٥) ردحا من الدهر مغلوبين على أمرهم ، فأضطروا الى تقليدهم ، شأن المغلوب مع الغالب .

---

(١) حاق : أحاط .
(٢) يتحاجون : يتخاصمون ويتجادلون .
(٣) لخزنة جهنم : للمكلفين بتدبير أمورها من الملائكة .
(٤) البينات : الآيات الواضحات .
(٥) بلى : نعم .
(٦) الأشهاد : جمع شاهد
(٧) سوء الدار : دار السوء وهى جهنم .
(٨) شجرة الزقوم : شجرة خبيثة ذات ثمر مر ، يقال : انهـا تنبت ببلاد العرب ، والزقوم : طعام أهل النار .
(٩) كالمهل : المهل : ما يمهل فى النار حتى يذوب ، أو هو دردى الزيت ، أى عكارته .
(١٠) الحميم : الماء الحار جدا .
(١١) اعتلوه : جروه ، والعتل : الأخذ بمجامع الشىء ، وجره بقهر .
(١٢) سواء الجحيم : وسطها .
(١٣) عذاب الحميم : عذاب هو الحميم .
(١٤) تمترون : تشكون ، أو تمارون ، أى تجادلون .
(١٥) ردحا : مدة طويلة .

وفى سورة الأعراف :

« فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين ١٣٦ ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها .

أورثنا المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها :

وتمت(١) كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون(٢) ١٣٧

صبر « بنى اسرائيل » :

تدمير صنع « فرعون » وقومه :

وفى سورة يونس :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا ، وعدوا ، حتى اذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ، وأنا من المسلمين ٩٠ » ، آلآن(٤) وقدعصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ ٩١ ، فاليوم ننجيك ببدنك ، لتكون لمن خلفك آية ، وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ٩٢ » .

أتبعهم « فرعون » وجنوده :

آلآن وقد عصيت قبل :

نجاته ببدنه آية لن بعده :

ما أعد الله لفرعون وقومه من سوء العذاب يوم القيامة

حكى القرآن الكريم ما أعده الله تعالى لفرعون وقومه من سوء العذاب ، وأليم العقاب يوم القيامة :

سوء العذاب :

قال تعالى فى سورة هود :

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٩٦ ، الى فرعون وملئه ، فاتبعوا أمر فرعون ، وما أمر فرعون برشيد ٩٧ ، يقدم(٥) قومه يوم القيامة ، فأوردهم النار ، وبئس الورد(٦) المورود »٩٨ وأتبعوا(٦) فى هذه لعنة ، ويوم القيامة بئس الرفد(٧) المرفود » ٩٩

ما أمر « فرعون » برشيد :

بئس الرفد المرفود :

وفى سورة القصص :

« وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون ٤١ وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين(٩) ٤٢ » .

أئمة يدعون الى النار :

هم من المقبوحين :

---

(١) وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل : وتحققت الكلمة الفائقة فى الحسن وهى وعده اياهم أنه سيجعلهم ورثة الأرض .
(٢) يعرشون : يبنون .
(٣) فأتبعهم : فأدركهم ، يقال : تبعته حتى أتبعته ، أى حتى أدركته .
(٤) بغيا وعدوا : باغين ، عادين ، أى ظالمين متعدين .
(٥) الآن : أتؤمن الآن ؟
(٦) يقدم قومه : يتقدمهم ويسير أمامهم .
(٧) الورد : المورد الذى يستقى منه .
(٨) أتبعوا فى هذه الدنيا لعنة : جعلت اللعنة تتبعهم فى الدنيا .
(٩) بئس الرفد المرفود : بئس العطاء المعطى .
(١٠) من المقبوحين : من المبعدين عن الخير .

وفى سورة غافر :

سوء العذاب :

« وحاق(١) بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ ، النار يعرضون عليها غدوا ، وعشيا ، ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ » ، واذ يتحاجون(٢) فى النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا : « انا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟ ٤٧ » ، قال الذين استكبروا : « انا كل فيها ؟ ان الله قد حكم بين العباد ٤٨ » ، وقال الذين فى النار لخزنة(٣) جهنم : « ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ٤٩ » ، فقالوا : « أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات(٤) » قالوا : بلى(٥) ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال» ٥٠ ، انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد(٦) ٥١ ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء(٧) الدار ٥٢ » .

الضعفاء والمستبكرون :

خزنة جهنم :

أنا لننصر رسلنا :

لهم سوء الدار :

وفى سورة الدخان :

شجرة الزقوم :

عذاب الحميم :

« ان شجرة الزقوم ٤٣ طعام الأثيم ٤٤ ، كالمهل(٩) ، يغلى فى البطون ٤٥ ، كغلى الحميم(١٠) ٤٦ ، خذوه فاعتلوه(١١) الى سواء الجحيم(١٢) ٤٧ ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم(١٣) ٤٨ ، ذق ، انك أنت العزيز الكريم ٤٩ ، ان هذا ما كنتم به تمترون(١٤) ٥٠ » .

فريق من بنى اسرائيل يألفون وثنية المصريين

وثنية المصريين :

الف فريق من بنى اسرائيل وثنية المصريين ، لأنهم عاشروهم حياتهم ، وعاشوا بينهم(١٥) ردحا من الدهر مغلوبين على أمرهم ، فأضطروا الى تقليدهم ، شأن المغلوب مع الغالب .

---

(١) حاق : أحاط .
(٢) يتحاجون : يتخاصمون ويتجادلون .
(٣) لخزنة جهنم : للمكلفين بتدبير أمورها من الملائكة .
(٤) البينات : الآيات الواضحات .
(٥) بلى : نعم .
(٦) الأشهاد : جمع شاهد
(٧) سوء الدار : دار السوء وهى جهنم .
(٨) شجرة الزقوم : شجرة خبيثة ذات ثمر مر ، يقال : انها تنبت ببلاد العرب ، والزقوم : طعام أهل النار .
(٩) كالمهل : المهل : ما يمهل فى النار حتى يذوب ، أو هو دردى الزيت ، أى عكارته .
(١٠) الحميم : الماء الحار جدا .
(١١) اعتلوه : جروه ، والعقل : الأخذ بمجامع الشىء ، وجره بقهر .
(١٢) سواء الجحيم : وسطها .
(١٣) عذاب الحميم : عذاب هو الحميم .
(١٤) تمترون : تشكون ، أو تمارون ، أى تجادلون .
(١٥) ردحا : مدة طويلة .

« فما آمن لموسى الا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون ، وملئهم أن يفتنهم — والضمير فى ملئهم راجع الى فرعون ، وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء ، أو على أن المراد بفرعون : آله .

ما آمن لموسى الا ذرية من قومه :

ولم يؤثر فى هؤلاء الذين ألفوا الوثنية ؟ ما نال فرعون وقومه من ضروب العذاب والابتلاء .

لم يتأثروا بعذاب « فرعون » وقومه :

(ب) وما لقوا منهم ، من الاذلال ، والاهانة ، والتسخير ، وألوان الاحتقار .

الاذلال والاهانة :

(ج) ومالقى موسى عليه السلام فى سبيل الذود عنهم من التكذيب، والسخرية ، والتهديد بالقتل .

(د) وما رأوا بعيونهم من آياته البينات ، ومعجزاته الباهرات،

الآيات البينات :

(ه) وما أسداه اليهم من النصح ، والارشاد .

كان ذلك كله والوثنية غالبة عليهم ، لاصقة بهم ، تدفعهم فى جهل وحمق — وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام — أن يطلبوا الى موسى عليه السلام اتخاذ اله كما أتخذ هؤلاء ، فوبخهم ولامهم على طلبهم الها غير الله الذى فضلهم على العالمين ، وأنجاهم من العذاب المهين ، ومزق عدوهم شر ممزق ، وقد أثبتوا بطلبهم هذا سفة النفس ، وبلادة الطبع .

الوثنية غالبة عليهم :

توبيخه ولومه :

سفه النفس وبلادة الطبع :

ثم شكوا الى موسى عليه السلام ما يلقون من وهج الشمس بسهول شبه جزيرة سيناء ، واقفارها من أشجار تظلهم ،ومساكن تكنهم .

شكواهم الى « موسى » :

فسأل موسى ربه ، فساق الغمام اليهم ، ورزقهم المن(١) والسلوى(٢) ثم استسقوا موسى ، ليشربوا ، ويسقوا ما شيتهم ، فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرةعينا، لكل سبط(٤) عين يجرى ماؤها ، وهذه عيون موسى ، وهى غير بعيدة عن مدينة السويس .

سأل « موسى » ربه :

اثنتا عشر عينا :

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

واذ قلتم : يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها ، وقثائها ، وفومها(٥) وعدسها ، وبصلها » .

لن نصبر على طعام واحد :

---

(١) المن : رحيق متجمد ، وافراز سكرى لبعض الأشجار .
(٢) السلوى : طائر السمان ، وقد كثر حتى غطى الأرض .
(٣) انبجست : انفجرت .
(٤) السبط : الفريق من « بنى اسرائيل » .
(٥) فومها : الفوم : الثوم ، والحنطة ، والحمص ، والخبز ، وسائر الحبوب التى تخبز .

اهبطوا مصر : قال : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا[1] مصرا فان لكم ما سألتم » .

وفى سورة « الاعراف » :

قوم يعكفون على أصنام لهم : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : « يا موسى اجعل لنا الهـا ، كما لهم آلهـة قال : انكم قوم تجهلون ١٣٨ ان هـؤلاء[2] متبر[3] ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون ١٣٩ » قال : أغير الله أبغيكم الها ، وهو فضلكم على العالمين ؟ ١٤٠ » .

فضلكم على العالمين :

وفيها أيضا :

بالحق يعدلون : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون[4] ١٥٩ ، وقطعناهم[5] اثنتى عشرة أسباطا أمما ، وأوحينا الى موسى اذ استسقاه[6] قومه :

اضرب بعصاك الحجر : أن اضرب بعصـاك الحجر ، فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل اناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام ، وانزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات مارزقناكم ، وما ظلمونا ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون » ١٦٠ .

الغمام والمن والسلوى :

وفى سورة « طه » :

واعدناكم جانب الطور الأيمن : « يا بنى اسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم ، وواعـدناكم جانب الطور الأيمن ، ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠ ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ولا تطغوا[7] فيه ، فيحل عليكم غضبى ، ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى[8] ٨١ ، وانى لغفار لمن تاب ، وآمن ، وعمل صالحا ، ثم اهتدى ٨٢ » .

انى لغفار لمن تاب ...

اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم

ما تنبت الأرض : ينبههم الله تعالى الى أن طلبهم ما تنبت الأرض : من بقلها ، وقثائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها لن يحصلوا عليه الا اذا

---

(١) اهبطوا مصرا : انزلوا مصرا ، أى بلدا عظيما .
(٢) متبر مهدم ، ومدمر .
(٣) أبغيكم الها : أطلب لكم الها .
(٤) وبه يعدلون : وبالحق يعدلون فى حكمهم .
(٥) قطعناهم أثنتى عشرة أسـباطا أمما : قسمناهم أثنتى عشرة قبيلة ، والأسباط : أولاد يعقوب .
(٦) استسقاه قومه : طلبوا منه السقيا ، أى الماء لهم ولماشيتهم .
(٧) لا تطغوا فيه : لا تتجاوزا الحد فيه .
(٨) هوى : سقط .

اهبطوا مصرا : مكاثرة أعدائهم :

هبطوا مصرا من الأمصار ، فان خيرات الريف ، وثمرات الأرض الزراعية القريبة منه تجبى اليه ، وتجلب . وذلك يغريهم بمكاثرة أعدائهم ، ومنازلتهم ، حتى يملكوا عليهم مدينتهم ، للانتفاع بريفها ، وما يجبى من خيراته اليها .

الخنوع والذلة : همتهم وانسانيتهم :

ولكن ما جبلوا عليه من الخنوع ، والذلة ، بما سامهم فرعون من الظلم ، والتسخير أزمنا طويلة قد أخمد همتهم ، وأفقدهم انسانيتهم .

مواعدة موسى عليه السلام

البيضاوى :

يذكر « البيضاوى » وطائفة من المفسرين : أن موسى عليه السلام وعد « بنى اسرائيل » وهم بمصر — ان أهلك الله فرعون أن يأتيهم .

كتاب فيه ما يأتون وما يذرون : صام ثلاثين يوما : استاك أو أكل بعض النبات :

بكتاب فيه ما يأتون ، وما يذرون ، فلما أهلك الله فرعون سأل موسى — ربه الكتاب ، فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ، وهى : شهر ذى القعدة ، فلما أتم الثلاثين أنكر موسى خلوف فمه (١) ، فاستاك ، أو أكل بعض النبات ، فقالت الملائكة : كنا نشم(٢) من فيك رائحة المسك ، فأفسدته بالسواك .

صوم عشرة أيام :

فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة .

الديلمى وابن عباس :

وأخرج الديلمى عن ابن عباس : لما اتى موسى ربه عز وجل ، وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين ، وقد صام نهارهن ولياليهن كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح الصائم ، فتناول من نبات الأرض ، فمضغه ، فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو بالذى كان — قال : أى رب ، كرهت أن أكلمك الا وفمي طيب الريح قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ؟ ، ارجع فصم عشرة أيام ، ثم أئتنى ، ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه به . اه

لم أفطرت ؟

ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك :

اختار « موسى » سبعين رجلا : تعجل « موسى » وتأخر المختارون :

وكان موسى قد اختار من قومه سبعين رجلا ، ثم ذهب لميقات ربه ولكنه تعجل ، وتأخر المختارون ، فسئل عنهم ، فقال : هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى .

تم ميقات ربه أربعين ليلة :

قال تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتممناها بعشر ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة » — من سورة « الأعراف » .

---

(١) خلوف فمه : تغير رائحته .
(٢) نشم من فيك : نشم من فمك .

استخلف موسى أخاه هرون .

« هرون » يقوم على شئون بني اسرائيل » :

وقبل أن يذهب موسى لميقات ربه استخلف أخاه هرون على بني اسرائيل ، يرعى مصالحهم ، ويقوم على شئونهم حتى يعود بذلك الفضل الموعود .

رب أرنى أنظر اليك .

شوقه الى ربه :
لن ترانى :
دك الجبل :
ارتاع « موسى » :
شملته رعاية الله:
اصطفاه الله :

ولما أتم الأربعين دفعه الشوق الى ربه ، فناجاه : « رب أرنى أنظر اليك » أى : مكنى من رؤيتك أو تجل لى فأراك ، فسمع قول الله : « لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى » ، فنظر فاذا الجبل قد دك ، وساخ فى الأرض ، وغار ، فارتاع موسى ، واضطربت نفسه ، وخارت قواه ثم خر صعقا ، ولكن رحمة الله(١) قد شملته فأفاق ، وأناب الى الله ، ثم خاطبه الله ، بأنه اصطفاه على الناس برسالاته ، وهى أسفار « التوراة » ، وبكلامه تعالى ، بأن يوحى اليه بلا واسطة ملك ، بل يسمعه ما يريد تبليغه اليه .

أمره أن يشكر له ما آتاه :

وأمره أن يشكر له ما آتاه من شرف الاصطفاء ، والكلام .

عدد الألواح وحقيقتها :

وفى ألواح اختلف المفسرون فى عددها بين اثنين وعشرة — وفى حقيقتها : بين زبرجد وياقوت وخشب وحجر — كتب الله تعالى ما يحتاج اليه بنو اسرائيل ، من بيان المحاسن ، والقبائح ، والحلال ، والحرام .

أحكام ومواعظ :

أحكام ، ومواعظ ، وتفصيل لكل شىء .

افضل ما رسم منها :

وأعلمه ربه أن يأمر بنى اسرائيل أن يأخذوا بأفضل ما رسم فيها ، ثم وعدهم الله أن يريهم دار الفاسقين .

دار الفاسقين

وللمفسرين فى المراد بدار الفاسقين آراء :

قتادة :
موسى :

(أ) أقربها ما قاله قتادة من أن المراد بدار الفاسقين : أرض الجبابرة ، والعمالقة بالشام ، وقد حرمها الله على كبار بنى اسرائيل ولم يدخلها موسى ، بل رآها .

« بنو اسرائيل » :

وانما دخلها بنو اسرائيل فى عهد يوشع بن نون فتى موسى .

سأرى بعضكم :

(ب) وقد يكون المراد : سأرى بعضكم ، وهم الرواد الذين

دخلوا هذه البلاد ، ثم عادوا يصفون أولئك الجبارين لبنى اسرائيل، فهالهم أمرهم ، وامتنعوا عن مقاتلتهم .

يوشع بن نون وكالب بن يفنة :

(جـ) والأقرب : أن يكون المراد بالبعض : « يوشع بن نون »، وكالب بن يفنه .

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

واعدنا « موسى » : ميقات ربه أربعون ليلة : اخلفنى فى قومى وأصلح : رب أرنى انظر اليك : خر « موسى » صعقا :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتممناها بعشر ، فتم ميقات(١) ربه أربعين ليلة » ، وقال موسى لأخيه هرون : « اخلفنى فى قومى ، وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين » ١٤٢ ، ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه قال : رب أرنى(٣) أنظر اليك » قال : لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى(٤) ربه للجبل جعله(٥) دكا ، وخر موسى(٦) صعقا ، فلما أفاق قال : سبحانك ، تبت اليك ، وأنا أول المؤمنين » ١٤٣ .

انى اصطفيتك على الناس : سأريكم دار الفاسقين : الرشد ــ الغى :

قال : يا موسى انى اصطفيتك(٧) على الناس برسالاتى ، وبكلامى ، فخذ ما آتيتك ، وكن من الشاكرين » ١٤٤ ، وكتبنا له فى الألواح(٨) من كل شىء موعظة ، وتفصيلا لكل شىء ، فخذها بقوة ، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ، سأريكم دار الفاسقين ١٤٥، سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وأن يروا سبيل الغى(١٠) يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين ١٤٦ ، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت(١١) أعمالهم ، هل يجزون الا ما كانوا يعملون ؟ ١٤٧ » .

يظنون بموسى الظنون

ظنوا بموسى الظنون :

ولم يوافهم موسى عليه السلام بعد ثلاثين يوما ، فظنوا به الظنون ، وأخذوا يفكرون فى أمره ، وأمرهم حتى أعياهم التفكير .

---

(١) الميقات : الوقت المضروب للشىء ، والوعد الذى جعل له وقت .
(٢) اخلفنى : كن خليفتى .
(٣) أرنى أنظر اليك : أرنى نفسك أنظر اليك .
(٤) تجلى : ظهر ، والمراد أن الله صوب نحو الجبل بعض نوره .
(٥) جعله دكا : مدكوكا مفتتا .
(٦) خر « موسى » صعقا : سقط مغشيا عليه .
(٧) اصطفيتك : اخترتك .
(٨) الألواح : الأوامر والنواهى التى أوحاها الله الى « موسى » ، قيل كانت سبعة ، وقيل عشرة .
(٩) فخذها بقوة : بجد وعزيمة ، فعل أولى العزم من الرسل .
(١٠) الغى : جهل من اعتقاد فاسد ، وضلال .
(١١) حبطت أعمالهم : بطلت أعمالهم .

أنظره الله عشرة أيام .

وما عرفوا أن الله قد أنظره عشرة أيام حتى صار غيابه أربعين يوما .

بنو اسرائيل يعبدون العجل

السامرى :

أوعز(١) السامرى الى بنى اسرائيل أن موسى قد ضل الطريق ، ولن يعود .

انحلال نفوسهم :

— وقد لمس ما فى نفوسهم من انحلال — فزين لهم أن يتخذوا الها غير اله موسى ، فطابت بذلك نفوسهم .

قوم يعكفون على أصنام لهم :

أليسوا هم القائلين لموسى — وقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم — « يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة » ؟

السامرى :

فوضع السامرى حليا فى حفرة احتفرها ، ثم أوقد نارا ، وصنع من الحلى عجلا جسدا له خوار فتن به من ضعف ايمانهم ، وأنكره من ثبت الله على الايمان قلوبهم .

نصح هرون :

فنصح هرون لهؤلاء المفتونين : يا قوم انما فتنتم(٢) به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى ، وأطيعوا أمرى » ، فلم يصغوا الى هديه، وقالوا : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » ولم يقف منهم موقف الخصم الثائر ، خشية الفرقة ، والانفصام .

عبادة المصريين بعجل « أبيس » :

ألم يألفوا من قبل عبادة المصريين لعجل « أبيس » ، ورعايتهم الفائقة له حتى اذا مات حنطوه بما يحفظ جسمه ، كما يحفظ الآدمى ، ودفنوه فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة تسمى سرابيوم ؟

رجوع موسى الى قومه

رجع « موسى » غضبان أسفا :

رجع موسى الى قومه غضبان ، أسفا ، وقد ظن بأخيه هرون التقصير فى اسداء النصح للمفتونين ، فأخذ بلحيته ورأسه يجره اليه ، فقال هرون : لا تأخذ بلحيتى ، ولا برأسى ، انى خفت أن تقول : لم تصلح ، واتبعت سبيل المفسدين ، ففرقت بين بنى اسرائيل . ولقد بذلت لهم صفوة نصحى .

هرون :

لقد بذلت لهم صفوة نصحى :

ولام موسى — بنى اسرائيل — لوما عنيفا ، وألقى الألواح التى كتبها الله له .

---

(١) فتنتم به : ابتليتم به .
(٢) أوعز : تقدم ، وأشار .

السامرى :
لا مساس :
لأحرقن الهك :

ثم سأل السامرى ، رأس الفتنة ، ومنبع البدعة : ما خطبك يا سامرى ؟ ، وقال : رأيت مالم يروا ، فسولت لى نفسى أن أقبض قبضة من أثر الرسول فأنبذها ، فقال له موسى ، اذهب فان عقابك أن تقول فى حياتك : لا مساس ، وان لك موعدا لن تخلفه ، ولأحرقن الهك الذى عكفت عليه ، ثم لأنسفنه فى ماء البحر نفسا ، والتفت الى بنى اسرائيل قائلا : « انما الهكم الله الذى لا اله الا هو » .

توبة بنى اسرائيل

أوحى الله أن يتوب « بنو اسرائيل » :

أوحى الله الى موسى أن يتوب بنو اسرائيل ، فيقتلوا أنفسهم ، بكبت شهواتها ، وكسر حدتها ، واقصائها عن كل مرغوب ، وتطهيرها من الآثام والذنوب ، أمر بأن يقتل البرىء منهم المجرم . أو بالتوبة .

قال تعالى فى سورة البقرة :

اتخاذ العجل الها

واذ قال موسى لقومه : يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم(١) ، فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم ، انه هو التواب الرحيم ٥٤ » .

وفيها أيضا :

البينات :
رفعنا فوقكم الطور :
خالط حب العجل قلوبهم :

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، واذ أخذنا ميثاقكم(٢) ، ورفعنا فوقكم الطور(٣) : خذوا ما آتيناكم بقوة ، واسمعوا » ، قالوا : سمعنا ، وعصينا ، وأشربوا(٤) فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل : بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » ٩٢ .

وفى سورة « الأعراف » :

واتخذ قوم « موسى » عجلا جسدا :
سقط فى أيديهم :

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار(٥) ، الم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ١٤٨

ولما سقط(٦) فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ، ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ١٤٩ » . ولما رجع

---

(١) بارئكم : خالقكم ، برأة : خلقه .
(٢) ميثاقكم : عهدكم .
(٣) الطور : جبل سيناء .
(٤) وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم : خالط حبه قلوبهم .
(٥) خوار : الخوار : صوت البقر .
(٦) سقط فى أيديهم : اشتد ندمهم .

رجـع « موسى » غضبان أسفا :

موسى الى قومه غضبان ، أسفا(١) قال : بئسـما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم(٢) أمر ربكم ؟ ، وألقى الألواح ، وأخذ براس اخيه يجره اليه ، قال : ابن أم(٣) ، ان القوم استضعفونى ، وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ١٥٠ ، قال : رب اغفـر لى ولأخى ، وأدخلنـا فى رحمتـك ، وأنت أرحم الراحمين ١٥١ ان الذين اتخذوا العجـل سـينالهم غضب من ربهم ، وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين(٤) ١٥٢ والذين عملوا السيئات ، ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم ١٥٣ ، ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ، وفى نسـختها(٥) هـدى ، ورحمة للذين هم لربهـم يرهبون(٦) ١٥٤ » .

ابن أم :

أنت أرحـم الراحمين :

التوبة والايمان :

فيما نسـخ فيهـا هـدى :

وفى سورة « طه » :

ما سببعجلتك ؟:

« ومـا أعجلك(٧) عن قومك يا موسى ٨٣ ، قـال : هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى ٨٤ » ، قال : « فانا قـد فتنا(٨) قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى(٩) » ٨٥ ، فرجع موسى الى قومه غضبان ، أسفا ، قال : يا قـوم ، ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ ٨٦ » ، قالوا : ما أخلفنا موعدك بملكنا(١٠)، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها ، فكذلك ألقى السامرى ٨٧ ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا : هـذا الهكم واله موسى ، فنسى ٨٨ ، أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ، ولا يملك لهم ضرا ، ولا نفعا ؟ ٨٩ ، ولقد قال لهم هرون من قبل : ياقوم انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن ، فاتبعونى ، وأطيعوا أمرى ٩٠ ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين(١١) حتى يرجع الينا موسى ٩١ ، قال : يا هرون ، مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ٩٢ ألا تتبعن ، أفعصيت أمـرى ٩٣ ، قال : يا ابن أم ، لا تأخـذ بلحيتى ، ولا برأسى ، انى خشيت أن تقول : فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب(١٢)قولى، ٩٤ ، قال : فما خطبك يا سامرى ؟ ، قال : بصرت بمالم يبصروا

أضل« السامرى » قومك :

ما أخلفنا موعـدك باختيارنا :

« هرون » ينصح لهم :

« موسى » يخاطب « هرون » :

---

(١) أسفا : شديد الغضب .

(٢) أعجلتم أمر ربكم : أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه وهو الأربعون يوما : فقدرتم موتى وغيرتم ما غيرتم ؟

(٣) ابن أم : يابن أمى .

(٤) المفترين : المختلقين .

(٥) وفى نسختها : وفيما نسخ فيها ، والنسخة : فعله بمعنى مفعول كالخطبة.

(٦) يرهبون : يخافون ربهم .

(٧) وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ : ما سبب عجلتك تاركا قومك بعيدا عنك؟

(٨) فتنا قومك : ابتليناهم بعبادة العجل .

(٩) السامرى : نسبة الى « سامر » ونطقها فى العبرية « شومر » .

(١٠) بملكنا : باختيارنا .

(١١) عاكفين : مقيمين .

(١٢) ترقب قولى : لم تحفظه .

به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سولت لى(١) نفسى ٩٦ ، قال : فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول : لا مساس(٢) وان لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت(٣) عليه عاكفا لنحرقنه ، ثم لننسفنه(٤) فى اليم نسفا ٩٧ ، انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما ٩٨ »

اختيار موسى سبعين رجلا

اختار موسى عليه السلام من شيوخ بنى اسرائيل سبعين رجلا، فذهبوا الى جبل الطور ، ليطلبوا عفو الله ، وغفرانه ، لما كان من عبادة العجل ، وليبدوا أسفهم على ما اقترفوا ، ويتوبوا الى ربهم توبة نصوحا .

رؤية الله :

وبيناهم شهود يستمعون كلام الله مع موسى عادت اليهم جبلة عصيانهم ، وتمردهم ، فلم يؤمنوا بأن الله هو المتكلم ، ولا بأنه أعطى موسى — التوراة — ، فطلبوا أن يروا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون .

توجه « موسى » الى ربه :

فتوجه موسى الى ربه ، وسأله أن يعفو عما فرط من سفهائهم ، وأن يغفر خطيئاتهم ، فاستجاب الله له ، وأحياهم .

رحمة الله للمتقين :

ثم أنبأ الله موسى أنه كتب رحمته للمتقين الذين يؤتون الزكاة ويؤمنون بآياته ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، فتابعوه هم المفلحون .

التوراة والانجيل : يباهى الله بمحمد ومن تبعه أتباع « موسى » :

وهكذا يباهى الله بمحمد ومن تبعه أتباع موسى قبل أن يولد محمد بأكثر من الف وخمسمائة سنة .

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

اختيار « موسى » سبعين رجلا :

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة(٦) قال : رب ، لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما فعل

---

(١) سولت لى نفسى : سهلت .
(٢) لا مساس : لا تمسنى ، فان من لمسته أو لمسك تأخذه الحمى ، وتأخذك معه ، فلا تفتر عن قول : لا مساس كلما قرب منك أحد .
(٣) ظلت : دمت .
(٤) لننسفنه : لنذرينه .
(٥) جبلة : الجبلة : الخلقة ، والفطرة .
(٦) الرجفة : رجفة الجبل : فصعقوا منها .

السفهاء منا ؟ ان هى الا فتنتك ، تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، أنت[1] ولينا ، فاغفر لنا ، وارحمنا ، وأنت خير الغافرين ١٥٥ ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ، انا هدنا[2] اليك » ، قال : عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ١٥٦ ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم[3] ، والأغلال[4] التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه[5] ، ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ١٥٧ » .

انا هدنا اليك : رحمتى وسعت كل كل شيء :

الرسول النبى الأمى :

ما يحل لهم :

وما يحرم عليهم :

الأمر بدخول الأرض المقدسة

أوحى الله الى موسى عليه السلام أن يقود بنى اسرائيل الى الأرض المقدسة فلسطين ، أرض الموعد التى وعد الله خليله ابراهيم أن يجعلها ملكا لذريته الصالحين من بعده ، ولكن بنى اسرائيل بما تتابع عليهم من بغى الفراعنة قد هان عليهم الهوان .

الأرض المقدسة :

هان عليهم الهوان:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

فلم يجدوا من البأس ورباطة الجأش ، ولا من اباء النفس وعلو الهمة ما يحرك فيهم الحمية ، ويدفعهم الى دخول هذه الأرض — وقد سمعوا من الرواد الذين جاسوا خلال هذه الديار أن فيها قوما جبارين ، فتمثل لهم شبح الموت فى كل خطوة يخطونها ، فقالوا : يا موسى ، ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » .

ما يحرك الحمية :

ان فيها قوما جبارين :

فتوجه اليهم رجلان قد طبعا على الايمان ، والطاعة ، والاذعان ينصحان لهم ، ويرشدانهم : ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » .

رجلان طبعا على الايمان والطاعة :

فأعلنوا خوفهم ، وجبنهم وتمردهم وتبلدهم : « يا موسى ، أنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك ، فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » .

أعلنوا خوفهم :

---

(١) أنت ولينا : ناصرنا ومولانا .
(٢) هدنا اليك : رجعنا اليك ، من : هاد ، يهود .
(٣) أصرهم : ثقلهم .
(٤) الأغلال : القيود ، المفرد : غل .
(٥) عزروه : عظموه ونصروه ، والتعزير : النصرة مع التعظيم .

الجأ « موسى » أمره الى الله :

محرمة عليهم :

فالتفت موسى يمنه ، ويسره ، وصعد ، وصوب ، فلم يلق نصيرا ، ولا معينا الا هرون أخاه ، فألجأ أمره الى مولاه ، وقال: « رب انى لا أملك الا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، قال الله : ان الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ، وأنهم سيضربون خلالها فى مجاهل هذه البيداء ، ويخبطون(١) فى أرجائها خبط عشواء ، يتيهون فيها حتى يفنى(٢) الشيوخ ، ويهلك الرؤساء ، ويخلفهم جيل بعد منيع الجانب ، قوى الشكيمة ، يجاهد فى سبيل الله ،ويغزو أعداء الله .

جيل منيع الجانب :

ابن خلدون :

رئموا الذل :

ذابت قلوبهم فى صدورهم :

وقد أوضح ابن خلدون سر ما آل اليه أمرهم ، فقال : أن نفس بنى اسرائيل كانت صغيرة ، ضئيلة ، لأنهم رئموا(٣) الذل والهوان فى ملك المصريين ، ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ، ولا استقلال ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم ، وملأ الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين » .

مدة حضانة الاخلاق

مدة حضانة الأخلاق :

قرر العلماء أن مدة حضانة الأخلاق أربعون سنة ، فاذا ما أخذت الأمة نفسها بالأخلاق كان جنى ثمرتها بسمو أخلاقها ورفعتها بعد « أربعين سنة » ، ولقد هلك فى خلال هذه المدة الجيل الذى ولد ، ونشأ فى الذل والاستعباد ، أما من نشأ فى البرية حرا، عزيزا فلم يكترث لهؤلاء الناس « أهل الأرض المقدسة » وغزا بلادهم مع يوشع بن نون فتى موسى ، فملكها .

الجيل الذى ولد ونشأ فى الذل :

يوشع بن نون :

كان تحريم الأرض المقدسة تحريما أبديا :

وقد كان تحريم الأرض المقدسة على بنى اسرائيل تحريما أبديا ، لا مقيدا بأربعين سنة ، ولذلك لم يدخلها أحد من الرجال الصالحين للحرب ، العاصين لأمر موسى عليه السلام ، القائلين : اذهب أنت وربك فقاتلا » ، لأنهم ماتوا فى البرية فى أثناء هذه المدة .

الوقف عند قوله : عليهم :

ولهذا كان الوقف عند قوله : « انها محرمة عليهم » ، ويبتدأ بقوله تعالى : « أربعين سنة يتيهون فى الأرض » : أوفى وأفضل .

قال تعالى فى سورة « المائدة » :

اذكروا نعمة الله عليكم :

واذ قال موسى لقومه : « يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين »

---

(١) يخبطون فى أرجائها خبط عشواء : العشواء : الناقة التى لا تبصر أمامها ، فهى تخبط بيديها كل شىء .

(٢) قوى الشكيمة : الشكيمة : فى اللجام ، الحديدة المعترضة فى ضم الفرس ، والمراد : أنه شديد النفس ، ابى .

(٣) رئموا الذل : رضوا به واعتادوه .

لا ترتدوا على أدباركم :

رجلان من الذين يخافون الله :

أذهب أنت وربك فقاتلا :

يا قوم ادخلوا الأرض(١) المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا(٢) على أدباركم ، فتنقلبوا خاسرين ٢١ » ، قالوا : يا موسى ان فيها قوما جبارين(٣) ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ٢٢ » ، قال رجلان(٤) من الذين يخافون أنعم(٥) الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه، فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ٢٣ » ، قالوا : يا موسى ، انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون ٢٤ » .

افرق بيننا وبين القوم الفاسقين :

قال : رب انى لا أملك الا نفسي وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ٢٥ » ، قال فانها محرمة عليهم ، أربعين سنة يتيهون(٦) فى الأرض ، فلا تأس(٧) على القوم الفاسقين ٢٦ » .

نتق الجبل فوق بنى اسرائيل

رفع جبل الطور :

أخذ الأحكام بجد وعزم :

اعراضهم عن الميثاق :

توبتهم :

فى سورتى « البقرة » و « الأعراف » ذكر الله تعالى أنه رفع جبل الطور فوق بنى اسرائيل ، حتى صار كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع عليهم ، أو أيقنوا ذلك ، وأمرهم أن يأخذوا ما أتاهم من الأحكام بجد وعزم ، وأن يعملوا بها محافظين عليها ، مثابرين ، فلم يكن منهم بعد الا أن أعرضوا عن الميثاق بعد أخذه ، ولولا فضل الله عليهم بتوفيقهم للتوبة لكانوا من الخاسرين .

المرحوم الشيخ محمد عبده :

نحا المفسرون هذا النحو ، ووافقهم الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده ، لأن مبداه عدم العدول عن ظاهر « القرآن » الا اذا صرف عنه صارف .

المرحوم السيد رشيد رضا :

وقد رأى المرحوم السيد رشيد رضا فى تفسير المنار أن فى هذا المعنى اكراها على الايمان ، وأجيب عنه بما يأتى :

١ — أن ما يفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال سبب الاكراه.

جواز الاكراه فى الأمم السابقة :

٢ — وأن هذا الاكراه كان جائزا فى الأمم السابقة .

---

(١) الأرض المقدسة : أرض بيت المقدس، سميت بذلك لأنها كانت قرار الانبياء ، أو « الطور » وما حوله ، أو «دمشق» و «فلسطين» وبعض الأردن ، أو الشام.
(٢) ولا ترتدوا على أدباركم : لا تدبروا خوفا ممن فيها .
(٣) جبارين : متغلبين ، لا تتأتى مقاومتهم .
(٤) من الذين يخافون : يخافون الله .
(٥) أنعم الله عليهما : أنعم الله عليهما بالايمان .
(٦) يتيهون : يضلون .
(٧) لا تأس : لا تحزن .

نفى الاكراه فى الدين خاص بالاسلام :

٣ — وأن نفى الاكراه فى الدين خاص بالاسلام ، لقوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » ، وقوله : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ؟

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

خذوا ما آتيناكم بقوة :

« واذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطور : خذوا ما آتيناكم بقوة ، واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٦٣ ، ثم توليتم من بعد ذلك، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ٦٤ » .

وفى سورة « الأعراف » :

كأنه ظلة :
اذكروا ما فيه :

« واذ نتقنا(١) الجبل فوقهم كأنه ظلة(٢) ، وظنوا أنه واقع بهم: خذوا ما آتيناكم(٣) بقوة ، واذكروا(٤) ما فيه ، لعلكم تتقون ١٧١ ».

البقــــرة

مد الله فى عمره وفى أسباب عيشه:
بنو عمومته :
تحاكموا الى « موسى » عليه السلام :
القتيل و «البقرة» :

يذكر المفسرون أن من بنى اسرائيل رجلا مد الله فى عمره ، وفى أسباب عيشه ، ولم يرزق غير ولد واحد تنحدر اليه بعد أبيه تلك النعمة العريضة ، فنفس عليه هذه الثروة بنو عمومته ، فقتلوه، ثم قاموا يطالبون بدمه ، والأسف يبدو على وجوههم ، ويعقد ألسنتهم ، ويقض مضاجعتهم ، فتحاكموا الى موسى عليه السلام، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضها فيحيا ، فينبىء بقاتله ، فحسبوه مسفها لأحلامهم ، فاستعاذ بالله أن يكون من الجاهلين ، فلجوا ، والحوا سائلين : ما هى ؟ فأبان لهم الله أنها بقرة عوان بين المسنة والفتية .

المطاولة وعدم الامتثال :
تسر الناظرين :
غير معدة لعمل :
اليتيم وأبوه الشيخ :
ذبحوها :

ولكن بنى اسرائيل قوم جبلوا(٥) على المطاولة ، وعدم الامتثال ، فسألوه عن لونها ، فأنبأهم أن الله يقول : « انها بقرة صفراء فاقع لونها ، تسر الناظرين بحسن منظرها ، فأبوا أن يسارعوا الى الطاعة ، وقالوا : « ان البقر تشابه علينا ، وانا ان شاء الله لمهتدون » فأجيبوا بأنها بقرة غير معدة لعمل ، سليمة من العيوب ، لا شية(٦) فيها ، فهداهم الله اليها عند ذلك اليتيم الذى ورثها عن أبيه الشيخ الزاهد ، الذى لم تشغله زخارف الحياة عن تقوى الله، والرجاء فيه ، فاشتروها بوفر(٧) ، فذبحوها ، وجاء موسى ، عليه

---

(١) نتقنا : رفعنا ، يقال : نتق الشىء ، ينتيقه : زعزعه ، ورفعه .
(٢) ظله : سقيفة ، وهى كل ما أظلك .
(٣) بقوة : بجد وعزم على تحمل مشاقه .
(٤) اذكروا ما فيه : اذكروه بالعمل به .
(٥) جبلوا : خلقوا ، وطبعوا .
(٦) لا شية فيها : الشية هى لون يخالف لون جلدها والمراد : خالصة الصفرة.
(٧) اشتروها بوفر : اشتروها بمال كثير .

ضرب « موسى » بلسانها القتيل فحيى بقدرة الله :

السلام لسانها ، نضرب به القتيل فحيى ، وأنبأ بقاتله بقدرة الله تعالى .

أية بقرة :

ولو أن بنى اسرائيل ذبحوا أية بقرة حين أمرهم موسى عليه السلام لأراحوا ، واستراحوا .

قلوب « بنى اسرائيل » قاسية:

على أن ذلك لم يؤثر فى قلوب بنى اسرائيل ، القاسية التى كأنها الحجارة ، أو أشد قسوة .

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

أتتخذنا هزوا ؟ :

لا فارض ولا بكر :

ما لونها ؟

تسر الناظرين :

لا ذلول :

لاشية فيها

كذلك يحيى الله الموتى :

ان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار :

واذ قال موسى لقومه : « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، قالوا : أتتخذنا هزوا » ؟ قال : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» ٦٧ ، قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟ » قال : « انه يقول : انها بقرة لافارض(١) ولا بكر(٢) ، عوان(٣) بين ذلك ، فافعلوا ما تؤمرون » ٦٨ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ٦٩ قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ ان البقر تشابه علينا ، وانا ان شاء الله لمهتدون » ٧٠ ، قال : « انه يقول : انها بقرة لاذلول ، تثير الأرض، ولا تسقى(٥) الحرث ، مسلمة(٦) ، لاشية فيها » قالوا : « الآن جئت بالحق » ، فذبحوها ، وما كادوا يفعلون ٧١ ، واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها(٧) ، والله مخرج ما كنتم تكتمون ٧٢ ، فقلنا : اضربوه ببعضها ، كذلك يحى الله الموتى ، ويريكم آياته ، لعلكم تعقلون ٧٣ » ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة ، أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر(٨) منه الأنهار ، وان منها لما يشقق(٩) فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ٦٤ » .

موسى والخضر(١٠)

« نوح البكالى »:

حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال : أخبرنى سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم

---

(١) لا فارض : لا مسنة .
(٢) ولا بكر : ولا فتية .
(٣) عوان بين ذلك : وسط بين المسنة والفتية .
(٤) فاقع لونها : خالص الصفرة .
(٥) لا تسقى الحرث : « لا » زائدة ، والحرث : كل نبت يستنبت بالبذر والنوى ، والفرس .
(٦) مسلمة : سليمة من العيوب .
(٧) ادارأتم فيها : تدافعتم ، وتنازعتم .
(٨) يتفجر : يسيل .
(٩) يشقق : يتشقق .
(١٠) الخضر : بكسر فسكون ، أو بفتح فكسر .

ابن عباس :

أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل ، فقال ابن عباس : كذب عدو الله .

أبى بن كعب : قام « موسى » خطيبا فى « بنى اسرائيل » : مجمع البحرين :

حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل ، فسئل أى الناس أعلم ؟ ، فقال : أنا ، فعتب الله عليه ، اذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه : « ان لى عبدا بمجمع البحرين(1) » هو أعلم منك ، قال موسى : « يارب ، فكيف لى به » ؟

الحوت والمكتل : الصخرة : أتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا :

قال : « تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ، فأخذ حوتا فىمكتل(2) » ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون ، حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما ، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه ، فسقط فى البحر ، فاتخذ سبيله فى البحر(3) سربا ، وأمسك الله عن الحوت جريه الماء ، فصار عليه مثل الطلق(4) .

آتنا غداءنا : نسيت الحوت : ذلك ما كنا نبغى : رجل مسجى ثوبا : « الخضر » و « موسى » : « الخضر » يخاطب « موسى » : « موسى » يرد عليه : انطلقا يمشيان على ساحل البحر :

فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتام : « آتنا غداءنا ، ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به ، فقال له فتام : أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ، وما انسانيه الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا » ، قال : « فكان للحوت سربا ، ولموسى ولفتاه عجبا » ، فقال موسى : « ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا(5) » ، قال : « رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل مسجى(6) ثوبا ، فسلم عليه موسى ، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام ، قال أنا موسى ، قال : موسى — نبى اسرائيل ؟ قال « نعم ، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا »، قال : « انك لن تستطيع معى صبرا ، يا موسى انى على علم من علم الله ، علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله ، علمك الله ، لا أعلمه » ، فقال موسى : « ستجدنى ان شاء الله صابرا ، ولا أعصى لك أمرا » ، فقال له الخضر : « فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا » ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر ، فحملوه بغير نوال(7) » .

---

(1) مجمع البحرين : ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق .
(2) المكتل : زنبيل من خوص ، والجمع مكاتل .
(3) سربا : مصدر ، أى سرب فيه سربا ، أى دخل .
(4) الطلق : الظبى ، وتطلق الظبى : مر لا يلوى على شىء ، ودخل فى الماء واستتر به .
(5) قصصا : يقصان آثارهما قصصا ، أى : يتتبعان آثارهما تتبعا .
(6) مسجى : مغطى .
(7) النوال : الأجر .

« الخضر خلع لوحا من السفينة بالقدوم :

فلما ركبا السفينة لم يفجأ : لامر الخضر قد خلع لوحا من السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها ، لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا(١) ، قال : « ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟ » ، قال : لاتؤاخذنى بما نسيت ، ولا ترهقنى(٢) من أمرى عسرا » .

وكانت الأولى من « موسى » نسيانا : الخضر :

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وكانت الأولى من موسى نسيانا » قال : « وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة ، فنقر فى البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر » .

أخذ « الخضر » رأس الغلام بيده :

أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟ :

قد بلغت من لدنى عذرا :

« الخضر » اقام جدارا مائلا :

سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا :

السفينة :

الغلام :

الجدار :

الكنز :

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر بغلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده ، فاقتلعه، فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية(٣) بغير نفس ؟ « لقد جئت شيئا نكرا(٤) » قال : « ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا » ، وقال : « وهذه أشد من الأولى » ، قال : « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى(٥) عذرا ، فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما(٦) أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد(٧) أن ينقض (مائل) ، فقام الخضر فأقامه بيده ، فقال موسى : « قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرا » ، قال : « هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ، فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ٧٩ ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا(٨) أن يرهقهما ، طغيانا وكفرا ٨٠ ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة(٩) ، وأقرب رحما(١٠) ٨١ ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما(١١) ، ويستخرجا كنزهما ، رحمة من ربك ، وما فعلته عن مرى ، ذلك تأويل مالم(١٢) تسطع عليه صبرا ٨٢ » .

---

(١) أمرا : عظيما .
(٢) لا ترهقنى من أمرى عسرا : لا تغشنى عسرا من أمرى بالمضايقةوالمؤاخذة.
(٣) زكية : طاهرة .
(٤) نكرا : منكرا .
(٥) قد بلغت من لدنى عذرا : قد وجدت من قبلى عذرا فى مقاطعتى .
(٦) استطعما أهلها : طلبا اليهم أن يطعموهما .
(٧) يريد أن ينقض : يكاد يسقط .
(٨) فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا : فخفنا أن يغشاهما بالعقوق متجاوزا الحد .
(٩) خيرا منه زكاة : أحسن منه طهارة .
(١٠) رحما : قرابة .
(١١) أن يبلغا أشدهما : أن يبلغا غاية نموهما .
(١٢) ما لم تسطع : ما لم تستطع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددنا أن كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » .

الخضـــــر

الجمهور :
آخرون :

يرى الجمهور أن اسمه بليا بن ملكان ، وأن الخضر لقب له ، وأنه نبى ، ويرى آخرون أنه ولى وعليه الكثير .

شيخ الاسلام ابن تيمية :

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية عنه ، فقال : « لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجاهد بين يديه ، ويتعلم منه .

يذكر الله بنى اسرائيل بنعمه عليه

تدليـــل الله لبنى اسرائيل والتنكيل بمن ظلمهم :

دلل الله بنى اسرائيل ، ونكل بمن ظلمهـــم ، وهم لا يزيدون الا مخالفة وعنادا .

الكتاب المقدس :
الأرض المقدسة :
يطرد الأمم أمامكم :

وفى الكتاب المقدس : أن موسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل: « لا تظنوا أن الله تعالى سيأتى بكم الى الأرض المقدسة » بسبب قداستكم ، وطهارتكم ، وأنكم أفضل الناس فى طاعته ، كلا ، فانه انما يطرد الأمم أمامكم ، لرداءتهم ، ورجسهم العظيمين » .

اطـــلاق « بنـى اسرائيل » من أسر « فرعون » :

وقد ذكر الله تعالى بنى اسرائيل بالآيات التى صنعها فى سبيل اطلاقهم من أسر فرعون وقومه :

قال تعالى فى « سورة البقرة » :

لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منهـــا عدل :
سوء العذاب :
واعدنا « موسى » أربعين ليلة :

« يا بنى اسرائيـــل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين ٤٧ ، واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ(١) منها عدل ، ولا هم ينصرون ٤٨ ، واذ نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم(٢) ســـوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء(٣) من ربكم عظيم ٤٩ ، واذ فرقنا(٤) بكم البحر ، فأنجيناكم ، وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ٥٠ ، واذ واعدنا(٥) موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ٥١ ، ثم عفونا عنكم من

---

(١) لا يؤخذ منها عدل : لا يؤخذ منها فداء .
(٢) يسومونكم سوء العذاب : يريدونكم عليه ، ويبغونه لكم .
(٣) بلاء : اختبار .
(٤) فرقنا بكم البحر : فلقناه .
(٥) واعدنا : وعدنا .

آتينا « موسى » الكتاب والفرقان : توبوا الى بارئكم: حتى نرى الله جهرة : بعثناكم من بعد موتكم : المن والسلوى

بعد ذلك لعلكم تشكرون ٥٢ ، واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان(١) لعلكم تهتدون ٥٣ ، واذ قال موسى لقومه : « يا قوم ، انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم ، فاقتلوا(٢) أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم، فتاب عليكم، انه هو التواب الرحيم ٥٤ »، واذ قلتم : « يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة(٣) ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ٥٥ ، ثم بعثناكم(٤) من بعد موتكم ، لعلكم تشكرون ٥٦ ، وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى: كلوا من طيبات مارزقناكم، وماظلمونا ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٥٧ »

وفى سورة « ابراهيم » :

يذكر « موسى » قومه : لئن شكرتم لأزيدنكم:

« واذ قال موسى لقومه : اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ أنجاكم من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٦ ، واذ تأذن(٥) ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ٧ ، وقال موسى : ان تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد ٨ » .

موسى عليه السلام وقارون

قارون : العصبة أو القوة: أولو العلم والبصيرة : رضوان الله : القلوب والآذان :

كان قارون من عشيرة موسى الأقربين ، وقومه ، فبغى(٦) عليهم، وآتاه الله من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء(٧) بالعصبة أولى القوة . يتمنى من رآه فى أبهته ، وزينته ان ينال مثل ما نال من الحظ فى الدنيا وقد بذل له النصح أولو العلم والبصيرة من قومه ، وحذروه عاقبة خيلائه(٨) ، وطلبوا اليه أن يشكر لله نعمته ، وينأى(٩) عن الافساد فى الأرض ، وحضوه على ابتغاء رضوان الله ، والدار الآخرة فيما آتاه الله والأخذ بنصيبه فى الدنيا ، ولكنها القلوب ، يقلبها المال ، والآذان يصمها الغرور ، والعيون يعميها الطغيان .

لم يجد مع «قارون» نصح الناصحين :

فلم يجد مع قارون نصح الناصحين ، فقد كان جافيا فى رده ،

---

(١) الفرقان : التوراة ، أو معجزة « موسى » الفارقة بين الحق والباطل .
(٢) اقتلوا أنفسكم : اقتلوها بالتوبة ، أو بقطع الشهوات ، أو فليقتل البرىء منكم المجرم .
(٣) جهرة : مشاهدة .
(٤) بعثناكم : أحييناكم بعد الموت .
(٥) تأذن : آذن ، بمعنى : أعلم ، كتوعد بمعنى أوعد .
(٦) بغى عليهم : ظلمهم ، أو تكبر عليهم لما ولاه (فرعون) على « بنى اسرائيل » .
(٧) لتنوء بالعصبة : تثقلهم ، أى تنوء العصبة بثقلها ، والعصبة من الرجال : ما بين العشرة والأربعين .
(٨) الخيلاء : الكبر .
(٩) ينأى : يبعد .

زكاة ماله :

سادرا فى غيه ، فلم يجد موسى عليه السلام بدا من أن يعلنه فى حزم ، وحكمة أن يؤدى زكاة ماله ، ففيه حق معلوم للسائل والمحروم ، فلم يستمع لقولته ، وحاوره ، وجادله ..

هاله ما رأى :

وبعد لأى أبدى قبولا ، ثم ذهب الى داره ، ليرى ما يصيب الفقراء من ماله ، فذعر ، وفزع ، وهاله ما رأى .

يطعن على « موسى » :

« موسى » عليه السلام برىء مما رمى به :

ثم راح يطعن على موسى ، ويقدح فى عرضه ، فأغرى به امرأة لتنسب اليه الفاحشة ، ففعلت ، ولكن الله كشف جريمته ، وأظهر بهتانه فاعترفت المرأة بأن قارون هو الذى دفعها الى ذلك بماله، وأن موسى عليه السلام برىء مما رمته به .

« موسى » يدعو الله أن ينزل به عذابه :

ولما أيس موسى من تقويمه دعا الله أن ينزل به عذابه ، فخسف به وبداره الأرض ، وكان فى ذلك أكبر عظة ، وخير عبرة للذين تمنوا مكانه بالأمس .

قال تعالى فى سورة « القصص » :

بغى « قارون » :

ان الله لا يحب الفرحين :

ان الله لا يحب المفسدين :

« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، اذ قال له قومه : لاتفرح، ان الله لا يحب الفرحين ٧٦ ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين ٧٧ »

خرج على قومه فى زينته :

ياليت لنا مثل ما أوتى « قارون »

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقدر

العاقبة للمتقين :

قال : « انما أوتيته على علم عندى » ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٧٨ ، فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : « ياليت لنا مثل ماأوتى قارون ! انه لذو حظ عظيم » ٧٩ . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم : ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » ٨٠ ، فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين ٨١ ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون : ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه(١) لا يفلح الكافرون ٨٢ ». تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين ٨٣ » .

---

(١) ويكأنه : أى : وى ، كأن ، وكلمة « وى » فعل بمعنى « أتعجب ، وكأن للتشيد ، ومعناهما : أما أشبه الأمر » وقال « سيبويه » : وى : كلمة تنبيه على الخطأ ، وتندم ، أى أن القوم نبهوا على خطئهم فى تمنيعهم وتندموا وقالوا : كأنه لا يفلح الكافرون .

وفى سورة « الاحزاب » :

آذوا « موسى » فبرأه الله :

« يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها ٦٩ » .

وفى سورة « الصف » :

ازاغ الله قلوبهم :

« واذ قال موسى لقومه : « يا قوم ، لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم » ، فلما زاغوا(١) أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ٥ .

ثناء الله على موسى و هرون

العناد والمخالفة : كان « موسى » و « هرون » مخلصين لبنى اسرائيل :

بنو اسرائيل قوم ألفوا العناد ، والمخالفة ، وقد كابد موسى وهرون عليهما السلام فى سبيل معالجتهم وسياستهم كثيرا ، وكانا مخلصين لهم غاية الاخلاص ، لذلك أثنى الله عليهما :

جانب الطور الأيمن :

فى سورة « مريم » : « واذكر فى الكتاب موسى ، انه كان مخلصا(٢) ، وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور الأيمن ، وقربناه نجيا(٣) ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا .

أصحاب السبت

أمر «موسى» قومه أن ينقطعوا للعبادة يوما فى الأسبوع :

أبدوا رغبتهم أن يكون يوم «السبت»

أمر موسى عليه السلام قومه بنى اسرائيل ان ينقطعوا لعبادة الله يوما كل أسبوع ، فلا يزاولون عملا من أعمال دنياهم فيه ، وبذكر الله تطمئن قلوبهم ، وتطهر نفوسهم ، وكان هذا اليوم يوم الجمعة ولكنهم أبدوا رغبتهم أن يكون يوم السبت ، فقبل الله ذلك منهم ، وأقبل موسى فيه واعظا لهم ، ومرشدا،ومذكرا . «والذكرى تنفع المؤمنين » .

دأبو فى تقديس يوم السبت : بدلا من يوم الجمعة

داب بنو اسرائيل فى تقديس يوم السبت وافراده لطاعة الله وعبادته .

بعد وفاة «موسى» أقبل قوم من سلالتهم على الصيد يوم السبت

ثم رأى قوم من سلالتهم — بعد عهد موسى — أن يقبلوا على الصيد يوم السبت ، لأن الحيتان تخرج متكاثرة ليلة السبت ، ويومه

---

(١) زاغوا : مالوا عن الحق .
(٢) مخلصا : أخلصه الله لنفسه .
(٣) نجيا : مناجيا .

حذروهم عاقبة ما يفعلون : اذ تأمن أن تصاد فوعظهم المؤمنون منهم وحذروهم عاقبة مايفعلون، فلم يأبهوا لقولهم،فانصرفوا عن وعظهم ، وتركوهم فى غيهميعمهون

استنصر نبى الله « داود » ربه عليهم : فاستنصر نبى الله داود ربه عليهم ، وطلب اللعنة لهم فزلزلت القرية زلزالا شديدا ، فخرج المؤمنون من ديارهم فزعين .

عذاب بئيس : « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس(1) بما كانوا يفسقون » .

موت هرون ثم موسى

جبل « هور » : هناك مات «هرون» : أمر الله موسى و هرون عليهما السلام ان يذهبا الى جبل هور من جبال سيناء ، فذهبا ، وهناك مات هرون فدفنه موسى ، وعاد الى بنى اسرائيل ، وأنبأهم بموته .

« بنو اسرائيل » اتهموا « موسى » بقتل « هرون » : ويقول بعض المفسرين : « ان بنى اسرائيل اتهموا موسى بقتل أخيه هرون ، فأراهم الله هرون على سرير بين السماء والأرض ، ليس به أثر للقتل .

جبل « نبو » : ينظر « موسى » الى الارض المقدسة ولا يدخلها : أما موسى عليه السلام فقد أمره الله أن يذهب الى جبل نبو وأن ينظر الى الأرض المقدسة . ولا يدخلها .

الفسجة : وهناك مات ، ودفن على « الفسجة » وهى الكثيب الأحمر .

أهل « فلسطين » : وأهل فلسطين يدعون أن قبره فى موضع من بلادهم ، ويقيمون له مولدا يقصد من كل ناحية فى موعد معين كل سنة .

يوشع بن نون

يوشع بن نون : قام يوشع بن نون وهو من سبط يوسف عليه السلام على شئون بنى اسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام .

ملكوا مدينته « أريحا » : وقد عبروا الى الأرض التى وعدوا بها ، فملكوا مدينة أريحا، فأمرهم الله أن يسجدوا له شكرا ، ويسألوه أن يحط عنهم ذنوبهم . فلم يذعنوا لأمره .

قالوا قولا غيرالذى قيل لهم : « سجية تلك فيهم غير محدثة ، وقالوا قولا غير الذى قيل لهم ، فأرسل الله عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون .

البيضاوى : يقول « البيضاوى » : ان القبة هى بيت المقدس أى أورشليم أو أريحا .

---

(1) عذاب بئيس : شديد .

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

كلوا منهـــا حيث شئتم رغدا :

« واذ قلنا : « ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا : « حطة » نغفر لكم خطاياكم ، وسنزيد المحسنين ٥٨ ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيــل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون» ٥٩ .

بدل الذين ظلمــوا قولا غير الذى قيل لهم :

وفى سورة « الأعراف » :

اســكنوا هــذه القرية :

ادخلوا البـــاب ســجدا :

أرسـلنا عليهـم رجــزا :

« واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ، وكلوا منها حيث شئتم ، وقولوا « حطة » ، وادخلوا الباب ســـجدا نغفر لكم خطيئاتكم ، سنزيد المحسنين ١٦١ ، فبدل الذى ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم ، فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ١٦٢ ».

حمادى الجهاد فى سبيل الرسالة

١ — قد يكون الخـــير العظيم فى الابتـــلاء ، فينبغى أن يلقى الرضا ، ففى هجرة موسى عليه السلام من مصر — وهو خائف يترقب — الخير كل الخير ، اذا اصطفاه ربه برسالاته وبكلامه .

٢ — المستمسك بالحق لا يكترث لمخالفة مهما يكن شأنه .

٣ — الحق منتصر ، والباطل منهزم : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، فقد اعتزم فرعون أن يقتل موسى وأمر قومه ، فدافع عنه رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه .

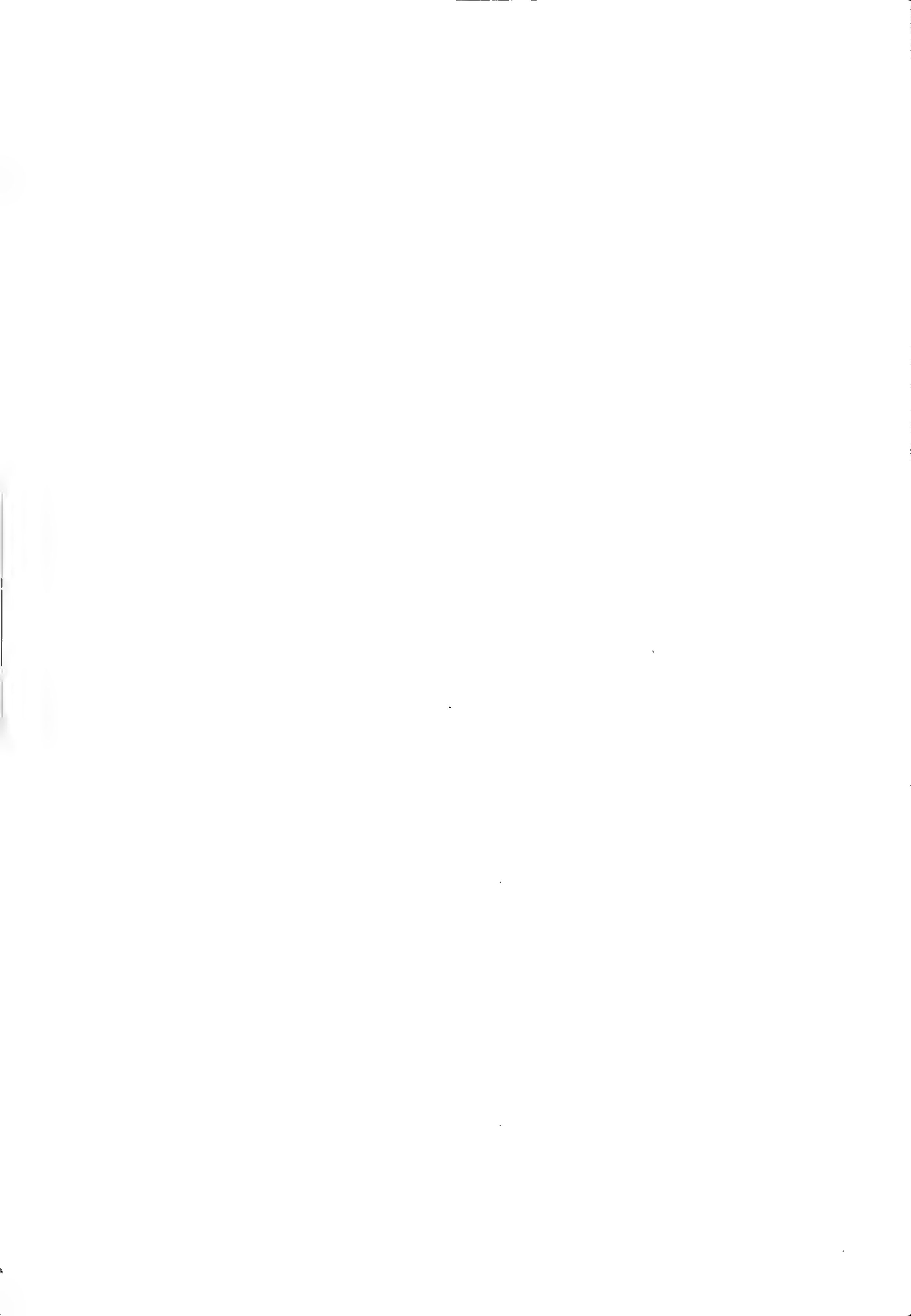
٤ — يستهين المرء بأشد العذاب فى سبيل الايمان الذى وجد حلاوته ، وعرف حقيقته .

٥ — معاونة الضعيف والاسداء اليه سبيل الخير والنجاح فى الدنيا والآخرة .

« ٤ »

عيسى

عليه السلام
رسول الله وكلمته



مريم ابنة عمران

سبقت مريم العذراء وليدها عيسى الى الحيــاة ، فآثرت أن تكون كلمتها بين يدى كلمته .

مولدها ، ووفــاة أبيها « عمران » : حزن أمها :

ولدت مريم — وقد اختطفت المنيــة أباها عمران — فاشـــتد حزن أمها عليه ، وفاضت شئونها غزارا ، وغاض معين حياتهــا السعيدة ، وضاقت عليها الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهانفسها، فلقد كان عماد رجائها ، وصرح آمالها ، وعالما جليلا بين علمـــاء بنى اسرائيل .

كان عماد رجائها :

وضعت « أنثى » : نذرهـــا :

وزاد حزنها ، وضاعف ألمها أنها وضعت أنثى ، وطالما رجت أن ترزق بولد ذكر تقر عينا بطلعته ، وتغمره بعطفها ، ولقد نذرت لله أن يكون « سادنا » فى بيت المقدس محررا .

الجنين : وضعها : الحزن واليأس :

أشرقت الدنيا فى عينيها ، ونضر عودها ، وأقبلت على الحياة منشرحة الصدر ، باسمة الثغر ، لأنها شعرت بحركة الجنين بين أحشائها ، ثم وضعت ، واذا المولود أنثى فغشيتها سحابة منالحزن وغمرتها موجة من اليأس نالتها منها ، ثم سمتها مريم(١) وطلبت الى الله أن يكلأها برعايته ، وأن يعيذها(٢) وذريتها من الشيطان الرجيم .

سرى عنها : بيت المقدس :

وقد سرى عنها ، لأن الله قد قبل هبتها ، وأنبأها أنه أعلم بما وضعت ،فحملتها الى بيت المقدس ، ودفعتها الى الأحبار وانصرفت.

اطمئنانها :

ثم ذهبت الى بيت المقدس تتعرف خبر ابنتها ، تدفعها الشفقة ، ويحدوها الحنو ، وعادت — وقد اطمأنت عليها — .

الأحبـــار : الاقتراع : زكريا :

تسابق الأحبار سراعا الى مريم ، وتنازعوا القيام على تربيتها ، واشتد الجدال ، يرجون الزلفى(٣) الى الله تعالى . ثم اقترعوا عليها ، فألقوا أقلامهم(٤) فى النهر ، فرسبت ، وارتفع قلم زكريا وأنشأ لها مكانا فوق الماء ، فكان الكافل لها ، وهو زوج خالتها . فنأى بها عن الناس . وأنشأ لها مكانا عليا ، لا يدخل اليها فيه غيره .

رعاية أمورها : رزق « مريم » :

وقد أخلص فى تفقد شئونها ، ورعاية أمورها ، وكثيرا ما وجد عندها رزقا لا يشبه أرزاق الدنيا ، آتيا فى غير حينه ، فحاول أن

---

(١) مريم : العابدة .
(٢) يعيذها : يحصنها .
(٣) الزلفى : القربة والمنزلة .
(٤) أقلامهم : سهام الاقتراع .

ان الله يرزق من يشاء بغير حساب :

يقف على سره فلم يوفق ، فقال : يامريم .. انى لك هذا ؟ قالت: « هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

فعلم أن الله قد اصطفاها على نساء العالمين .

يرجو « زكريا » أن يرزقه الله ولدا من صلبه :

يضرع الى الله :

أثار فى نفسه ما أدهشه من تلك المكرمات رجاءه أن يرزقه الله ولدا من صلبه — وقد كبرت سنة — فتوجه الى ربه القدير ضارعا أن يحقق هذا الرجاء : « رب انى وهن العظم منى ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى(١) من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا » ، فأجاب الله سؤله : يا زكرياانا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا ».

أجاب الله سؤله : يحيى :

نشأة (مريم) :

تطهير « مريم » من الأرجاس :

نشأت مريم طاهرة ، تقية ، تعبد الله ، وتخلص فى القيام بسدانة البيت ، والملائكة تنبئها اصطفاء الله تعالى ، واجتبائه اياها ، وتطهيرها من الأرجاس ، وتحثها على القنوت لله .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » :

ذرية بعضها من بعض :

امرأة « عمران »:

والله أعلم بما وضعته :

أنبتها نباتا حسنا :

« ان الله اصطفى(٢) آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين٣٣ ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ٣٤ ، اذ قالت امرأة عمران : رب انى نذرت(٣) لك ما فى بطنى محررا(٤)، فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم ٣٥ ، فلما وضعتها قالت : رب انى وضعتها أنثى — والله أعلم بما وضعت — وليس الذكر كالأنثى . وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ٣٦ فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها(٥) نباتا حسنا ، وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب(٦) وجد عندها رزقا، قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ ، قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧ » .

ان الله يرزق من يشاء بغير حساب:

وفيها أيضا :

واذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله اصطفاك(٧) ، وطهرك ،

---

(١) الموالى : اخوته ، وبنو عمه ، خاف أن يغيروا الدين ، والا يحسنوا الخلافة على أمته ، لأنهم شرار « بنى اسرائيل » ، فطلب عقبا من صلبه صالحا ، يقتدى به فى احياء الدين .
(٢) اصطفى أختار .
(٣) نذرت أوجبت على نفسى .
(٤) محررا : حرا من كل تكليف الا خدمة مولاه .
(٥) وانبتنها نباتا حسنا : رباها تربية تصلحها فى جميع أحوالها ، وقد شبهها بالزرع لذلك .
(٦) المحراب : الغرفة ، والمسجد ، واشرف جهة فى المسجد .
(٧) اصطفاك : تقبلك من أمك ، ولم يقبل قبلها أنثى فى نذر .

نساء العالمين :

واصطفاك(١) على نساء العالمين ٤٢ ، يا مريم اقنتى(٢) لربك ، واسجدى ، وأركعى مع الراكعين ٤٣ .

انبـاء الغيب :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ٤٤ .

تبشير مريم بعيسى

بلغت « مـريم » مبلغ النساء : جبريل :

عكفت مريم على الصلاة ، والعبادة ، ولما بلغت مبلغ النساءجاء الملك جبريل عليه السلام على صورة فتى ، فأخذها رعب لم تعهده من قبل ، فظنته معتديا أثيما ، فاستعاذت بالله منه ، ووصفته بعدم التقوى ، وقالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » .

ان : نافية

الأسى والعجب :

قدرة الله :

و — ان هنا نافية خير منها شرطية — فسكن روعها ، وأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ، ليهب لها غلاما زكيا ، فأخذ الأسى(٣) ، والعجب ، وأوجست فى نفسها خيفة ، اذ كيف تحمل « عذراء » وتلد دون أن يمسها بشر ؟ فأحال على قدرة الله الذى لا يعجـزه شىء ، تخفيفا عنها ، وتهوينا .

نفخ فى جيب درعها

ونفخ فى جيب درعها ، فاذا هى حامل .

« المسيح عيسى بن مريم » :

التوراة والانجيل :

وفيما أنبأها أن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم ، وأنهسيكون وجيها(٤) فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، وانه يكلم النـاس فى المهد(٥) وكهلا(٦) ، وأن الله سيعلمه الكتاب ، والحكمة والتوراة ويعطيه الانجيل أى البشارة وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ، ورحمة منه لعباده .

وقال تعالى فى سورة « آل عمران » :

ان الله مبشـرك بكلمة منه :

اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بـكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ٤٥ ، ويكلم الناس فى المهد ، وكهلا ، ومن الصـالحين ٤٦ » ، قالت :

---

(١) واصطفاك : هداك وخصك بالكرامات .
(٢) اقنتى : الزمى الطاعة مع الخضوع .
(٣) الأسى : الحزن .
(٤) وجيها : شريفا ، عاليا .
(٥) المهد : فراش الطفل .
(٦) الكهل : من جاوز الثلاثين الى الواحد والخمسين .

أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟

« رب(١) انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ؟ قال : كذلك الله يخلق مايشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له : « كن فيكون » ٤٧ ، ويعلمه الكتاب(٢) ، والحكمة(٣) ، والتوراة . والانجيل » .

وفى سورة « مريم » :

انتبذت من أهلها مكانا شرقيا :

ان كنت تقيا :

لم أك بغيا :

وكان أمرا مقضيا :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت(٤) من أهلها مكانا(٥) شرقيا ١٦ ، فاتخذت من دونهم حجابا(٦) ، فأرسلنا اليها روحنا(٧) ، فتمثل لها بشرا سويا(٨) ٧ ، قالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت(٩) تقيا ١٨ » ، قال : « انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا(١٠) ١٩ » ، قالت : « أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، ولم أك بغيا » ، قال : « كذلك قال ربك : « هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان امرا مقضيا » .

حمل مريم بالمسيح

الملك « جبريل » ينفخ فى جيب درعها :

كاشفت « يوسف » بالحمل :

وأنباه « جبريل » :

البيضاوى :

نفخ الملك جبريل عليه السلام فى جيب درعها فحملت ، ومرت بما تمر به الحامل من أدوار الحمل ، وقد كاشفت يوسف بالحمل ، وهو من عشيرتها ، قديم السيرة ، بار ، تقى ، كما أنبأه جبريل عليه السلام ، ويذكر البيضاوى فى تفسيره : كانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية — ولم يعلم مولود وضع لثمانية غيره ، وقيل : ساعة . كما حملته نبذته . اه .

يبدو تكلف فى هذه الآراء .

ويبدو تكلف فى هذه الآراء ، وليس لدينا ما يثبتها . فالأولى أن نترك مدة الحمل على طبيعتها .

الناصرة :

وكانت تقيم فى بيتها الريفى من قريتها ، ومسقط رأسها الناصرة .

---

(١) أنى : من أين ؟ أو كيف .
(٢) الكتاب : المراد به الكتب المنزلة .
(٣) الحكمة : اصابة الحق بالعلم والعمل .
(٤) انتبذت : اعتزلت .
(٥) مكانا شرقيا : شرق « بيت المقدس » أو شرق دارها .
(٦) حجابا : سترا .
(٧) روحنا : جبريل .
(٨) سويا : سوى الخلق .
(٩) ان كنت تقيا : ان كنت تقيا فلا تتعرض لى ، فجواب الشرط محذوف أو ان نافية ، وهى خير من الشرطية .
(١٠) زكيا : طاهرا .

اقتراب ساعة الوضع

« مريم » تعانى من أمرها ما تعانى :

مرت الأيام و مريم تعانى من أمرها ما تعانى ، وتحمل من أثقالها ما تحمل ، وتقاسى ضروبا من الأسى والحيرة ، والحسرة جميعا ، ولما اقتربت ساعة الوضع خرجت من القرية فألجأها المخاض الى جذع نخلة يابسة فى موضع بمدينة بيت لحم ، قرب بيت المقدس

اقتراب ساعة الوضع :

البيضاوى :

ويقول البيضاوى : « ان الزمن كان زمن شتاء ، والنخلة يابسة . تعاونت على مريم الأحزان والآلام النفسية المبرحة، لايطيب لها عيش ، ولا يهنأ لها طعام ، ولا شراب ، أقضت مضجعها ، ووزعت نفسها ، وشردت فكرها فيما هى قادمة عليه : من لوم اللائمين . وما سيرمونها به من ثلم شرفها ، وبماذا تدفع عن نفسها — وقد تحدث الناس فى شأنها — ؟ وهل من سبيل أمامها غير التسليم لما قضى الله ، وانتظار ما يأتى به القدر ؟

الأحزان والآلام :

بماذا تدفع عن نفسها ؟ :

ابناء الملك :

لقد أنبأها الملك فيما أنبأ : « أنها المصطفاة : المجتباة ، المطهرة من الأرجاس ، والأدناس ، وأن الوليد رسول الله وكلمته .

باب الرجاء :

ذلك النبأ الذى خفف عنها ما تجد ، وطمأنها ، وفتح أمامها باب الرجاء فبدت مضطربة هادئة ، حائرة ساكنة ، خائفة آمنة .

وقد عاشت السيدة مريم بعد سيدنا عيسى عليه السلام مدة فى رعاية الحواريين ، وبخاصة يوحنا ، لأن بينهما قربى .

٤ — عيسى(١) الوليد

السكون الرهيب :

وضعت « عيسى » :

نور شديد التألق :

وبين هذا السكون الرهيب ، والوحدة الموحشة ، والاضطراب، والذهول وضعت عيسى رسول الله وكلمته دون أن تجد ألما — وقد أنتشر حولها نور شديد التألق — . فعاودتها الحسرة وقالت : « ياليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا » ، فناداها من تحتها . (المنادى « جبريل » أو « عيسى ») : أن لا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى ، واشربى ، وقرى عينا » .

المنادى :

سعة رحمة الله :

الرطب فى النخلة اليابسة :

بهذا طمأنها الله ، وبين لها سعة رحمته ، وعظيم قدرته ، فقد أوجد الرطب فى النخلة اليابسة ، والماء الجارى فى الأرض الجدبة .

(١) عيسى : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى « مريم » وروح منه ، وهو آخر أنبياء الله ورسله من « بنى اسرائيل » ، ذكر اسمه فى القرآن بلفظ « المسيح » تارة وهو لقب له ، وبلفظ « عيسى » وهو اسمه ، و« بابن مريم» وهى كنيته ، واسمه بالعبرية « يشوع » أى المخلص .

أكرمها بهذا ، وكساها لباس الطهر ، والعفاف ، وهى ماتزال حائرة ، مضطربة .

بمـــاذا تجيب لائميها ؟ : برأ الله أمه على لسانه :

بماذا تجيب لائميها ، وتدفع عن نفسها زراية الزارين عليها ؟ لقد كشف الله بفيض رحمته للوليد حالة أمه ، فبرأها على لسانه ، وكفاها الكلام ، فقال : « فاما ترين من البشر أحدا فقولى : انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا .

الناصرة : شرف الأسرة : لقـد جئت شـيئا فريا :

ثم عادت الى الناصرة منبتهـا ، تحمل عيسى فاستقبلها قومهـا بالتأنيب ، واللوم ، وأفاضوا فى الحديث عن شرف أسرتها،وكرامتها، وقالوا : « يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا(١) ٢٧ ، يا أخت هرون ما كان أبوك أمرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ٢٨ ؟

عقـد الحيــاء لسانها : أشـــارت الى « الوليـد » : الســـخرية والاستهزاء : اجابة « عيسى » :

فعقد الحياء لسانها ، وهى ذاهلة ، كاسفة البال ، ثم رددت قولها : « انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » ، وأشارت الى الوليد فى مهده ، تريد . أن يوجهوا اليـه كلامهم ، فكانت اشارتها مبعث السخرية ، والاستهزاء ، قائلين : « كيف نكلم من كان فى المهدصبيا ؟ ٢٩ » .فأجابهم عيسى من فوره الاجابة المبرئة لأمه ، الدالة على صـدق رسالته ، وبره ، وتواضـعه : انى عبد الله ، آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ٣٠ ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيـا ٣١ ، وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ٣٢ ، والسلام على يوم ولدت، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا ٣٣ » .

آية الآيات :

جعل الله كلمة عيسى آية الآيات على براءة مريم ، وطهارتها ، وذاع هذا الحديث بينهم ، فعلا شأن عيسى و أمه .

جاء الحق وزهـق الباطل :

وقل جاء الحق،وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

أعمـى اللـه أبصارهم : لم يكترثوا للآيات :

بيد أن قلة ممن أعمى الله أبصـارهم ، وطبع على قلوبهم لم يستجيبوا لنداء الحق ، ولم يكترثوا للآيات البينات ، ولم يفكروا فى قدرة الله العلى العظيم الذى يقول : انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون » .

لا يقام لهم وزن :

فلا ينبغى أن يقام لهؤلاء وزن ، أو يعدوا فى الأحياء .

كيف حملت مريم من نفخة الملك فى جيب قميصهـــا

خـلق السـموات والأرض :

ان هذا الحمل عجيب حقـا ، وأعجب منه خلق الســموات والأرض على قانون منظم .

---

(١) فريا : منكرا .

خلق « آدم » : وخلق آدم من غير اب وأم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل « آدم » خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » .

خلاف ما قضت به السنة : وكثيرا ما يصدر صنع الله على خلاف ما قضت به السنة .

وما كشف العلم من عجائب الكون القريب والبعيد الا قليلا .

ما مبلغ سن مريم حين وضعت عيسى ؟

سن « مريم » : فى تفسير البيضاوى : ان سن مريم حين وضعت عيسى كانت ثلاث عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين .

الرأى : والرأى أن يقال : انها بلغت مبلغ النساء ، وليس هناك مايدعو الى تحديد السن .

لماذا أمرت مريم أن تهز جذع النخلة ، لتساقط عليها رطبا ؟ ولم كان رزقها رطبا ؟

« مريم »لا تستطيع أن تجهز الطعام فى ذلك الحين : لم يكن لمريم فى ذلك الحين من يجهز لها الطعام ، وما يلزم لمثلها ، وهى لا تستطيع أن تفعل .

« الرطب » أوفق طعام للوالدة : و الرطب قد جمع الى الطعام الحلوى ، فهو أوفق طعام للوالدة .

كان الوقت شتاء : فى تسليتها ما فيه من المعجزات الدالة على براءتها : ويقول البيضاوى : انها كانت نخلة يابسة ، لا رأس لها ولا ثمر ، وكان الوقت شتاء ، فهزتها فجعل الله لها رأسا ، فيه خوص وثمر . وفى تسليتها بذلك ما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها .

كان النخل ببيت لحم نادرا

كان وجود النخل ببيت لم نادرا : كان وجود النخل ببيت لحم ، وهى البلدة التى كانت بها مريم يوم ولادة المسيح عيسى نادرا .

كنيسة : فور البلاط : وقد بنيت ببيت لحم كنيسة على موضع ولادة المسيح بها مكان النخلة التى ولدت عندها مريم ، وقد فور البلاط فى هذا المكان .

مكان الرعاة

مكان الرعاة :

أوت مريم الى مكان الرعاة الذين كانوا غائبين بماشيتهم فى الرعى ، وولدت فيه .

مذود الماشية :

ثم وضعت وليدها فى مذود الماشية عقب ولادته ، لأنه لم يكن لها بيت فى بيت لحم .

الخلاء :

وقد آثرت هذا الموضع ، لتكون فى الخلاء ، بعيدة عن الرقباء .

سبب وجود مريم ببيت لحم

الاحصاء :
« مريم »و«يوسف» النجار :
كان الوضع هناك :

أمر حاكم ذلك الزمان بعد الناس واحصائهم ، واثباتهم فى الدفاتر ، فجاءت مريم وخطيبها يوسف النجار من أبناء عمومتها الى بيت لحم ليثبتا نفسيهما فى التعداد ، فكان الوضع هناك .

السرى

الجدول من الماء

ليس للسرى وجود فى هذا المكان :
عين فاضت ثم غاضت :

أما السرى الذى ذكر فى القرآن الكريم : « قد جعل ربك تحتك سريا » ، فليس له وجود فى هذا المكان ، ولعله كان عينا فاضت ، ثم غاضت .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » :

آدم :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » ٥٩ .

وفى سورة « مريم » :

انتبذت به مكانا قصيا :
قد جعل ربك تحتك سريا :

« فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها (٢) المخاض(٣) الى جذع النخلة ، قالت : يا ليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها : أن لا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا (٤) ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط(٥) عليك رطبا جنيا(٦) ، فكلى ،

---

(١) المذود : معتلف الماشية ، ومعلقها ، أى موضع علفها .
(٢) فأجاءها ، فألجأها .
(٣) المخاض : وجع الولادة .
(٤) سريا : جدولا من الماء أو سيد شريفا .
(٥) تساقط : تسقط .
(٦) رطبا جنيا : بلحا آن أوان قطعه .

قرى عينا : لن أكلم اليوم انسيا :

واشربى ، وقرى عينا(١) ، فاما ترين(٢) من البشر أحدا فقولى : انى نذرت للرحمن صوما(٣) فلن أكلم اليوم انسيا » ٢٦ .

وفى سورة « الأنبياء » :

احصنت فرجها :

« والتي أحصنت(٤) فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » ١٩١ .

وفى سورة « التحريم » :

نفخنا فيه من روحنا

« ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها ، وكتبه ، وكانت من القانتين » (٥) آية ١٢ .

وفى سورة « مريم » :

لقد جئت شيئا فريا : أشارت اليه : وأوصانى بالصلاة والزكاةمادمت حيا:

« فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريا(٦) ، يا أخت(٧) هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت امك بغيا ، فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا٢٩ ؟ قال : انى عبدالله آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا٣٠،وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ٣١ ، وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ٣٢ ، والسلام علىيوم ولدت ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا » ٣٣ .

ذهاب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر

« هيرودوس » : بيت لحم : مصر: هلك «هيرودوس» :

انفرد بالكلام عن هذه المسألة : متى وبرنابا ، فذكرا أن هيرودوس أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم ، فأمر يوسف فى منامه أن يذهب هو ومريم بالمسيح الى مصر ، فقام من فوره ، وأخذ مريم وابنها الى مصر ، وأقاموا بها حتى هلك هيرودوس ، فأمر يوسف فى منامه أيضا أن يأخذ المسيح وأمه الى بلادهما ، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا ، فرجع .

بعض المفسرين :

ويذكر بعض المفسرين : أن مصر هى المعنية فى القرآن الكريم

(١) قرى عينا : طيبى نفسا .
(٢) فاما ترين : فان ترى
(٣) صوما : صمتا ، وقيل : صياما ، وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم .
(٤) أحصنت فرجها ، جعلته حصينا .
(٥) القانتين : المواظبين على الطاعة .
(٦) فريا : منكرا .
(٧) هرون : كان رجلا صالحا فى زمانهم ، فشبهوها به ، استهزاء وسخرية ، وقيل : كان رجلا فاسد الأخلاق فشبهوها به للسب .

بقوله تعالى فى عيسى وأمه : « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ، ومعين » .

المسيحيون فى مصر :
شجرة العذراء :

والمسيحيون فى مصر يزعمون أنهما أقاما ببلدة عين شمس ، وأنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى أصلها محتفظا به الى أمد غير بعيد منا ، وكانوا يسمونها شجرة العذراء . يزورها الناس بضاحية المطرية وكان عيسى عليه السلام يشتغل بالنجارة قبل الرسالة .

مظاهر نبوته منذ نشأته

« عيسى » مع أترابه :
دلائل النبوة :
يعد نفسه الكبيرة :
بيت المقدس :
ناهز « الثانية عشرة » من عمره :

نشأ عيسى مع أترابه يلهو ، ويلعب كما يلهو الأطفال ، ويلعبون ، وبدت عليه مخايل(١) الفطانة ، ودلائل(٢) النبوة ، فقد نهج منهج أولى العزم ، وسلك مسلك الكبراء ، يستمع فى يقظة ، ويصغى فى اهتمام ، سباق ، فواز ، يعد نفسه الكبيرة لحياته الكبيرة ، ويهيئها لما ينتظره : ينبىء من يلقاه بما يأكل ، وما يدخر فى بيته . ثم رحل مع أمه الى بيت المقدس وقد ناهز الثانية عشرة من عمره ، فلم تؤثر فى سلوكه زخارف المدينة ، وجمال مشاهدها .

عاش فى بيئة معنية بالدين :
يبدى ما يرى :
أعيا أمه البحث عنه :
عاد الى « الناصرة » :

وعاش فى بيئة معنية بالدين ، حريصة على تفهم أسراره ، وأحب مجالس العلماء ، ومناقشتهم ، يكشف عن الحقائق العلمية . ويبدى ما يرى فى ثبات ، ويقين ، فضاقت به صدورهم ، ونقموا منه مسلكه ، وهو جاد فى طريقه لا يلوى(٣) على شىء ، قد أنساه ذلك كل شىء ، حتى أمه التى أعياها البحث عنه وأخناها ، ثم عادت الى بيت المقدس مرة أخرى ، لتضاعف البحث ، وبعد لأى رأته بين العلماء يحاور ، ويجادل ، فأدهشها ذلك ، ثم حدثته بما كان ، فأبدى معذرته ، ثم عاد الى الناصرة .

بنوة المسيح عيسى ابن مريم

صعد فى جبل الزيتون مع أمه :
النور يحيط به والملائكةمن حوله :
علمأنه نبى مرسل :
يؤدى رسالته :

لما بلغ عيسى عليه السلام الثلاثين من عمره صعد فى جبل الزيتون مع أمه ، وبينما هو يصلى فى الظهيرة اذا بالنور يحيط به ، والملائكة من حوله ، فقدم اليه جبريل الأمين عليه السلام كتابا كريما ، هو نور الهى ، بعث به الله اليه ، فعلم أنه نبى مرسل ، وأنبأ أمه بذلك ، واعتذر عن عدم اقامتها معه ليخدمها ، وانصرف عنها ، ليؤدى رسالته .

---

(١) مخايل : مظان .
(٢) دلائل النبوة : ما يدل عليها .
(٣) لا يلوى على شىء : لا يقف ، ولا ينتظر .

بدء الرسالة : بدأت بذلك رسالته ، وبدت نبوته ، وكان بنو اسرائيل قد حرفوا الشريعة ، وانغمسوا فى الرذيلة ، وأشربوا فى قلوبهم المال

حرفوا الشريعة : يجمعونه من كل رجا(١) .

جاوزوا الحد فى اخراج « التوراة» عن روحها : وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وجاوزوا الحد فى اخراج التوراة عن روحها ، فحرموا على أنفسهم عمل الخير يوم السبت، لأنه يوم عطلة لا ينبغى أن يكون فيه عمل .

وبتلك الحجة الباطلة بعدوا عن كثير من الطاعات التى تقربهم الى الله زلفى . وكان بينهم :

فريق الصدوقيين : ١ — فريق الصدوقيين وهم الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ، ويزعمون أن الثواب والعقاب فى الدنيا .

فريق الفريسيين : ٢ — وفريق الفريسيين ، أى : مستقيمى الرأى ، وهم الذين

فى عهد «المسيح»: ظهروا فى عهد المسيح بمظهر الزاهدين ، المتجـردين لطاعة الله ، المقبلين على الآخرة ، يراءون الناس ، ليبزوا أموالهم .

قبل « المسيح » : وكانوا قبل المسيح منحرفين عن طريق الطاعة ، مقبلين على زخرف الدنيا ، وزينتها وعلى المـادة اقبال النهم ، الحـريص ، وقد سلك مسلك هؤلاء :

فريق « الكتبة » : ٣ — فريق الكتبة يعظون الناس ، ويكتبون لهم من الشريعة ما يطلبون .

فريق « الكهنة » : ٤ — وفريق الكهنة ، وسدنة البيت المقدس يحرفون التوراة مستبقين الى متاع الدنيا .

كان هؤلاء جميعا فى حاجة ماسة الى من يقوم عوجهم ، ويقيم انحرافهم ، ويطهر نفوسهم .

« عيسى » عليه السلام : فأرسل الله عيسى عليه السلام ، ليبصرهم بالشريعة السمحة ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، فلم يدع سبيلا لتبصيرهم ، ولا نهجا لتقويمهم ، ولا أسلوبا لهدايتهم الا سلكه ، ونادى به ،

السد المنيع : فأقام رجال الدين فى طريقه سدا منيعا ، وحجابا حاجزا ، ليصدوه عن رأيه ، ويعدلوا به عن فكرته ، ويفتكوا بدينه فى مهده ، فلم

لم يحفل بجمعهم : يحفل بجمعهم ، ولم يبال سدهم ، ولم يثنه حجابهم عن الدعوة الى الحق ، والى الطريق المستقيم ، بل ثبت لها ، وأخذ يبين لهم

ضلال آرائهم : ضلال آرائهم ، وباطل أقوالهم ، وشناعة مخازيهم أينما كانوا .

---

(١) الرجا : الناحية ، والجمع : أرجاء .

معجزات عيسى عليه السلام

معجزات « عيسى » عليه السلام :

طالبوه بما يؤيد دعوته ، ويثبت رسالته ، فأظهر الله معجزاته على يده ، لتبطل كلامهم ، وتخرس ألسنتهم بينة ، باهرة .

يخلق من الطين كهيئة الطير :

يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله

يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى باذن الله :

ويبرىء الأكمه(١) ، والأبرص(٢) ، ويحيى الموتى باذن الله .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » :

الكتاب ، والحكمة والتوراة والانجيل:

أبرىء الاكمه :

ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم :

ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ٤٨ ، ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم : أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه ، والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين٤٩ ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون ٥٠ ، ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ٥١ » .

وفى سورة « آل عمران » أيضا :

وأنزل « التوراة » والانجيل :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان » (٣) .

وفيها أيضا :

أفلا تعقلون ؟

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ٦٥ » .

وفى سورة المائدة :

وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم : وهدى وموعظة للمتقين :

« وقفينا(٤) على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ، ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى ، وموعظة للمتقين٤٦ . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ٤٧ » .

---

(١) الأكمة : الذى ولد أعمى .
(٢) الأبرص : من به برص ، وهو مرض يحدث فى الجسم كله قشر أبيض ، ويسبب للمريض حكا مؤلما .
(٣) الفرقان : القرآن : لأنه يفرق بين الحق والباطل .
(٤) وقفينا على آثارهم : أتبعناهم على آثارهم بعيسى .

وفيها أيضا :

أقاموا التوراة والانجيل :

« ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة(٢)، وكثير منهم ساء ما يعملون » .

وفيها أيضا :

علمتك الكتاب :

« واذ علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل.١١٠».

وفى سورة الأعراف :

الذين يتبعون الرسول النبى الأمى :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ١٥٧ » .

وفى سورة التوبة :

لهم الجنة :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ، ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ١١١ » .

وفى سورة الفتح :

زرع أخرج شطأه:

ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه(٣)فآزره(٤) ، فاستغلظ فاستوى(٥) على سوقه » .

وفى سورة الحديد :

وقفينا بعيسى ابن مريم :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه الانجيل ٢٧ » .

وفى سورة الزخرف :

قد جئتكم بالحكمة :

هذاصراط مستقيم:

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون٦٣ ، ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ٦٤ » .

وفى سورة المائدة :

---

(١) ولو أنهم أقاموا « التوراة » و « الانجيل » : عملوا بهما فى شئونهم .
(٢) مقتصدة : عادلة ، غير متغالية .
(٣) أخرج شطأه : أخرج فراخه ، يقال : أشطأ الزرع : اذا فرخ .
(٤) فآزره : فقواه .
(٥) فاستوى على سوقه : فاستقام .

اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك :

« اذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، اذكر نعمتى عليك ، وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس(١) ، تكلم الناس فى المهد ، وكهلا ، واذ علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فتنفخ فيها ، فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه ، والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت(٢) بنى اسرائيل ، عنك ، اذ جئتهم بالبينات(٣)، فقال الذين كفروا منهم ان هذا سحر مبين(٤) » .

تبرىء الأكمه والأبرص ..

ان هذا الا سحر مبين :

تمادوا فى غيهم :

بيد أنهم على قيام هذه المعجزات الباهرة تمادوا فى غيهم ، واستمروا فى طغيانهم ، وعدوه ساحرا ، وما فعله سحرا مبينا .

بينهم من استمع لكلمة :

وجد آذانا صاغية:

على أن بينهم من استمع لكلمته ، واستجاب لدعوته ، ثم رأى بعد أن يعرضها على الوافدين الى بيت المقدس من مختلف المدن ، والقرى فى يوم عيدهم ، فوجد آذانا صاغية ، وصدورا شرحها الله لدينه ، وفتحها لرسالته ، فذاعت ، وانتشر المؤمنون بها .

رجال الدين

رجال الدين والكهنة :

ومكروا ومكر الله:

انبرى رجال الدين المغيظون ، والكهنة الحانقون يفكرون فى الخلاص منه ، والقضاء عليه ، ولكن عين الله ترعاه ، وعنايته تلحظه ، « ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين » .

البشارة باقتراب رسالة النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم

من خير ما جاء به المسيح عيسى ابن مريم ، لاذاعته : البشارة باقتراب الشريعة الالهية التى يرسل بها النبى الأمى .

اقتراب الشريعة الالهية :

القرآن الكريم :

وقد أنبأ القرآن الكريم بذلك فى سورة الصف :

عيسى بن مريم :

التوراة :

اسمه « أحمد » :

« واذ قال عيسى ابن مريم ، يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

معنى كلمة الانجيل

البشارة :

« المسيح » و « الانجيل » :

التوحيد والأحداث المستقبلة

معنى الانجيل : البشارة ، والأدلة قائمة على أن الله تعالى أعطى المسيح الانجيل . وقد جاء بالتوحيد ، وبأحداث مستقبلة ،

(١) روح القدس : جبريل عليه السلام .
(٢) كففت : منعت .
(٣) البينات : الآيات الواضحات .
(٤) ان هذا الا سحر مبين : ما هذا الا سحر واضح .

« محمد » صلى الله عليه وسلم :

وبشر باقتراب زمن النبى الأمى : محمد صلى الله عليه وسلم الذى يبعث بشريعة جديدة ، وصفه ، ووصف من تبعه .

الأناجيل الموجودة الآن

يطلق عليها اسم « انجيل » عرفا :

ان تلك القصص التى وجدت بعد زمان المسيح يطلق عليها اسم انجيل عرفا . وهى تحكى أحواله ، وأعماله ، وأقواله التى وعظ بها ، ومعجزاته التى أجراها الله على يده .

اعتراف الكنيسة بأربعة منها :

والكنيسة تعترف بأربعة منها :

١ — انجيل « متى » .

٢ — انجيل « مرقس »

٣ — انجيل « لوقا » .

٤ — انجيل « يوحنا » .

ماذا كتب فى هذه الأناجيل ؟

ما كتب فيها :

اشتملت هذه الأناجيل على ما نطق به المسيح : من العظات والحكم التى تتضمن حث الناس على التوحيد ، والاخلاص فى الطاعة ، وحسن المعاملة ، والبذل فى سبيل الخير ، والقناعة ، والتوكل على الله ، وغيرها من الصفات الفاضلة .

قلة الأحكام :

والأحكام فيها قليلة ، ولم يكتب شىء من هذه الأناجيل الا بعد انتهاء أمر المسيح بالخاتمة التى انتهى بها .

الحواريون(١)

بادروا الى الايمان بالمسيح« عيسى »:

هم الذين بادروا الى الايمان بالمسيح عيسى عليه السلام ، وتتلمذوا له .

وهم خلصاؤه ، وخاصته ، وسنده ، وناصروه :

قاسموه آلامه ، واحتملوا معه عبء الرسالة ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، وهم الى جانب المسيح عليه السلام بمنزلة الأنصار الى جانب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المفرد « حوارى » ، والواحدة « حوارية » ، وكان « الزبير بن العوام » حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والأناجيل تطلق على الحواريين لفظ التلاميذ .

من انصارى الى الله ؟

ولما خرج عيسى عليه السلام الى القرى اليهودية يدعو الى دين الله ، ويقوض صروح الشرك ، ويقضي على الآثام ، والموبقات خرج الحواريون متفرقين ، وجاهدوا فى الله حق جهاده .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » :

ربنا آمنا بما انزلت :

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : « من انصارى الى الله ؟ » قال الحواريون : « نحن أنصار الله . آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون ٥٢ ، ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ٥٣ » .

وفى سورة « المائدة » :

أوحيت الى « الحواريين » :

« واذ أوحيت الى الحواريين : ان آمنوا بى ، وبرسولى « قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون » ١١١ .

وفى سورة « الصف » :

كونوا أنصار الله: آمنت طائفة وكفرت طائفة :

« يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال « عيسى بن مريم للحواريين : من أنصارى الى الله » ؟ قال الحواريون : « نحن أنصار الله » ، فآمنت طائفة من بنى اسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين(١) » ١٤

المائدة

مفازة مقفرة : يتضورون جوعا :

لما انتهى بهم المطاف الى مفازة مقفرة ، ومكان جديب كانوا يتضورون جوعا ، ويتلوون ضعفا ، ويصيحون اعياء ، وفتورا ، وفيهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يشد من أزرهم ، ويقوى من عزائمهم .

المسيح يقوى من عزائمهم :

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء :

وبعد عناء طال أمده قالوا لعيسى — وهم المؤمنون برسالته ، الشاهدون بنبوته : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ » ، قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » .

ابراهيم الخليل :

كان مثلهم فى ذلك مثل ابراهيم الخليل الذى قال : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : « بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » .

---

(١) ظاهرين : غالبين .

دهش « عيسى » :

فدهش عيسى عليه السلام ، وقال : « أولم تطمئن قلوبكم بعد ما لمستم ما أجرى الله على يدى من المعجزات » ؟ ، فقالوا :

لكنا فى سغب :

« بلى ، ولكنا فى سغب(١) منذ حللنا بهذه المغازة ، وقد احتملنا ألمه، ونخشى أن يفتك بنا ، ونريد أن نأكل من هذه المائدة ، ونحظى

نريد أن نأكل من هذه المائدة :

بفضلها ، ونكون عليها من الشاهدين .

أحس « عيسى » صدق قولهم :

فلما أحس عيسى صدق قولهم ، وبان له بعدهم عن العناد والعنت طلب من ربه أن ينزل المائدة ، فاستجاب له متوعدا من

العذاب الأليم :

كفر بعد نزولها بالعذاب الأليم .

القرآن الكريم :

وقد حكى القرآن الكريم قصتها فى سورة « المائدة » :

اتقوا الله أن كنتم مؤمنين :

نكون عليها من الشاهدين :

أنت خير الرازقين:

لا أعذبه أحدا من العالمين :

اذ قال الحواريون : « يا عيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟ قال : اتقوا الله أن كنتم مؤمنين » ١١٢ قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين » ١١٣ ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا ، وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وأنت خير الرازقين ١١٤ ، قال الله : « انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ١١٥ » .

هل نزلت « المائدة » ؟

الخير السابغ :

ويرى بعض المفسرين أنها نزلت بالخير السابغ ، والرزق الموفور، لأن فى تنزيلها انجازا لوعد الله ، واستجابة لدعوة رسوله عيسى عليه السلام ، وتأييدا له .

يهديهم بها سواء السبيل :

وقد سأل عيسى ربه أن يرحمهم بها ، ويهديهم سواء السبيل ، فاطمأنت نفوسهم ، وقوى ايمانهم ، وسعدت حياتهم .

الذين كفروا :

وأما الذين كفروا فقد مسخوا خنازير بعد أن طعموا منها ، تحقيقا لقوله تعالى : « فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

ماذا كان طعام « المائدة » ؟

طعام المائدة :

قيل : أن طعام المائدة ، كان سمكة وخمسة أرغفة ، وجميع البقول الا الكرات .

ابن عباس :

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبنى اسرائيل : « هل لكم أن تصوموا ثلاثين

---

(١) السغب : الجوع .

ان أجرا العامل على من عمل له :

يوما ، ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم ، فان أجر العامل على من عمل له » ، ففعلوا ، ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : « ان أجر العامل على من عمل له ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ، ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطعمنا ، فهل يستطيع

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟

ربك أن ينزل علينا « مائدة » من السماء ... الى قوله تعالى : « أحدا من العالمين » .

« سبعة » أحوات « وسبعة »أرغفة :

فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ، عليها سبعة أحوات، وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم .

المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا : الايعاد : والاستعفاء :

وجاء عنه أن المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا ، على أن بعضهم قد ذهب الى أنهم لما أوعدوا هذا الايعاد استعفوا عيسى عليه السلام ، وقالوا : لا نريدها ، فلم ننزل .

نهاية أمر المسيح

الكهنةوالفريسيون: المسيح جاد فى دعوته : يخشون على سلطانهم أن يزول : أولو الأمر :

جعل الكهنة والفريسيون يكيدون للمسيح ، ويمكرون به ، وهو جاد فى دعوته ، يعيب عليهم بعدهم عن معالم دينهم وعدم استجابتهم لطريقه القويم ، يخشون على سلطانهم أن يزول ، وعلى دولتهم أن تدق ، وعلى عرشهم أن يدك ، فضاقوا به ذرعا ، واستعانوا عليه بأولى الأمر ، وذوى الجاه : يوغرون صدورهم ، ويثيرون أحلامهم ، ويستفزون حنقهم(١) .

لا يحفل بتدبيرهم :

وهو لا يحفل بتدبير هؤلاء ، ولا بحنق أولئك ، فعجزوا عن مقاومته ، وانصرف الناس عنهم ، وانفضوا من حولهم .

التدبير لاغتياله : البحث عنه :

ولما أعياهم أمره لم يجدوا غير التدبير لاغتياله — وقد أعماهم الجهل بالدين — فاجتمعوا فى بيت المقدس ينثرون آراءهم ، ليتخلصوا منه ، ورجال السلطان باذلو جهدهم فى البحث عنه ، وهو باذل جهده فى بث دعوته — وقد أحاط بماديهم خبرا .

لما جن الليل انقض الباحثون عليهم : قبضوا على يهوذا: الناس بين فرح ، وصاخب :

ولما جن الليل عيسى وتلاميذه ، ولفهم بظلامه انقض الباحثون عليهم ، فأنقذه الله من أيديهم ، ونجاه ، وفتح عيونهم على رجل شديد الشبه به ، ذلكم هو يهوذا الذىدلهم عليه ، فلم يشكوا فى الأمر ، فقبضوا عليه ، وعقد الله لسانه ، واستسلم ، فأخذ ، وصلب ، وقتل ، والناس بين فرح ، وصاخب ، زاعمين أنهم انما صلبوا ، وقتلوا عيسى عليه السلام ، وما علموا أن الله قد رد كيد الخائن فى نحره ، وجازاه على خيانته ، ومكره جزاء وفاقا .

---

(١) حنقهم : غيظهم .

قال تعالى فى سورة « آل عمران » :

انى متوفيك ورافعك الى :
أحكم بينكم :

« اذ قال الله يا عيسى ، انى متوفيك ، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون؟ » .

وفى سورة « النساء » :

وما قتلوه وما صلبوه :
بل رفعه الله اليه :

وقولهم : « انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وأن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وماقتلوه يقينا ١٥٧ ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما ١٥٨ » .

يا عيسى انى متوفيك ، ورافعك الى .

اختلاف المفسرين :

انى متوفيك ورافعك الى :

اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى : « يا عيسى انى متوفيك، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا » ، على أوجه منها :

خير الأوجه :

انى مستوف أجلك ، ومميتك حتف أنفك ، لا أسلط عليك من يقتلك « كناية عن عصمته من الأعداء » .

تقديم وتأخير :
الوفاة : النوم :

وهذا الوجه محقق احباط الله لتدبير أعدائه ، فقد أنجاه الله من اليهود ، فلم يقبضوا عليه ، ولم يصلب ، ولم يقتل ، فى الكلام تقديم وتأخير ،والمعنى : « رافعك الى ومتوفيك » الوفاة هنا النوم ، لأن النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر .

وقد ورد عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام الى السماء وهو نائم ، رفقا به .

أين ذهب المسيح ؟

جمهور المسلمين :

ان جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه ، وجسده حيا الى السماء ، لأن الله تعالى يقول : « ورافعك الى » .

نزول المسيح عيسى ابن مريم فى آخر الزمان وقتله المسيخ الدجال

مرفوع الى رسول الله :

بعض هذه الأخبار مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضها آراء للمفسرين .

آراء للمفسرين : عن مسلمة اليهود:

وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ، ووهب .

أحاديث وآراء « آحاد »

وهى أحاديث ، أو آراء آحاد لا تصل الى قوة — صريح القرآن — الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

ايجاد عقيدة :

فلا يمكن أن تنهض هذه الأخبار بايجاد عقيدة اذا حاد انسان عنها برىء من الاسلام ، وبرىء الاسلام منه .

تفسير المنار

الآيةعلى ظاهرها :

جاء فى تفسير المنار عن الأستاذ الامام أنه قد قرر الآية على ظاهرها ، فالتوفى : هو الاماتة العادية ، والرفع بعده ، وهو رفع الروح ، ولصاحب هذه الطريقة فى حديث الرفع ، والنزول فى آخر الزمان تخريجان :

صاحب هذه الطريقة :

حديث آحاد :

أحدهما : أنه حديث آحاد ، متعلق بأمر اعتقادى ، لأنه من أمور الغيب التى لا يؤخذ فيها الا بالقطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين — وليس فى الباب حديث متواتر .

غلبة روحه وسر رسالته على الناس :

وثانيهما : تأويل نزوله ، وحكمه فى الأرض بغلبة روحه ، وسر رسالته على الناس ، وما غلب فى تعليمه : من الأمر بالرحمة ، والمحبة ، والسلام ، والأخذ بمقاصد الشريعة — دون الوقوف عند ظواهرها — فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ، ولكنه جاءهم بما يبعدهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ، وبما يوقفهم على المراد منها ، ويأمرهم بتحرى كمال الآداب التى تجذبهم الى عالم الأرواح .

الجمود :

الأستاذ الأمام :

ونقل فى تفسير المنار أيضا ، أن الأستاذ الامام سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له ، فقال :

الدجال :

ان الدجال رمز للخرافات ، والدجل ، والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها ، والأخذ بأسرارها ، وحكمها ، وان القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم ، والأسرار .

القرآن :

سنة الرسول :

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك .

اليهود ينتظرون مسيحا آخر

ينتظر « اليهود » مسيحا :

ينتظر اليهود — مسيحا — يعيد اليهم الملك ، والسلطان فى

الأرض ، ولم يكن المسيح عيسى بن مريم هو المسيح ، الذى صوروه لأنفسهم ، فمكروا به ، وأرادوا قتله .

المسيح الدجال :

فالمسيح الدجال : رجل من اليهود يدعى أنه المسيح أى الملك الذى ينتظرونه حتى الآن — وقد وعدوا به — وفرحوا ، لأنه مسيح مالى .

مسيح « مالى » :

الثروة والمال :
صمويل وطالوت :

فهم يعبدون الثروة والمال ، فقد أجابوا صمويل — اذ قال لهم : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا — بقولهم : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

فلسطين :
الحكومة الانجليزية :
أمريكا .

أليسوا هم باذلي الأنفس ، والأموال فى سبيل فلسطين ، يتخذونها وطنا لهم ؟ وقد وقفت الى جانبهم ، الحكومة الانجليزية ، لأنهم جاملوها بالأموال فى الحرب العظمى ، والآن تقف فى صفهم أمريكا .

ومن اليسير أن يقيموا عليهم فى فلسطين مسيحا .

اليهود وصلب المسيح

تاريخ اليهود الدينى :
يسمعون :

ليس فى تاريخ اليهود الدينى ما يدل على اسم المسيح ، أو زمنه ، أو صلبه ، أو قتله ، فاذا أبدى اليهود رأيا عن المسيح ، وقتله ، فذلك لأنهم يسمعون ان المسيح قد جاء ، وقتله اليهود .

التلمود :

ويقول الدكتور اسرائيل ولفنسون : ان اليهود قد أخرجوا موضوع قتل المسيح من التلمود[1] ، حتى لا يجده أحد من الأمم التى يقيم بينها اليهود .

النصارى ونهاية المسيح

النصارى وصلب المسيح :

أما النصارى فان صلب المسيح عندهم عقيدة دينية ، ودعامة من دعائمها ، فلا يقبل ايمان أحدهم الا بها ، ولا يفيده عمل صالح يقوم به دونها ، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » فى سورة النساء من الآية ١٥٧ وقد صوروا نهاية المسيح مأساة شنيعة ، مروعة .

---

(١) التلمود : كتاب لليهود يتسم بطابع دينى اجتماعى ، يتغير بالزيادة ، والحذف والتجديد باتفاق رجال الدين ، وهو فى المكان الثانى من التقديس ، أى : انه بعد « التوراة » منزلة .

هل أجمع المسيحيون على صلب المسيح وقتله ؟

من المسيحيين من ينكر الصلب والقتل : من طوائف المسيحيين من ينكر الصلب والقتل وينفيهما .

فمن هؤلاء الساطرينوسيون والكاربوكرانيون والمركيونيون والبارديسيانيون والتاتيانيسون والبارسكاليونيون والبوليسيون .

المصلوب غير عيسى : من القائلين بأن المصلوب غير عيسى قطعا ، وأنه لم تسلط عليه أيدى أعدائه ، بل رفع الى السماء :

طوائف : طوائف الدوسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية .

الأناجيل وصلب المسيح

اختلاف الأناجيل : اختلفت الأناجيل الأربعة فى تفصيل موضوع صلب المسيح وقتله اختلافا كبيرا ، وكان ينبغى أن يكون رأيهم فيه متفقا ، لأنه لديهم أساس الايمان ، ودعامة النجاة التى لذويها الالهام ، والبعد عن الزلل .

القلق والاضطراب الدينى : وقد كان هذا الاختلاف مبعث القلق والاضطراب الدينى ، وضعف الثقة بما جاء بها .

النصارى والعقيدة

ثلاثة أقانيم : خلق النصارى لهم عقيدة ، هى أن الله مركب من ثلاثة أقانيم : الأب ، والأبن ، والروح القدس ، وهذه كلها واحد ، فحل الله الذى هو الأب والأبن فى مريم ، وتجسد انسانا ، وولد منها وهو يسوع ... الخ .

مريم — يسوع :

العقيدة : وهذه العقيدة لم يعلم بها المسيح ، ولم يقلها غيرهم .

وقد أدى ذلك الى عبادة المسيح على الرغم منه .

رد عليهم القرآن : ورد عليهم القرآن فى مواضع كثيرة :

قال تعالى فى سورة « النساء » :

« المسيح » عبد الله : لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ١٧٢»

وفى سورة « المائدة » :

كفر الذين قالوا : ان الله هو «المسيح بن مريم»: لله ملك السموات والأرضوما بينهما:

« لقد كفر الذين قالوا : « ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ، وامه ، ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير » ١٧

وفيها أيضا :

انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة .

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى ، وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ٧٢ »

وفيها أيضا :

امة صديقة : انى يؤفكون ؟

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون(١) » ٧٥

وفى سورة « التوبة » :

عزير — المسيح :

« وقالت اليهود عزير(٢) ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله » .

وفيها أيضا :

وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا :

« اتخذوا أحبارهم(٣) ، ورهبانهم(٤) أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحد ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » ٣١

وفيها أيضا :

ويأبى الله الا ان يتم نوره :

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٣٢ » .

---

(١) أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن الآيات .

(٢) « عزير » : نبى من أنبياء « بنى اسرائيل ، كان يحفظ « التوراة » ، قيل : أماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، فقال بعض « اليهود » : ما وصل الى هذا الا لأنه ابن الله .

(٣) أحبارهم : علماء دينهم .

(٤) رهبانهم : جمع راهب ، وهو من اعتزل عن الناس الى « دير » طلبا للعبادة .

وفى سورة « مريم » :

عيسى بن مريم كن فيكون :

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ٣٤ ، ماكان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ، اذا قضى أمرا فانما يقول له : كن ، فيكون ٣٥ ، وان الله ربى وربكم ، فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » ٣٦

وفى سورة « الزخرف » :

ابن مريم :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون(١) ٥٧ » .

يصدون :

وفى سورة « الصف » :

التوراة :

اسمه « احمد » :

واذ قال عيسى ابن مريم : يا بنى اسرائيل ، انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » ٦

المسيح بن مريم عبد الله ورسوله

« عيسى » عبد الله ورسوله :

جاء فى القرآن الكريم « أن عيسى عبدا لله ، ورسوله ، وليس هو الله ، ولا ابنا لله .

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

وقالوا : « اتخذ الله ولدا » :

وقالوا « اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كل له قانتون ١١٦ » .

وفى سورة « آل عمران » :

«عيسى» و «آدم» :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » ٥٩

وفى سورة « النساء » :

قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله :

« وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ١٥٧ » .

وفيها أيضا :

---

(١) يصدون : يضجون فرحا .

لا تغلوا فى دينكم : وكلمته : لا تقولوا « ثلاثة »:

« يا أهل الكتاب لا تغلوا(١) فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولاتقولوا : ثلاثة ، انتهوا(٢) خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات ، وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا ١٧١

وفى سورة « الأنعام » :

بديع السموات والأرض :

« بديع السموات والأرض ، انى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ؟ ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم ١٠١ » .

وفى سورة « الفرقان » :

« الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره(٣) تقديرا » .

وفى سورة « الزخرف » :

« ان هو الا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا(٤) لبنى اسرائيل ٥٩ ، ولو نشاء لجعلنا منكم(٥) ملائكة فى الأرض يخلفون(٦) ٦٠ ، وانه لعلم للساعة ، فلا تمترن بها ، واتبعون ، هذا صراط مستقيم ٦١ » .

وفى سورة « الأخلاص » :

« قل هو الله أحد الله الصمد(٧) ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا (٨) أحد .

أأنت قلت للناس « اتخذونى وأمى الهين من دون الله » ؟

موقف « المسيح »: الله العليم :

للمسيح عليه السلام موقف فى اليوم الآخر يوم القيامة ، ذكره القرآن الكريم ، وعبر عنه بلفظ الماضى : لأنه محقق الوقوع:

---

(١) لا تغلوا : لا تتجاوزوا الحد .
(٢) انتهوا : أقلعوا .
(٣) قدره تقديرا : أعطاه القدر الذى يناسبه ، ليتلاءم مع جميع أجزاء الوجود المحيط به .
(٤) وجعلناه مثلا : أمرا عجيبا كالمثل السائر .
(٥) منكم : بدلكم .
(٦) يخلفون : يخلفونكم فى الأرض .
(٧) الصمد : الصمود ، المقصود اليه .
(٨) ولم يكن له كفوا أحد : لم يكن له أحد يكافئه ، ويماثله .

يسأله المولى — وهو أعلم بما كان — عن عبادة أمته له ، أو لأمه ، أو لهما معا ، واتخاذهما الهين من دون الله ، ليقيم الحجة على ضلال من ضل من اتباعه بعده ، فيجيبه عيسى عليه السلام منكرا ذلك ، مقررا أنه في حياته انما دعاهم الى الله وحده ، دون سواه ، وأنه كان مثابرا على النصح لهم حتى وفاته .

« عيسى » ينكر ذلك :

وكان الله الرقيب عليهم بعد ، وهو على كل شيء شهيد ، وان أمر عباده اليه ، ان شاء عذبهم ، وان شاء رحمهم :

كان الله الرقيب عليهم :

قال تعالى في سورة « المائدة » :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، انك أنت علام الغيوب » ١١٦

اتخذوني وأمي الهين من دون الله :

انك أنت علام الغيوب :

« ما قلت لهم الا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي ، وربكم ، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلماتوفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ١١٧ ، ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ١١٨ » .

قال الله : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ١١٩ » .

المحبة والسلام

١ — كلام الطفل في مهده حادث معجز ممن اصطفاه الله وطهره ، واخلصه له :

وعيسى عليه السلام قد أجاب وهو في مهده : « اني عبد الله آتاني الكتاب ، وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

٢ — من أحبه من خلقه رعاه بعينه التي لا تغفل ، فقد أمر الملك بقتل كل طفل ولد في بيت لحم ، فنجى الله عيسى عليه السلام من القتل ، اذ ذهب به وبأمه الى مصر — يوسف النجار — ، لأنه أمر في منامه بذلك ، ثم عاد بهما بعد أن مات الملك .

٣ — نشأ عيسى بين العلماء يحاجهم ، وقد أعجب بأسئلته وأجوبته من سمعه قائلا : « كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ، ولم يتعلم القراءة » ؟

٤ — الصبر على الشدائد فى سبيل الايمـــان جميل يبعث فى النفس حب الجهاد ، والرغبة فى تحقيق ما يرجو :

جاء المسيح وبنو اسرائيل قد حرفوا شريعة الله ، وانحرفوا عن الطريق السوى ، وتسابقوا الى المادة ، وكانوا شيعا » .

فما يهم المسيح غير تخليصهم مما ارتطموا فيه ، وقد لقى من الخصم اللد ، والعدو الأزرق ما ليس وراءه زيادة ، فصبر صبرا جميلا .

٥ — اذاعة المحبة والسلام بين الناس منهج سمح :

يقول يسوع : « الحق اقول لكم : لا تقول الشريعة : أعبد ، بل تقول : أحب الرب الهك بكل نفسك ، وبكل قلبك ، وبكل عقلك ».

« ٥ »

مُحَمَّد

صلى الله عليه وسلم

خيرة الله من خلقه



مولد محمد رسول الله

متى ولد ؟ :
« أم أيمن » :

فى فجر يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول صــاحت أم أين : « أبشر يا عبد المطلب ، أبشر ، فقد جاءت آمنة بولدلاكفو الأولاد » .

لقد نظرت اليه وهو يخرج منها أن قد خرج منها نور رأيت به قصور بصرى من أرض الشام .

عبد المطلب :

فأجاب عبد المطلب ــ وقد غمره الفرح ، وأخذ منه كل مأخذ : « انها والله للرؤيا التى رأيت ، ألم أر فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ، لها طرف فى السماء ، وطرف فى الأرض، وطرف فى المشرق ، وطرف فى المغرب ، ثم كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، واذا أهــل المشرق والمغــرب يتعلقون بها ، ويحمدونها » .

ابن عباس :

عن ابن عبــاس قال : ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يو مالاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

حليمة وعراف هذيل

عراف « هذيل » :

عرضته حليمة مرضعته على عراف هذيل فى سوق عكاظ ، فرأى فيه النبى المنتظر ، فصــاح : يا معشر هذيل ، يا معشر العرب ، اقتلوا هذا الصبى ، فانسلت به حليمة من بينهم ، ولم يره أحد .

وقد رأت منه ماشرح صدرها ، وأسعد حالها : من البركة ، والخير الكثير .

بحيرا الراهب

« بحيرا »الراهب.

وهذا بحيرا الراهب نظر الى تجار قريش مقبلين ، فرأى غلاما بين القوم ، تظله غمامة لا تظل الا نبيا ، فدعاهم الى طعام ،

دعاه « بحيرا » :

فاجتمعوا ، وتخلف الغلام محمد ، فدعاه بحيرا ، وتحدث اليه بعيدا عن القوم ، ثم أقبل على عمه أبى طالب صائحا : سيكون

سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم :

لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فارجع به ، واحذر عليه من اليهود ، فرجع به عمه ، ولم يمكث الا قليلا .

اعداد محمد للرسالة

أعد الله محمدا للرسالة أكرم اعداد :

اصطفى الله محمدا للرسالة ، فأعده لها أكرم اعداد :

حفيد « اسماعيل » ابن « ابراهيم » عبد المطلب :

أنشأه عريق النسب من ذؤابة قريش العليا ، حفيد اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، وجده عبد المطلب سيد قريش ذو الخلق القوى ، والايمان العميق ، والعقل الراجح ، فهو الذى أجاب قائد الجيش — وقد قال له : أراك تسأل عن ابلك ، ولا تسأل عن الكعبة — : أما الابل فأنا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه .

عبد الله :

وأبوه عبد الله وهو أصغر أولاد عبد المطلب ، وأحبهم اليه . والذبيح الثانى المفدى بمائة من الابل ، فيه الوسامة ، وفيه الحياء .

مات « عبد الله » غريبا عن « جنين» كريم :

لم يقم مع السيد آمنة الا أياما معدودة ، سافر بعدها الى الشام للتجارة ، ولم يعد ، فمات غريبا عن جنين كريم — محمد — أعلى الناس نسبا ، وأشرفهم حسبا .

« واثلـــة » بن « الأسقع » :

عن واثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل اصطفى من ولد ابراهيم — اسماعيل — واصطفى من بنى اسماعيل — كنانة — واصطفى من بنى كنانة — قريشا — واصطفى من قريش — بنى هاشم — واصطفانى من بنى هاشم .

« محمـــــد » المصطفى :

صفاته ومناقبه :

وقد خصه الله تعالى دون غيره من البشر بصفات . ومناقب هيأته للرسالة ، كما هيأ المدينة والجزيرة ، والعالم كله لها ،

انتشار الظلم .. الخ ..

فقد انتشر الظلم ، والفساد ، واستشرى الفسق ، والضلال ، وانحطت المدارك ، وساد الظـلام ، وضاعت حقوق الانسان ، وعمت الموبقات ، وسارت أمور الناس من سيىء الى أسوأ :

ســارت الأمور من سيء الى أسوأ :

فهو خير انسان من خير بيت فى خير زمان لتلك الرسالة .

نشأته منذ صغره

مكارم الأخلاق :

وقد نشأ منذ صغره على حسن الأدب ، ولطف الأخلاق ، وصدق اللسان ، ورجحان العقل ، فلم يمل فى صباه الى ما تميـل اليه نفوس الصبيان : من اللعب ، والطمع ، والأشتغال بسـفاسف الأمور :

أم ايمن :

قالت : أم أيمن : كان — وهو فى كفالة عمه — مثال القناعة . والبعد عن السفاسف :

القناعة :

اذا جاء وقت الأكل أقبل الأولاد يختطفون ، وهو قانع بما سيييسره الله له .

شق صدره

علقة سوداء :

وقد شق صدره وهو عند حليمة ، وأخرج من قلبه علقة سوداء هى حظ الشيطان من ابن آدم .

عتبة بن عبد السلمى :

كانت حاضنتى من بنى سعد بن كعب :

اقبل طيران أبيضان :

استخرجا قلبى : أخرجا منه علقتين سوداوين :

ائتنى بماء برد :

حصه ، فحاصه :

ختم عليه بخاتم النبوة :

انطلقا وتركانى :

أشفقت أن يكون البس بى :

أو اديت امانتى وذمتى ؟ :

عن عتبة بن عبد السلمى : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن كعب ، فانطلقت أنا وابن لها فى بهم[1] لنا ، ولم نأخذ معنا زادا ، فقلت : يا أخى ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ، ومكثت عند البهم ، وأقبل طيران أبيضان ، كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال : نعم . فأقبلا يبتدرانى ، فأخذانى ، فبطحانى الى القفا ، فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى ، فشقاه ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتنى بماء ثلج ، فغسلا به جوفى ، ثم قال : ائتنى بماء برد ، فغسلا به قلبى ، ثم قال : ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : حصه ، فحاصه[2] ، وختم عليه بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة ، واجعل ألفا من أمته فى كفة ، فاذا نظر الى الألف فوقى أشفق أن يخر[3] على بعضهم ، فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركانى ، وفرقت فرقا شديدا ، ثم انطلقت الى أمى ، فأخبرتها بالذى لقيته ، فأشفقت على أن يكون البس[4] بى — (أو قال : فخفت أن يكون قد التبس بى) — قالت : أعيذك بالله ، فرحلت ببعير لها ، فجعلتنى — (وقال يزيد) : فحملتنى — على الرحل ، وركبت خلفى حتى بلغنا الى أمى ، فقالت : أو اديت امانتى وذمتى ؟ وحدثتها بالذى لقيت ، فلم يرى ذلك ، فقالت : انى رأيت خرج منى نور اضاءت منه قصور الشام .

وفاة أمه

الأبواء :

كل حى ميت :

وقد تركت خيرا وولدت طهرا :

وادركت أمه منيتها بالأبواء ، بين مكة والمدينة — وقد بلغ ست سنين ، وقالت فى مرض موتها — والنبى عند رأسها — : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وكل كثير يفنى ، وأنا ميتة ، وذكرى باق ، وقد تركت خيرا ، وولدت طهرا .

---

(١) البهم : جمع « بهمة » ، وهى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى ، وجمع « البهم » : « بهام » .

(٢) حاصه : خاطه خياطة متباعدة .

(٣) يخر : يسقط .

(٤) فأشفقت على أن يكون ألبس بى أو فخفت أن يكون قد التبس بى : خولطت ، من قولك : فى رأيه لبس ، أى اختلاط .

كفالة جده عبد المطلب

عمره ثمانى سنوات : فكفله جده عبد المطلب الى أن بلغ عمره ثمانى سنوات .

كفالة عمه ابى طالب

وصية من جده : فكفله عمه أبو طالب بوصية من جده .

عمله فى صغره

كان يرعى الغنم : وكان يرعى الغنم فى صغره :

الكبـاث : عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجتنى الكباث(1) ، فقال : عليكم بالأسود منه، فانه أطيبه . قال : قلنا : أوكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وهل من نبى الا قد رعاها .

الأمين : وقد أنبته الله نباتا حسنا ، فنشأ منذ حداثة سنه بما جبل عليه من الصدق ، والأمانة ، حتى سماه قومه الأمين .

تجارته بمال السيدة خديجة

سفره الى «الشام» بتجارة للسيدة « خديجة » : فرغبت اليه السيدة خديجة بنت خويلد — وهى من أوساط قريش حسبا ، وأوسعهم مالا — أن يسافر الى الشام بتجارة لها ، وتعطيه أفضل مما كانت تعطَى غيره ، فخرج ومعه غلامها ميسرة ، وربحت خديجة فى تلك المرة أضعاف ما كانت تربحه .

غلامها : وأخبرها غلامها بما رأى من آثار كمالاته صلى الله عليه وسلم ، وارهاصات نبوته .

زواجه بالسيدة خديجة

رغبتها فى الزواج به : فأبدت رغبتها فى الزواج به ، فتزوجها بعد رجوعه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما .

---

(1) الكباث : كسحاب ، النضيج من تمر الأراك .

اختلاف قبائل قريش فيمن يضع الحجر الأسود

وضع الحجر الأسود :

ولما أريد وضع الحجر الأسود اختلفت قبائل قريش فيمن يضعه ، ودام الخلاف ثلاثة أيام حتى كادوا يقتتلون .

تحكيم الأمين المأمون

التحكيم :

تأخذ كل قبيلة بطرف :

ثم حكموا بينهم الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه ، فبسط رداءه ، ووضع فيه الحجر ، وأمر أن تأخذ كل قبيلة بطرف ، فرفعوه جميعا ، ووضعه الرسول بيده الشريفة فى موضعه .

الرؤيا الصادقة فى النوم

الرؤيا الصادقة :

وكان يرى الرؤيا الصادقة فى النوم قبل أن يأتيه الوحى ، فكان لا يرى شيئا الا وجاء كما رأى .

الخلوة ، والعزلة:

ثم حبب اليه الخلوة ، والعزلة عن الخلق ، لمناجاة ربه .

غار حراء

موضع الرسالة ومهبط الوحى :

جبل بالقرب من مكة ، اختاره محمد ليناجى ربه ، فهو منزله قبل أن يبعث ، وموضع رسالته ، ومهبط النور الالهى عليه .

انه علم الوحى ، وعلم الرسالة حتى تنتهى الدنيا . فما أسعد حراء و غار حراء بنزول جبريل بأول الوحى على محمد رسول الله وخيرته من خلقه وهو يتحنث فيه .

الرياضة الروحية :

ولقد نعم حراء وغاره بمشهد تلك الرياضة الروحية العالية زمانا ، حتى أوحى اليه ، ليكون للناس بشيرا ، ونذيرا .

محمد يخترق « مكة » :

يتأمل ويدكر :

هذا محمد يسير وحيدا ، مخترقا طرق مكة ، من دار خديجة الى حراء ، ويصعد ، ويستمر فى تصعيده — ومعه زاده — حتى يبلغ قمته ، ثم يستمر حتى يبلغ مقامه ، ومثواه ، ويتأمل ، ويدكر كل ما رأى ، وما سمع ، ثم يجيل بصره فى النجوم المتألقة ، المنتشرة فى السماء اذا جن الليل مفكرا فى خلقها ، وفى أمر هذا العالم كله .

يقضى الليل الا قليلا :

يقضى الليل الا قليلا مقلبا فى صحف ذهنه ما يقال فى خلق العالم ، وفى الملائكة ، وفى الآلهة ، وفيما يعتبر من الأصنام ، حتى ينسى نفسه ، وطعامه ، ونومه ، ثم يستريح فى الغار قليلا ، ويعود بعد الى التفكير ، والتأمل فى حقيقة العالم ، والوجود ، والكون .

مضرب المثل بين قومه :

انه الوفى ، الصادق ، الأمين ، مضرب المثل بين قومه لهذا ، ولبره أبناءه ، وحبه زوجه ، وعطفه على الضعيف والفقير .

دار الندوة :

هبل :

الريبة فى عبادة الأصنام :

ان لله دينا غير دين قومهم :

وطالما شارك قريشا فى سمرهم ، وحديثهم فى دار الندوة الى جوار الكعبة ، ورأى طائفة منهم يذهبون الى هبل ، يضربون بالقداح عنده ، ليشير عليهم بما يصنعون اذا اختلفوا ، وطائفة أخرى ذوى حكمة ورأى سديد ، ينظرون الى الأصنام نظرة ريبة فى ربوبيتها ، وعبادتها . وكثيرا ما سمع من خطبائهم بأن لله دينا غير دين قومهم .

معرفة الحق :

« حراء »

خير مقام روحى :

أما هو فقد صرفه الله منذ نشأ عن عبادة الأوثان ، وشغله بالدأب على البحث عن معرفة الحق ، والتفكير فيه ، فانصرف عن تجارة خديجة ، وامعن فى الانقطاع عن الناس ، ورأى فى حراء خير مقام روحى تعرض به الحقيقة أمام بصيرته فى دقة ، وأناة .

فى شهر « رمضان » :

وفى شهر رمضان يستعين بالصوم ، والزهد على معرفة الحقيقة فيما يرى ، وفيما يسمع ، وفيما يحس ، وفيما وراء الرؤية والحس .

بدت الحقيقة صافية :

وما زال يفكر ، ويتأمل حتى بدت له الحقيقة صافية ، يراها فى يقظته ، وفى رؤياه الصادقة وهو نائم ، كأنها وضح الصبح .

جبل النور :

انك من فوق جبل النور لترى مقاما يطالع الحياة ، وتطالعه ، تشرق الشمس عليه حين تشرق ، وتنحدر عنه حين تغيب ، وتلمع النجوم ، ويتلألأ البدر فى السماء ، وتهوى الشهب ، وتنتطح السحب ، وهو يرقب هذا كله .

رياضة عقلية روحية :

انها لرياضة عقلية وروحية ، تهذب النفس ، وتعلم الانسان ما لم يعلم .

اتصال الانسان بالكون :

أليس اتصال الانسان بالكون خير مهذب لنفسه ، وأقدر مثقف لعقله ، وأكبر سام بروحه ؟

صورة رائعة :

بدء البعثة :

علم الانسان ما لم يعلم :

انها لصورة رائعة أن تشاهد مقر الغار ومقام جبريل يتلو على الرسول أول ما نزل من القرآن الكريم ، وقد بلغ الأربعين : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

« حراء » و « الغار » و « الملك » و « محمد » و « اليوم الأول » من الوحى :

أبواب التفكير :

مشاهد تفتح أبواب التفكير من كل صوب ، وحدب ، وتذكر المسلمين برسولهم ، وبرسالته التى تتبين من خلال الظلمات المحيطة بها

انتشار الاسلام : ظلمات الوثنية والكفر والشرك كما يتبين الخيط الأبيض من ظلمات الليل البهيم ، حتى انتشر الاسلام فأضاء الدنيا بنوره .

يرجف فؤاده من الروع : رجع محمد الى خديجة يرجف فؤاده من الروع ، يقول : « زملونى ، زملونى » ، لتزول عنه القشعريرة ، فزملوه حتى زالت عنه . ثم قال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتقرى الضيف ، وتعين على النوائب .

أبشر :

ورقة بن نوفل

ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فأخبره صلى الله عليه وسلم بما رأى ، فقال ورقة : هذا هو الناموس(1) الذى نزل الله على موسى ، وتمنى ورقة أن يكون وقت عداء قريش للرسول شابا ، قويا ، فينصره نصرا مؤزرا .

هذا هو الناموس:

ينصره نصرا مؤزرا:

شوق الرسول الى الوحى

فتر الوحى : ثم فتر الوحى ، وقد اشتد شوق الرسول اليه ، وحزن حزنا شديدا .

الملك جبريل

وبينما هو يمشى اذ سمع صوتا ، فرفع بصره ، فاذا الملك الذى جاءه ، فرعب منه ، ورجع الى خديجة يقول : « دثرونى ، دثرونى » .

رعب منه :

قم فأنذر : فأنزل الله عليه قوله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » .

بدء الدعوة سرا

بدأ يدعو سرا : فبدأ يدعو سرا من يثق به ، ويتوسم فيه الخير والقبول ، فكان أسبق الناس الى الايمان به زوجته خديجة وابن عمه على

أسبق الناس الى الايمان به :

---

(1) الناموس : الوحى ، أو « جبريل » عليه السلام .

وحاضنته أم أيمن ، وعتيقه زيد بن حارثة ، وصديقه قبل النبوة أبو بكر بن أبى قحافة .

من أسلم بدعوة « أبى بكر » :

وقد أسلم بدعوة أبى بكر جماعة ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص .

من السابقين الأولين :

ومن السابقين الأولين : الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، كانوا يجتمعون فى داره ، ليرشدهم الرسول ، ويفقههم فى الدين .

الجهر بالدعوة

وفى السنة الثالثة من النبوة نزل على النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر(١) ، وأعرض عن المشركين »

جهر الرسول بالدعوة :

فجهر الرسول بالدعوة ، وصدع بالحق(٢) .

وفاة السيدة خديجة

وفاة خديجة :

وفى رمضان فى السنة العاشرة من النبوة ماتت زوجه خديجة رضى الله عنها ، بعد أن عاشت معه خمسا وعشرين سنة ، وولدت له ستة أولاد .

أولاده :

القاسم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وعبد الله . وهو الملقب بالطيب والطاهر .

أما ابراهيم فأمه مارية ، وهى التى أهداها حاكم مصر للنبى صلى الله عليه وسلم .

سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر

سودة بنت زمعه :

ثم تزوج الرسول بعد سودة بنت زمعة ، وعقد على عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، ولم يتزوج بكرا غيرها .

الاسراء والمعراج

الاسراء :

المـأثور عن الرواة الثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شق صدره الشريف ، وركب البراق وهو دابة دون البغل

---

(١) فاصدع بما تؤمر : اصدع بالأمر ، أى أظهر دينك .
(٢) صدع بالحق : تكلم به جهارا .

وفوق الحمار ، أبيض ، وأسرى به ليلا يقظة من المسجد الحرام وهو مسجد مكة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس وقد ناهز الثانية والخمسين ، وفيه استقبله ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى كلمة الله فى نفر من الأنبياء والمرسلين ، مرحبين به ، محتفين ، فصلى بهم ، وعند خروجه لقى من الحفاوة والتكريم ما لقى عند مقدمه .

المعراج :

ثم أتى بالمعراج وهو كما قال ابن الأثير : شبه السلم ، فأصعده فيه جبريل الأمين عليه السلام حتى انتهى به الى السماء السابعة ، ثم الى سدرة المنتهى ، فرأى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، ولمس من الرعاية الالهية به وبدعوته الناجحة ما لمس ، وقد أراه المولى جل وعلا من الملكوت العظيم ، وعجائب الصنع ، والفيض الربانى ما ملأ فؤاده نورا ، وصدره انشراحا ، ونفسه طمأنينة .

فرض الصلاة :

وفرض الله عليه وعلى أمته خمس صلوات من أداهن ايمانا واحتسابا كان له أجر خمسين صلاة .

الرسول يحدث قومه بما رأى :

ثم رجع فى ليلته الى مكة ، واصبح يحدث قومه بما رأى ، فصاروا بين مصفق استهزاء ، وواضع يده على رأسه تعجبا ، وارتد من المسلمين من ضعف ايمانهم ، وصدق أبو بكر ومن ثبت الله على الايمان قلوبهم .

يصف بيت المقدس :

وأخذ الكفار يمتحنون رسول الله بنعت بيت المقدس ولم يكن رآه قبل ذلك ، فجلاه الله له ، فجعل ينظر اليه ، ويصفه كما هو .

الكفار يسألونه عن عير لهم :

ثم سألوه عن عير لهم فى الطريق فأخبرهم بهـا ، وبساعة مقدمها ، فكان كما قال ، وانزل الله : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » .

رأى جمهور العلماء فى الاسراء والمعراج :

يرى جمهور العلماء أن الاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة ،

وانهما كانا فى اليقظة ، بجسده وروحه ، مستندين الى ما توارد على ذلك من الأخبار المتكاثرة ، والأحاديث الصحيحة .

رأى بعض العلماء :

ويرى بعض العلماء أن الاسراء والمعراج كانا بروحه ، ويروون فى هذا عن السيدة عائشة أنها قالت : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن أسرى بروحه » ، وهو حديث قد ثبت ضعفه ، ويرده ما اتفق عليه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبن بعائشة الا بعد الهجرة ، وقد كان الاسراء والمعراج قبلها ، كما يروون عن معاوية مثل ذلك . وهو غير صحيح أيضا ، لأنه حين الاسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد — ويستدل هؤلاء بالآية الكريمة : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن » . وقالوا ان الآية تشير الى الاسراء والمعراج ، وان الرؤيا انما تطلق على المنامية . لا البصرية .

رد ابن عباس :

وقد رد ابن عباس ، رضى الله عنه هذا الاستدلال بقوله : « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم » رواه « البخارى » فى صحيحه ، و « الترمذى » و « النسائى » فى سننهما — و « رؤيا العين » فى رأى ابن عباس جميع ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من العجائب السماوية ، والأرضية .

والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية .

رأى بعض المفسرين :

على أن بعض المفسرين يرى أن الآية نزلت عام « الحديبية » بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أنه دخل « المسجد الحرام » ، وعلى ذلك فليست الآية دليلا لهم ، والرأى الأول هو الصحيح ،

متى كان الاسراء والمعراج ؟ :

قيل : ان الاسراء والمعراج كانا قبل الهجرة بسنة ، وقيل كانا قبلها بسنتين ، وقيل بثلاث . ويرى الأكثرون أنهما فى شهر ربيع الأول وقيل فى شهر ربيع الآخر ، وقيل فى رجب وهو المعروف بين الناس الآن .

الاسراء والمعراج معجزتان :

وهل المعجزة الا أمور خارقة للعادة ؟ وما موقف المفكرين مما صنعه الانسان من صواريخ جبارة . وطيارات نفاثة تقطع آلاف الأميال فى زمن قليل ؟ فاذا كانت هذه قدرة الانسان فما بالنا بقدرة خالق الانسان ؟ نقول هذا لتقريب « الاسراء والمعراج » الى ما هو مشاهد ملموس .

فما يزال « الاسراء والمعراج » آيتين ظاهرتين **لمحمد رسول** الله صلى الله عليه وسلم .

هجرة الرسول تفيض روعة وجلالا

موقف قومه منه :

لقد ناله من أذى قومه ، واضطهادهم له ، وتضييقهم عليه ما ناله ، فرأى أنهم يقفون منه موقف المعاندين العتاة .

هجر « مكة » :

وقد لبث فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الله وحده ، كما رأى أنه ليس هنالك من سبيل لرفع الصوت بدعوته ، ونجاحها الا أن يهجر « مكة » الى حيث يؤدى رسالته حرا آمنا .

وفود العرب :

فاغتنم فرصة وفود العرب الى « موسم الحج » واجتمع بطائفة من أهل « يثرب » بالعقبة « الأولى » فعرض عليهم دعوته ، فبايعوه — وكانوا ستة رجال — على أن يراجعوا قومهم اذا رجعوا اليهم ، وكان القوم من قبيلتى « الأوس » و « الخزرج » ، وهم الذين سموا فيما بعد « بالأنصار » .

العقبة الثانية :

وفى الموسم الثانى اجتمع الرسول باليثربيين بالعقبة أيضا الثانية وكانوا اثنى عشر رجلا ، اثنان من الأوس ، وعشرة من الخزرج ، فشرح الله صدورهم للاسلام ، فأسلموا ، وكتموا اسلامهم .

العقبة الثالثة :

ثم عادوا ثالثة الى « العقبة » الثالثة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ، وامرأتين ، وقد أسلموا جميعا ، ورضوا بما شرطه النبى — صلى الله عليه وسلم — من توحيد الله و طاعة الرسول .

ما شرطه الرسول عليهم :

وقول الحق وترك المحرمات ، واحترام المرأة ، وعدم وأدها .

صمم النبى فى الهجرة :

ورجعوا الى المدينة فرحين بالاسلام مبشرين قومهم به ، وبمقدم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم ، وبمقامه بين ظهرانيهم .

ورجع الرسول الى « مكة » مصمما فى الهجرة ، واستأذن ربه فيها ، فأذن له .

وقد بلغ « قريشا » عزم النبى صلى الله عليه وسلم على الهجرة ، فأعدوا العدة لصده عنها .

دار الندوة :

واجتمعوا فى « دار الندوة » لذلك ، وطرحت الآراء ، حتى قال الحكم بن هشام المعروف بأبى جهل : الرأى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا ، جلدا ، حسيبا فى قومه ، نسيبا ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يغدوا عليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ، ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضون فيه بالدية .

يضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه :

أصوات : مرحى ، مرحى .

الرسول جاد فى اعداد وسائل الهجرة :

والرسول جاد فى اعداد وسائل الهجرة ، وتهيئة أمرها .

فكانت الهجرة ، وكان التشريع والتأديب ، وكانت الحروب ، وكان النصر والفتح المبين .

وقد أوصى على بن أبى طالب أن يبيت على فراشه .

خروج الرسول من بينهم :

ثم خرج من بينهم — وقد غلبهم النعاس — فلم يشعروا بخروجه ، ولا بالتراب عفر به رءوسهم ، وهو يقول : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا ، فأغشيناهم ، فهم لا يبصرون » .

ثانى اثنين فى الغار :

وخرج معه صاحبه أبو بكر والتفت الى « مكة » مودعا .

غار ثور :

وقال : « ما أطيبك من بلد ! وما أحبك الى ! ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » . ثم سارا حتى دخلا غارثور يعانيان آلام القروح .

غارثور

ساعة الهجود :

انى لأذكر ساعة الهجود قبيل الفجر ، ومحمد وصاحبه أبى بكر يسريان متجهين الى أقرب مخرج من مخارج « مكة » نحو الجنوب ، لا يحس مسراهما أحد ، فلست تسمع بمكة ركزا ، وقد صارا بمنجاة من العيون حتى بلغا أسفل ثور ، فاندفعا اليه ، يصعدانه ، وما كانا ليتخوفا مشقة التصعيد ، أو عنته وهما من أبناء الجبال .

لست تسمع بمكة ركزا :

صورة الايمان العميق :

تلك صورة الايمان العميق ، يفر من العدوان الأثيم ، انهما يفران بايمانهما بالله الى الله ممن يأتمرون بمحمد ليقتلوه .

صورة روحية : استبرأ « أبو بكر » المكان مما حوله :

صورة غاية فى سمو الروح ، والاستهانة بالحياة ، ومتاعها ولما بلغا الغار ، استبرأ أبو بكر المكان مما حوله ، ثم استبرأ الغار ،

وصليا شاكرين لله ، واحتميا بالغار ليستريحا ، قد محت ظلمته آية الزمن ، ومحمد متوجه الى ربه بقلبه ، مطمئن اليه ، واثق بنصره ، وصاحبه مطمئن بطمأنينته ، وقريش حائرة ، ثائرة ، باذلة للعثور به ، وعبد الله بن أبى بكر يقص على محمد وعلى أبيه مارأى ، وما سمع اذا جن الليل ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ينطلق بأغنامه ، فينالان من ألبانها ولحومها طعام يومهما ، وأسماء تحمل الزاد .

محمد وصاحبه :
قريش :
عبد الله بن أبى بكر :
عامر بن فهيرة :

اتخذ « أبو بكر من ردائه ضمادات لجراحات قدم الرسول » :

وفى سكون هذه الوحشة مزق أبو بكر رداءه ، ليتخذوا منه ضمادات لجراحات قدم الرسول الذى توسد فخذه بعد ، تلبيته لرغبته .

وأخذ أبو بكر يجالد آلام لدغة أصابت عقبه ، ويقاوم حتى لا يقطع على الرسول نومه .

مسح رسول الله على عقب « أبى بكر » و «ساقه»!

ولما استيقظ سأل صاحبه عن ثوبه فأنبأه ، فمسح رسول الله بلعابه على عقبه وساقه ، فسكتت آلامه ، وعادت قدمه الى حالتها الأولى ، ثم قال : اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة .

وقع أقدام على مقربة من الغار :

وسمع أبو بكر وقع أقدام على مقربة من الغار،فنظر الى رسول الله ثم التصق به ، وبكى ، فقال له الرسول : «مايبكيك يا أبا بكر» ؟ قال : « أخشى أن أرى فيك ما اكره يا رسول الله » ، فقال محمد: « والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا » .

خوف« أبى بكر »:
« أمية بن أبى معيط وآخرون :

ثم استحالت مسام أبى بكر آذانا مرهفة ، ونضح جسمه بالعرق الغزير ، وايقن أن الموت جاثم على باب الغار ، ودق قلبه دقات عنيفة حين وثب أمام الغار — أمية بن أبى معيط — وتبعه آخرون.

على باب « الغار»
شجرة :
وعنكبوت :
وحمامة وحشية :

ولكن أمية رأى شجرة قد امتدت جذورها بين الصخور ، واستطالت غصونها حتى سدت « باب الغار » ، وشاهد عنكبوتا نسج خيوطه بين الأغصان ، وأبصر « حمامة » وحشية قد وضعت بيضا أوشك أن يتمخض عن صغار الحمام ، فعاد ، وعاد من معه خاسرين .

كبر « أبو بكر » وحمد الله وأثنى عليه :

فكبر أبو بكر ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : والله يا رسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فقال له الرسول : لا تحزن ان الله معنا ، فيرد أبو بكر : ما كان حزنى الا عليك يا رسول الله ، فما أنا لو قتلت الا فرد ، أما أنت فأمة كاملة ، فيهدىء الرسول من روعه قائلا : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

« عكرمة » بن «أبى جهل» وأبو سفيان:
على بن أبى طالب:

وفى مكة كان عكرمة بن أبى جهل خائر القوى ، مبهور الأنفاس ، يسر الى أبى سفيان ما كان من جرأة على بن أبى طالب وخدعته ،

اذ بات على فراش محمد وما كان من ضربه الضرب الموجع، ووضعه فى الحديد ، وحبسه فى المسجد .

سمع الصاحبان الجلبة التى سمعاها من قبل :

تناقلت الشفاه هذه الانباء الى كل مكان ، ثم سمع الصاحبان الجلبة التى سمعاها من قبل ، فعرفا أنه الحديث بين عبد الله ابن أبى بكر وأخته أسماء ، ومعهما عامر بن فهيرة وعبد الله ابن أريقط . وكاد الليل أن ينتصف .

حملة الزاد والاخبار :

لبث الصاحبان فى الغار ثلاث ليال :

فهب الرسول واقفا ، فعرفوا أنها ساعة الرحيل ، وقد لبثا فى الغار ثلاثا .

دليل الطريق :

وسار الصاحبان عن طريق الساحل ، تضليلا لقريش ، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر و عبد الله بن اريقط دليل الطريق .

الذكريات الدينية :

وقد لقيا فى طريقهما الى المدينة ما له فى نفوس سامعيه روعة تبعث الذكريات الدينية ، وتنبه فيها الشعور بخطورة الهجرة ، وعظم شأنها ، وجلال أثرها .

أم معبد :

ففى طريقهم أشرف رسول الله وصحبه على أم معبد ، فوزع فكرها ، وذهل لبها بمهابة ذلك السيد الذى نزل بها ، وتركها فى دهشة من أمره الى المدينة المنورة .

النعجة العجفاء :

وبعد هنيهة قدم عليها زوجها ، فرآها مضطربة ، ورأى فى نواحى الخيمة آثار طعام ، وشراب ، فسألها عما رأى ، فأنبأته نبأ القوم ، وأن أحدهم قام الى هذه النعجة العجفاء التى جف ضرعها ، فحلبها ، فدرت لبنا غزيرا .

« أم معبد » تصف الرسول :

فقال : يا أم معبد ، صفى هذا الرجل العظيم ، فقالت : انه ظاهر الوضاءة ، مليح الوجه ، حسن الخلق لم تعبه ثجلة(١) ، ولم تزر به صعلة(٢) فى عينيه دعج(٣) ، وفى أشفاره وطف(٤) ، أحور(٥) ، أكحل(٦) ، أزج(٧) .

---

(١) الثجلة : كبر البطن .
(٢) الصعلة : صغر الرأس .
(٣) الدعج : سواد العين مع سعتها .
(٤) الوطف : طول الاهداب .
(٥) أحور : الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها .
(٦) أكحل : رجل أكحل : بين الكحل ، وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال .
(٧) أزج : دقيق الحاجبين ، طويلهما .

أقرن(١) ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع(٢) ، وفى لحيته كثـــاثة(٣) .

عليه الوقار : حلو المنطق : « ربعـة » :

اذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما ، وعلاه البهـــاء ، كأن منطقه خرزات نظمن ، ثم تحدرن ، حلو المنطق ، لا نزر(٤) ، ولا هذر(٥) ، أجهر الناس اذا تكلم ، وأجلهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعـــة(٦) لا تشـــنؤه(٧) العين من طـــول ولا تقتحمه(٨) من قصر ، غصن بين غصنين ، له رفقاء يحفون(٩) به ، اذا قال يستمعون لقوله ، واذا أمر يتبادرون لأمره،محفود(١٠) محشود(١١) لا هو عابس ، ولا مفند(١٢) . فلما سمع هذا الوصف

غمرته الدهشة : صاحب قريش : الجعـل :

قال — وقد غمرته الدهشة : ويحك يا أم معبد ، هذا هو صاحب قريش ، وهم ما زالوا يطلبونه ، وقد بذلوا جعلا لمن يرده اليهم .

اســـلام زوج أم معبد » :

ثم تركها ، وأخذ يسرع فى أثر الركب حتى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، ورجع الى قبيلتـــه يبشرهم بالاســـلام .

تقول أم معبد : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أقرن أى مقرون الحاجبين » .

وقد وصفه الصحابة بأنه كان أفرق أى مفروق الحاجبين ، وهو الصواب .

وأرى أن النساخ هم الذين حرفوا الكلمة ، وما أسهل وقوع التحريف بين أقرن وأفرق !

أهـل المدينـــة يستقبلون الرسول

وقد تألقت المدينة ، وتأرجت ، وأخذ أهلها يغدون ، ويرحون ، حتى طلع عليهم الرسول الجليل ، فاستقبلته جموع المسلمين ، وفى مقدمتهم أساطين الصحابة فى عدتهم وسلاحهم هاتفين ، مكبرين، وعمر يقول : « ادخلوها بسلام آمنين » .

نزول الركب بقباء،

ونزل ركب رسول الله بقباء لدى كلثوم بن هدم سيد بنى عمرو

---

(١) أقرن : مقرون الحاجبين .
(٢) فى عنقه سطع : طول .
(٣) فى لحيته كثاثة : كثافة .
(٤) لا نزر : لا قليل الكلام .
(٥) ولا عذر : لا كثير الكلام .
(٦) ربعة : مربوع الخلق ، لا طويل ، ولا قصير .
(٧) لا تشنؤه العين : لا تكرهه ، ولا تنفر منه .
(٨) لا تقتحمه : تحتقره .
(٩) يحفون به : يبالغون فى اكرامه ، واظهار الفرح به .
(١٠) محفود : المحفود : الذى يسارع الناس الى خدمته .
(١١) المحشود : الذى يحشد الناس حوله لاستماع كلامه .
(١٢) المفند : الذى يكثر لوم جلسائه .

وبناء المسجد :

ابن عوف ، فبنى مسجد قباء ، فنزلت فيه آية : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » .

أمواج الخلائق :

ثم ركب الرسول ناقته الى المدينة تسبح فى أمواج من الخلائق قد أخذ منهم الفرح بمقدم النبى العظيم مأخذه ، وسيوفهم مشرعة بين مثار النقع كأنها نجوم متلألئة فى ظلام الليل ، يرددون .

الله أكبر هـذا سـيد العرب	الله أكبر أوصـانا بخير نبى
الله أكبـــر يابن مطـــلب	خير الجدود وأعلاها ذرا نسب

ربات الخدور يغنين نشيد الهجرة :

وربات الخدور كالأزهار فى الشرفات يضربن بالدفوف ، ويغنين نشيد الهجرة :

طـلع البـــدر علينـــــا	مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجب الشـــكر علينـــا	مـــا دعـــا للـــه داع
أيهـــا المبعـــوث فينـــا	جئـت بالامـــر المطـــاع

الرجال يتجاذبون زمام الناقة :

وترامى الرجال على ناقة النبى يتجـاذبون زمامها ، ونادى الغلمان فى طرقات المدينة : جاء محمد رسول الله ، الله أكبر ، جاء محمد رسول الله .

الناقة آخذة طريقها

ينوهون بقدره العظيم ، كل يرجو ، ويضرع الى النبى أن ينزل ضيفا عليه ، والناقة آخذة طريقها بين مظاهر الفرح ، والسرور ، ورسول الله مشرق البسمة ، يقول « خلوا سبيلها فانها مأمورة »، حتى بركت أمام دار أبى أيوب النجارى ، وحنت حنينا طويلا .

بركت أمام دار « أبى أيـوب » النجـارى :

فنزل النبى عنها ، ودخل الدار ، وهو يقول : « رب أنزلنى منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين » .

الجويريات يغنين :

وأخذت جويريات من داخل البيت يغنين :

نحـن جـوارى بنى النجـار	يا حبـذا محمد من جـــار
ممنـع بالليـــل والنهـــار	بربه من عصـبة الفجـــار
وبالسـيوف فى يد الأنصـار	مصـلتة تطيـح بالأعمـــار

« أنس » خـادم النبى :

يقول أنس خادم النبى : « اننى لم أر يوما فى عمرى أحسن ، ولا أضوأ من ذلك اليوم الذى دخل فيه النبى ـــ المدينة ـــ ونزل دار أبى أيوب » .

يوم الهجرة :

عمر بن الخطاب :

وان يوم الهجرة لهو أجمل أيام محمد ، لأنه أدل على رسالته ، وهو يوم التقويم الذى اختاره الخليفة الملهم الفؤاد عمر بن الخطاب،

هجر فيه الرسول مسقط رأسه :

وهو ابتداء التاريخ فى الاسلام ، وليس هنالك يوم أحق بالتاريخ من ذلك اليوم الذى هجر فيه الرسول مسقط رأسه : « اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذهما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا، والله عزيز حكيم » .

الصحابة يتحدثون:

جلس الصحابة على هيئة دائرة منتظمة فرحين ، مبتهجين ، وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث .

رسول الله تستقر به الحال فى « يثرب » :
ارسل الى « على ابن أبى طالب » : الفواطم :

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان استقر به الحال فى يثرب أرسل كتابا ، وخمرا[1] ، وبعيرين ، وخمسمائة درهم ، مع زيد بن حارثة ، وأبى رافع الى على بن أبى طالب لاحضار الفواطم ، وهن : فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمة بنت حمزة ، وفاطمة بنت عتبة ، وفاطمة أم على ومعهن سائر آل بيت محمد ، وأبى بكر .

«على بن أبى طالب» أمام « عبد الله بن اريقط وزيد بن حارثة » :

وبعد قليل كان على بن أبى طالب أمام عبد الله بن أريقط دليل النبى ، وزيد بن حارثة خادمه ، فاحتضنهما معا ، ودار بينهم حديث حبيب الى نفس على ، ثم أعدوا العدة للسفر .

على بن أبى طالب ومن معه فى المدينة:

وفى صباح اليوم العاشر من شهر ربيع الأول وصل على ومن معه الى المدينة ، فسارع الرسول الى لقائه ، وأخذ يقبل منه كل ما تصل اليه شفته ، وعلى قد ألقى بنفسه بين أحضانه .

الرسول يخفف من آلامه :

وجعل الرسول يجفف دمه ، ويضمد جراحاته ، ويمسح عليها بريقه ، ثم دلك ساقيه بيديه الكريمتين ، وهو يقول : « فى سبيل الله ، ثم فى سبيل رسوله » .

على بن أبى طالب يتزوج فاطمة الزهراء

على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء :

وبعد زهاء عامين زفت فاطمة الزهراء — وقد ناهزت الخامسة عشرة تزينها القسامة : مشرقة الوجه ، وطفاء الأهداب ، دعجاء العين ، هيفاء العود — الى ابن أبى طالب كرم الله وجهه — وقد بلغ الثانية والعشرين — وهو ذلك الفتى المجدول العضل ، الفاره الطول ، الشديد المراس ، أكثر الصحابة علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما — فى موكب قد ازدان بالجمال والجلال ، وباركهما المصطفى صلى الله عليه وسلم .

فاطمة الزهراء :
على بن أبى طالب:

---

(1) خمرا : جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

أثر هجرة الرسول فى ظهور أمره

نقل الدعوة من طور القول الى طور العمل :

ان الهجرة لأشد الأحداث تأثيرا فى ظهور أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقل دعوته من طور القول ، والعرض الى طور العمل ، والتنفيذ .

فبعد عشر سنوات استحال الضعف ــ قوة ــ ، والقلة ــ كثرة لا يحصيها عد .

انتشار الاسلام فى المدينة :

فلقد انتشر الاسلام فى المدينة ، وأقبل عليه العرب زرافات ، ووحدانا راغبين .

قوة شوكة الاسلام

باع محمد واصحابه أنفسهم فى سبيل الاسلام :

قويت شوكة الاسلام ، وامتشق السيوف محمد وأصحابه وقد باعوا أنفسهم فى سبيله .

لبثوا عشر سنين فى حرب ، وجهاد ، لم يستريحوا لحظة ، وهو يقودهم من نصر الى نصر .

غير هياب ولا خشيان :

نشر دينه بين أبناء الصحراء :

وقد كان يقف وسط المعركة غير هياب ، ولا خشيان ، وكثيرا ما لاذ به أصحابه ، وبذلك استطاع أن ينشر دينه بين أبناء الصحراء .

((بدر))

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ــ بعد أن استقر أمر المهاجرين بالمدينة ــ فأصبحوا بنعمة الله اخوانا متآلفين ، متعاونين يفكرون فى نشر دينهم .

بيد أن المهاجرين يهيمون بوطنهم مكة الذى جلوا عنه مضطرين ، مضطهدين .

التعرض لتجارة « قريش » :

فصمموا فى التعرض لتجارة قريش ، ليشعروهم بقوتهم وبأسهم ، فيخافوا على تجارتهم أن تبور ، فيدفعهم ذلك الى حسن التفاهم ، فيصفو ما بينهم ، ويزول ، وبهذا يستطيع المسلمون أن ينشروا دينهم ، ويدعوا الى عقيدتهم .

ارسال رسول الله عبد الله بن جحش وجماعات من المهاجرين ، ومعه كتاب :

فى العام الثانى من الهجرة أرسل[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش مع جماعة من الهاجرين ، وأعطاه كتابا

---

(١) هذه سرية « عبد الله بن جحش » .

لا ينظر فيه الا بعد يومين من مسيره ، فيمضى لما أمره الله به ، ولا يستكره أحدا من أصحابه .

عبد الله يقرأ الكتاب :

أندفع عبد الله فى سبيله ، طوعا لاشارة رسول الله ، ثقة ، واطمئنانا ، ثم فتح الكتاب بعد أن سار يومين ، فاذا فيه : « اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة موضع بين مكة والطائف — فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم .

نهانى الرسول أن أستكره منكم أحدا :

أنا ماض لأمر رسول الله :

فقال لأصحابه : « أمرنى رسول الله أن أمضى الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره منكم أحدا ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله » ، فاستجابوا لهذا الغرض الأسمى ، تدفعهم عناية الله ، وتحدوهم الثقة به وبرسوله.

تخلف أثنان منهم :

ولكن اثنين منهم تخلفا فى طلب بعير ضل منهما كانا يتعقبانه(١) فأسرتهما قريش .

نزول عبد الله وأصحابه بنخلة :

ومضى عبد الله وسائر أصحابه حتى نزلوا بنخلة ، وشاهدوا عيرا(٢) لقريش تحمل تجارة لهم ، ففزعوا ، ودهشوا لتلك المفاجأة فقال قائل من أصحاب عبد الله : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن المسجد الحرام فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ولكنهم بعد ترددهم وهيبتهم أقدموا على الاشتباك معهم .

التقاء الفريقين :

ولما التقى الفريقان رمى واقد بن عبد التميمى — عمرو بن الحضرمى — بسهم فقتله ، وأسر عثمان بن عبد الله والحكم ابن كيسان ، وخلص للمسلمين ما حمل قريش ، من مال ، وما جمعوا من تجارة .

قدوم عبد الله بن جحش وأصحابه

ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام :

عنفهم أخوانهم من المسلمين :

قدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين على رسول الله فى المدينة ، فلما علم أن الفريقين قد التقيا ، وانتصر المسلمون قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » ، وأبى أن يأخذ شيئا حتى يقضى الله فى العير والأسيرين بحكم ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين ، واشتد ندمهم ، وفارت(٣) فائرة قريش ، وقالوا : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا الأموال ، وأسروا الرجال .

---

(١) يتعقبانه : يركبانه ، واحدا بعد الآخر .
(٢) العير : الابل التى كانت تحمل التجارة .
(٣) فارت فائرة « قريش » : ثاروا .

أظل الله هؤلاء المجاهدين برعايته :

فأظل الله هؤلاء المجاهدين برعايته ، وانزل على رسوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل » فسرى عن المجاهدين ، وانقشعت سحب الحزن عنهم ، وأخذ الرسول العير والأسيرين».

سرى عن المجاهدين :

« قريش » تطلب فداء أسيريها

ثم أرسلت قريش الى رسول الله تطلب منه فداء أسيريها ، ولكنه قال : لا فداء حتى يقدم صاحبانا ، فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم ، فردوا اليه أسيريه ، وأنجز للمسلمين وعده ، اذ أيدهم بنصره ، فلما ذهب عن عبد الله بن جحش وأصحابه الروع ، والغم تطلعوا الى الثواب ، فقالوا : « يارسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله قوله : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم » .

أيد الله المسلمين بنصره :

عبد الله بن جحش وأصحابه يتطلعون الى الثواب :

أول دعامة استقر بها نظام الاسلام :

كانت هذه أول دعامة استقر بها نظام الاسلام ، فقد أجيب فيها المشركون على قولهم عن القتال فى الشهر الحرام بأنه كبير ، ولكن هناك ما هو أكبر منه ، وهو الصد عن سبيل الله ، ورد المسلمين عن دينهم بالوعد والوعيد ، والتخويف ، والتهديد ، والكفر بالله ، واخراج أهل المسجد الحرام منه ، وهو الذى ارتكبه المشركون ، لهذا شرع بعد قتال من يصدون عن سبيل الله .

شرع قتال من يصدون عن سبيل الله :

شعور « قريش » بالحط من كرامتها

الحط من كرامة « قريش » :

شعرت قريش أن قتل أبنائها وأسر رجالها ، وأخذ أموالها قد حط من كرامتها ، ونال من بأسها ، وقوتها ، فحاولوا أن يثيروا شبه الجزيرة على محمد وأصحابه أن قاتلوا فى الشهر الحرام ، ولما يئس المسلمون من مصانعتهم والاتفاق معهم ندبهم الرسول الى عير لقريش أقبل بها أبو سفيان بن حرب من الشام ، وقال لهم هذه عير لقريش ، فأخرجوا اليها ، لعل الله ينفلكموها(١) ، فخف بعضهم ، وثقل بعضهم ، لأنهم لم يظنوا أن رسول الله محارب .

ندب رسول الله المسلمين الى «عير» لقريش :

أبو سفيان :

أما أبو سفيان ، فقد أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا قد استنفر(٢) أصحابه لك ولعيرك ، وكان يتحسس الأخبار ، حرصا على تجارته ، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة ، ليستنفر قريشا الى أموالهم ، وينبئهم أن محمدا قد عرض له فى أصحابه.

ضمضم بن عمرو الغفارى :

---

(١) أنفله اياه : أعطاه نفلا ، وغنما .
(٢) استنفر أصحابه : طلب منهم النصرة .

العباس بن عبد المطلب ، والوليد بن عتبة

العباس بن عبد المطلب :
والوليد بن عتبة :
عاتكة :
وقف بالأبطح :
دخل المسجد :
مثل به بعيره :

قال العباس بن عبد المطلب — وقد لقى الوليد بن عتبة بمكة — أن عاتكة قد رأت رؤيا أفزعتها ، ولما قصتها تخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، قال الوليد : وماذا رأت ؟ قال : رأت راكبا أقبل على بعيرك حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : الا انفروا بالغدر(١)لمصارعكم فى ثلاث! ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه ، فبيناهم حوله مثل(٢) به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ : « الا انفروا بالغدر فى ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس(٣) ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل(٤) ترفضت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولا دار الا دخلها منها فلقة(٥) ، ها هى ذى رؤياها ، فأكتم منى ما أحدثك به » .

هذه رؤياها :

حدث « الوليد » أباه بها :

وحدث الوليد أباه بها ، ففشا أمرها ، وأصبحت حديث قريش فى أنديتها .

أبو جهل :

ويتحدث رهط من قريش وفيهم أبو جهل برؤيا عاتكة أخت العباس — وكان يطوف بالبيت — فلما رآه أبو جهل قال : « يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا » .

متى حدثت فيكم هذه النبية ؟
عاتكة :

فلما فرغ جلس معهم ، فقال له : « يا بنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ » قال العباس : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأتها عاتكة ، قال : ما رات ؟ قال : أبو جهل : يابنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكة فى رؤياها أن راكبا قال : انفروا فى ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقا ما تقول ، والا كنتم أكذب أهل بيت العرب .

أنكر « العباس » :

فأنكر العباس أن تكون قد رأت شيئا ، ثم افترقوا .

لم تبق امرأة من « بنى عبدالمطلب » الا أتت«العباس» :

ولما أقبل المساء لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتت العباس وصحن به ، فقلن له : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رحابكم ، ثم قد تناول نساءكم ، وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيره لشىء مما سمعت ، قال العباس : قد — والله — فعلت ، ما كان منى اليه من كبير ، وايم الحق لأتعرض له ، فان عاد لأكفيتكنه » .

وايم الحق لأتعرض له :

---

(١) غدر : اذا نقض العهد ، ويقال : رجل غادر وغدر ، وأكثرها يستعمل هذا النداء فى الشتم ، يقال : ياغدر ، ويقال فى الجمع : يالغدر .
(٢) مثل به بعيره : قام منتصبا .
(٣) أبو قبيس : جبل بمكة .
(٤) ترفضت : تكسرت .
(٥) فلقة : كسرة .

« العباس » يغدو الى المسجد مغضبا :

وفى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة غدا الى المسجد حديدا(١) ، مغضبا ، فمشى نحون أبى جهل يعترض له ، ليعود لبعض ما قال ، فيقع به ، ولكن أبا جهل اتجه نحو باب المسجد ، فحسبه قد فرق(٢) منه ، وكان قد سمع صوتا لم يسمعه من قبل ، وصدى لم يعهده ، فشغل به ، وخرج اليه .

ضمضم بن عمرو الغفارى يصل الى مكة

« ضمضم » وصل الى « مكة » : حول رحله ، وشق قميصه :

وصل الى مكة ــ ضمضم بن عمرو الغفارى ــ رسول أبى سفيان ــ وقد جدع أنف بعيره ، ووقف على راحلته ، وحول رحله ، وشق قميصه من قبل ، ومن دبر ، وصاح : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة(٣) ، أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد فى أصحابه ، ولا أرى أن تدركوها ، الغوث ، الغوث ، فاجتمع الناس يجيلون قداح الرأى ، ثم تجهزوا سراعا ، ومن لم يستطع الخروج بعث مكانه رجلا ، فلم يتخلف من أشرافها أحد الا أبا لهب فقد أرسل مكانه من استأجره بأربعة آلاف درهم كانت دينا عليه .

الغوث ، الغوث :

أبو لهب :

كنانة :

ولكنهم ذكروا ما وقع بينهم وبين كنانة من حروب ، فخشوا أن تأتيهم من خلفهم فكادوا يقعدون ، ولا يخرجون ، فطمأنهم سراقة ابن مالك من أشراف كنانة وقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهون ، فخرجوا ولم يبق بمكة متخلف يستطيع القتال .

لم يبق بمكة متخلف يستطيع القتال :

خروج محمد من المدينة وأمامه رايتان سوداوان

رسول الله يخرج من المدينة مع أصحابه :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أمامه على ابن أبى طالب ، والأنصار ، يحمل كل راية سوداء ، وأصحابه يتعاقبون(٤) فى الابل ، وواصلوا السير ، والسرى حتى قربوا من الصفراء(٥) ، فبعث الرسول من يتحسس أخبار أبى سفيان ، ونزل بذفران(٦) فأخبرته العيون : ان قريشا قد سارت الى أبى سفيان ، ليمنعوا عيره .

يتحسس أخبار أبى سفيان :

تغير وجه الأمر :

تغير وجه الأمر ، وصار رسول الله أمام عدو لابد أن يلتحم معه فى قتال (وهذه هى بدر الكبرى) ، فاستشار أصحابه ، فقام

---

(١) رجل حديد : ذو حدة فى الفهم ، والغضب ، واللسن .
(٢) فرق : خاف .
(٣) اللطيمة : المال والتجارة .
(٤) يتعاقبون فى الابل : يختلفون عليها ، أى يركبونها واحدا بعد واحد .
(٥) الصفراء : قرية بين جبلين .
(٦) ذفران : واد قرب الصفراء .

المقداد بن عمرو :

أذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون :

المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك[1] الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبى خيرا ، ودعا له .

أشيروا على :

سعد بن معاذ :

شهدنا أن ما جئت به هو الحق :

ما تخلف منا رجل واحد :

استمد العون والتوفيق من الله :

ثم قال : أشيروا على أيها الناس — وانما يريد الأنصار — فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل . قال : « قد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ، ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا فى الحرب ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا ، واستمد العون والتوفيق من الله .

أحدى الطائفتين :

فأشرق وجه الرسول ، ثم قال : « سيروا ، وابشروا ، فان الله قد وعدنى أحدى[2] الطائفتين ، والله لكأنى انظر الى مصارع القوم » .

وارتحلوا حتى نزلوا قريبا من « بدر »

ماء بدر :

نحن سقاة قريش :

وأرسل النبى بعض أصحابه الى ماء بدر[3] يتحسسون أخبارهم ، فأتوا برجلين يستقيان لقريش ، وسألوهما : الى أين يذهبان ، والى أى قبيلة ينتسبان ؟ وأى غرض يقصدان ؟ فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فظنوا أنهما لم يصدقاهم ، فأوسعوهما ضربا ، فقال الرجلان : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما.

النبى صلى الله عليه وسلم :

فلما رأى النبى ذلك قال : اذا صدقاكم ضربتموهما ، وان كذباكم تركتموهما ، صدقا ، والله انهما لقريش ، ثم التفت اليهما يقول : أخبرانى عن قريش ، قالا : « هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة[4] القصوى » .

النبى يسأل الرجلين :

فقال رسول الله : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ،

---

(1) برك الغماد : موضع باليمن ، أو أقصى معمور الأرض .
(2) احدى الطائفتين : العير ، أو « قريش » .
(3) بدر : ماء على ثمانية وعشرين فرسخا من « المدينة » فى طريق « مكة » ، وقد نزلته « قريش » بالعدوة القصوى من الوادى « خلف » العقنقل ، والقليب ببدر : هو فى العدوة الدنيا .
(4) العدوة : شط الوادى .

هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها :

ويوما عشرا ، فقال الرسول لأصحابه : القوم فيما بين التسعمائة والألف ، ثم أقبل على الناس فقال : هذه مكة « قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها » .

أبو سفيان غير وجهة سيره

علم « أبى سفيان » بمكان أصحاب « محمد » :

غير أبو سفيان وجهة سيره ، وجانب الطريق بعيره ، وترك بدرا يسارا ، لأن عيونه أفضت اليه بمكان أصحاب محمد ، وانطلق حتى أفلت منهم ، ثم أرسل الى قريش : أن ارجعوا ، فقد نجوت بالعير والرجال ، والأموال ، وقد خرجتم لتمنعوها » .

أبو جهل :

فقال أبو جهل ، والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم ثلاثا ، فننحر الجزر ، ونطعم ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرتنا ، وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا! » .

الأخنس بن شريق :
بنو زهرة :

فعارض الأخنس بن شريق رأيه ، وقال لبنى زهرة — وكان حليفا لهم : « يا بنى زهرة قد نجت أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم ، وانما تفرقتم لتمنعوه وماله ، فارجعوا ، فانه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة(١) ، لا ما يقول هذا » .

« قريش » بالعدوة القصوى :

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى .

المسلمون قد عرفوا أن أبا سفيان فاتهم

« أبو سفيان » فات المسلمين :
أبدى بعضهم الرغبة فى العودة الى المدينة :

وفى الصباح عرف المسلمون أن أبا سفيان قد فاتهم ، فأبدى بعضهم الرغبة فى أن يعودوا الى المدينة ، ولا يلقوا من جاءوا من مكة لقتالهم ، فأنزل الله قوله : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير(٢) ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق(٣) الحق(٤) بكلماته ، ويقطع دابر(٥) الكافرين » ٧

أجمع المسلمون على أن يثبتوا للعدو فى القتال :

فأجمع المسلمون على أن يثبتوا للعدو فى القتال ، وأسرعوا الى ماء بدر وبعث الله السماء(٦) ، ونزل رسول الله بأدنى ماء من بدر .

---

(١) الضيعة : العقار ، والأرض المغلة ، وتجارة الرجل .
(٢) غير ذات الشوكة : العير ، والشوكة : كانت فى النفير لعددهم ، وعدتهم .
(٣) يحق الحق : يثبت الحق .
(٤) بكلماته : بكلماته الموحاة وهى كتابه .
(٥) يقطع دابر الكافرين : الدابر هو الأصل ، وقطعه : استئصاله .
(٦) السماء : المطر .

الحباب بن المنذر :

ولما استقر بهم المقام قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى ، والحرب ، والمكيدة ؟ » قال النبى : بل هو الرأى والجهاد ، قال : يا رسول الله ، ليس هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فتنزله ، ثم نغور ما سواه من القلب(١) ، ثم نبنى عليه حوضا ، فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله : لقد أشرت .

رسول الله :

لقد أشرت :

المسلمون نزلوا على أدنى ماء من القوم

غورت القلب :

فنزلوا على ادنى ماء من القوم ، ثم غورت القلب ، ثم بنى حوض وملىء ماء .

سعد بن معاذ :

تقدم سعد بن معاذ قائلا : « الا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام — يا نبى الله — ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ، ويجاهدون معك » .

من تخلف من المسلمين :

ثناء الرسول على « سعد » :

فأثنى الرسول على سعد ، ودعا له بخير ، ثم بنى العريش للنبى حتى اذا لم يكن النصر له ولأصحابه استطاع اللحاق بأصحابه فى يثرب ، يؤذن فيهم بدعوته ، وينشر دينه بين غيرهم من أبناء العرب .

رائد قريش

قريش بعثترائدا : قوة الايمان،وصدق اليقين :

وبعثت قريش رائدا يقص عليهم أنباء المسلمين ، فعاد يصفهم بقوة الايمان ، وصدق اليقين — على قلة عددهم الذى يبلغ زهاء الثلثمائة ، فخاف بعض قريش أن يقتل المسلمون كثرتهم فتضيع بمكة مكانتهم .

عتبة بن ربيعة :

فقام عتبة بن ربيعة ، وقال : يا معشر قريش ، انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا واصحابه شيئا ، والله لئن اصبتموه لايزال الرجل ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه ، أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا ، وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذى أردتم ، وان كان غير ذلك لم نتعرض لما تكرهون » .

خلوا بين محمد وسائر العرب :

(١) القلب : جمع « قليب » : البئر العادية القديمة .

أبو جهل : التقى الجمعان :

فاستشاط أبو جهل غيظا ، وذكر القوم بما بينهم وبين المسلمين من عداوة ، فأعجل ذلك القتال ، والتقى الجمعان .

رسول الله يعدل صفوف أصحابه

رسول الله يعدل الصفوف : العريش : يستنجزه الوعد : يدعو ربه : أبو بكر :

وخرج رسول الله يعدل صفوف أصحابه ، ويشد على أيديهم، وينصح لهم ألا يحملوا عليهم حتى يأمرهم ، وقال لهم : « ان اكتنفكم القوم فانضحوهم(١) عنكم بالنبل » ، وعاد الى العريش ، معه أبو بكر وقد لجأ الى الله ، يستمد منه النصر ، ويستنجزه الوعد، ويضرع اليه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها ، وفخرها(٢) تجادل ، وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، ومازال يدعو ربه باسطايده ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه ، وأخذ أبو بكر يرد رداءه على منكبيه ، ويهيب به : « يا نبى الله ، بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك من النصر » .

أخذته سنة : يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال : قوم لا يفقهون :

وظل النبى صلى الله عليه وسلم يضرع الى الله حتى أخذته سنة ، فرأى خلالها نصر الله ، فقد أوحى اليه : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ٦٥ » .

أدخله الله الجنة: شاهت الوجوه :

فخرج الى أصحابه يحرضهم على القتال ، فقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا ، محتسبا ، مقبلا ، غير مدبر الا أدخله الله الجنة » ، ثم أخذ حفنة من الحصباء ، فرمى بها وجوه القوم ، وقال : « شاهت الوجوه ، ثم أمر أصحابه فقال : شدوا فازداد المسلمون قوة ، وصاحوامهللين : أحد ، أحد »

أمد الله المسلمين بالملائكة :

وأمدهم الله بالملائكة يبشرونهم ، ويزداد بهم يقينهم ، وايمانهم، ووقف النبى وسط المعمعة ، يشد من أزرهم ، ويبشرهم بنصر الله .

تحريض النبى وامداد الله بملائكته : « بلال » و «أمية ابن خلف » :

كان لتحريض النبى لهم ، وامداد الله بملائكته أقوى أثر فى نفوسهم ، فأكثروا فى قريش القتل ، والسبى ورأى بلال — أمية ابن خلف — فأقبل نحوه ، وقال : راس الكفر أمية بن خلف ، لانجوت ان نجا ، وصرخ صرخة عالية ، وأقبل عليه بسيفه ، فأرداه قتيلا .

---

(١) انضحوهم بالنبل : ارموهم ، وأبعدوهم عنكم .
(٢) تحادك : تعاديك ، وتخالفك ، وتنازعك .

انجـــلاء المعركة

أشلاء متناثرة :
ولت « قـريش » الادبار :

ثم انجلت المعركة عن أشلاء متناثرة ، وجثث هامدة ، وولت قريش الأدبار كاسفة البال ، خاسرة .

بئست العشيرة كنتم !
انى وجدت ما وعدنى ربى حقا :

وأمر رسول الله بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، ثم قال : يأهل القليب ، بئست العشيرة كنتم لنبيكم ، كذبتمونى ، وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى ، وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ، ونصرنى الناس ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

أصحاب الرسول :

فقال له أصحابه : « يا رسول الله ، أتنادى قوما قد جيفوا(١) » ، فقال لهم : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » .

أبو حذيفة بن عتبة:
كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا:

وبينما النبى فى حديثه اذا أبو حذيفة بن عتبة كئيب ، قد تغير ، فقال : « يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء » : فقال : « لا ، والله يا رسول الله ، ما شككت فى أبى ، ولا فى مصرعه ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا ، وحلما ، وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوه له أحزننى ذلك » ، فطمأنه الرسول ، ودعا له بخير ، وجمع المسلمون الغنائم ، والأسلاب فرحين بما آتاهم الله من فضله .

يعاتب الله رسوله فى ايثار الفداء على القتل

يوم بدر :
رؤساء قريش :

اشتبكت قريش مع رسول الله يوم بدر فتنازل الأبطال ، ودارت على قطبها رحاء الحرب ، وتجلى اليوم عن القتلى ، والاسرى ، وهم من رؤساء قريش وبها ليلها(٢) ، فغادوا — وقد أكل الحقد لفائف صدورهم ، وطأطأ الذل رءوسهم .

كتب الله للمسلمين التوفيق :
وزع الغنائم :

وكتب الله للمسلمين التوفيق ، واختار لهم النصر ، وأمر الرسول أن تلقى فى القليب أجساد القتلى ، مواراة بالتراب ، ووزع الغنائم .

الأسرى :

ثم استشار أصحابه فى أمر الأسرى ، وكان ذلك شأنه فى كثير مما يعرض له — وان رجحهم عقلا ، ورأيا ، وعزما — لينهج لهم منهجا قديما يسلكونه فى حياتهم ، لينهضوا .

---

(١) جيفوا : أنتنوا .
(٢) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .

أبو بكر : فقال أبو بكر : « يا رسول الله قومك ، وأهلك ، استبقيهم ، واستأن(١) بهم ، لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك » .

عمر : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك ، وكذبوك ، أضرب أعناقهم ، فان هؤلاء أئمة الكفر ، وان الله أغناك عن الفداء »

سمع رسول الله رأيهما وأصغى الى غيرهما !

فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأييهما ، وأصغى الى غيرهما ، ولم يتخذ حكما ، ثم طلع عليهم ، فقال : « ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى يكونوا الين من اللبن ، وان الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حين قال : « فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم » ، وان مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى حين قال : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » ، وان مثلك يا عمر كمثل نوح حين قال : « رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا(٢) ، وان مثلك يا عمر كمثل موسى حين قال : « ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » ، أنتم عالة ، فلا يبقين أحد الا بفداء ، أو ضربة عنق » .

فمن تبعنى فانه منى :

وان مثلك يا«عمر» كمثل نوح :

وان مثلك يا«عمر» كمثل موسى :

لا يبقين أحد الا بفداء :

وذاعت كلمة محمد فى أرجاء مكة ، فخفوا سراعا وفكوا الأغلال عن أسراهم .

يعاتب رسوله فى ايثار الفداء :

ثم أوحى الى رسوله يعاتبه فى ايثار الفداء على القتل ، فان حاجة المسلمين الى اذلال عدوهم بالقتل — وهم فى مطلع دولتهم — أشد ، ليعظم سلطانهم ، وتضعف شوكة أعدائهم ، والمال بعد ذلك مرتبة .

سنة الله :

وقد اقتضت سنة الله ورحمته الا يعاقب المجتهد وان أخطأ ، فقال : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن(٣) فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ٦٧ لولا كتاب(٤) من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم(٥) » ٦٨

والله عزيز حكيم :

---

(١) استأن بهم : استأنى به : لم يعجله .
(٢) ديارا : أحدا .
(٣) يثخن فى الأرض : يقوى ، ويغلب .
(٤) كتاب : حكم .
(٥) روى أنه لما نزلت هذه الآية دخل « عمر » رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو و « أبو بكر » يبكيان ، فقال : « يا رسول الله ، أخبرنى فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت » ، فقال : ابك على أصحابك فى أخذهم الفداء ، ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة .

أحـــد

التحـــريض عــلى الاخذ بالثأر :

أن « محمدا » قـد وتركم :

فى السنة الثانية من الهجرة أخذ عبد الله بن ربيعة وعكرمة ابن أبى جهل وصفوان بن أمية يحرضون رجالا من قريش — ممن أصيب أقرباؤهم ، وذوو عشيرتهم يوم بدر ، على الأخذ بالثـأر ، فينادون : يا معشر قريش أن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا » .

« قريش » تتبارى فى حشد الجنود :

جبير بن مطعـم وغلامه :

ينفقون أموالهـم ليصدوا عن سبيل الله :

تبارت قريش فى حشد الجنود ، وبذل الأموال : فهذا جبير بن مطعم يقول لغلامه : ان قتلت حمزة عم محمد بعمى قتيل بدر فأنت طليق ، وهؤلاء غيره يقدمون أموالهم ، وعبيدهم ، وعتادهم للقاء هذا اليوم : « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون » ٣٦ ، ولقد صدق الله وعده يوم الفتح العظيم .

« أبو ســـفيان » يقود « قريشا » :

« صـــفوان » و « أبو عـــزة » :

ان « محمدا » قـد من على :

هذه قريش يقودها أبو سفيان لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه طائفة من كنانة وأهل تهامة ، أقبلوا ينفرون المقاتلين لحرب الله : فهذا صفوان بن أمية يقول لأبى عزة طليق بدر : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا، فيقول أبو عزة ، : « ان محمدا قد من على ، فلا أريد أن أظاهر[1] عليه ، فيقول صفوان : « فأعنا بنفسك ، فلك على ان رجعت أن أغنيك ، وأن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى ، ويصيبهن ما أصابهن من عسر ، ويسر » .

نساء « قريش » :

يســتقر بجبـــل « أحـــد » :

وخرجت نساء قريش مع رجالهن : فهذه هند بنت عتبة زوج أبى سفيان فى نساء من قريش تحمس الجند حتى يستقر بجبل أحد مقابل المدينة .

رسول الله يشاور أصــحابه :

عبــد الله بن ابى ابن ســلول :

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى الأمر، ويجيل معهم أنواع التفكير ، فيقول : « فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة، وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم » ، فيحبذ عبد الله بن ابى بن سلول رأى الرسول ، ولكن نفرا ممن حبب الله اليهم الاستشـــهاد فى سبيله قالوا : « يارسول الله ، أخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون انا جبنا عنهم ، وضعفنا » .

اقم بالمدينة :

فيرد عبد الله بن أبى : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ، لا تخرج اليهم ، فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه .

---

(١) أظاهر عليه : أعين عليه .

لبس رسول الله لأمته :

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بعد صلاة الجمعة ، فلبس لأمته(١) ، وتهيأ للقتال ، فقال القوم يا رسول الله ، استكرهناك وليس لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

خلف رسول الله بالمدينة « ابن أم مكتوم » :

خلف رسول الله بالمدينة ابن أم مكتوم يؤم الناس فى الصلاة ، وخرج فى ألف من أصحابه ، وقد انخذل عن الجيش — وهو بين المدينة و أحد — عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس ، متعللا بأن الرسولقد أطاع غيره ، وعصاه ، ثم قال : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم ،ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس .

انخذل « عبد الله ابن أبى بن سلول » بثلث الناس :

اتبعهم « عبد الله ابن عمرو » :

فاتبعهم عبد الله بن عمرو يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم ، ولكنهم ولو الأدبار .

كشف الله سرهم :

وكشف الله سرهم ، « فقال : وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم : « تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ، أو ادفعوا » ، قالوا : « لو نعلم قتالالأتبعنـاكم) . هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ١٦٧ ، الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ما قتلوا ، » قل : « فادرءوا(٢) عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ١٦٨ » .

يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم :

اين نزل الرسول ؟

ومضى الرسول حتى نزل الشعب من « أحد » فى عدوة الوادى الى الجبل ، ثم جعل ظهره وعسكره الى الجبل ، وقال : « لايقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال » .

تهيئو الرسول للقتال :

وتهيأ رسول الله للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فارس ، وخالد ابن الوليد على يمنة الخيل ، و عكرمة بن أبى أبى جهل » على ميسرتها .

« الرسول » و « أبو دجانة » :

قام الرسول ممسكا سيفا . فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه فقال أبو دجانة : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به العدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يارسول الله بحقه . فأعطاه اياه ، فعصب رأسه بعصابة ، وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال الرسول عليه السلام حينما رآه : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن » .

عصب «أبو دجانة» رأسه بعصابة :

---

(١) لامته اللأمة : الدرع .
(٢) ادرءوا : ادفعوا .

أبو سفيان يحرض على القتال

تقدم « أبوسفيان » يحرض على القتال
« أبو سفيان » يخاطب أصحاب اللواء من بنى عبد الدار :
توعدوه :

ويتقدم أبو سفيان الى أصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال ، ويقول : « يا بنى عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا ، فاما أن تكفونا لواءنا ، واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فتوعدوه ، وقالوا : « نحن نسلم اليك لواءنا سنعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع !

النسوة يحرضن على قتال المسلمين

وهؤلاء نسوة قد احتشدن ، وفيهن هند بنت عتبة يحرضن على القتال ضاربات بالدفوف خلف الرجال .

التحم الفريقان :
هند بنت عتبة :

التحم الفريقان ، وحميت الحرب ، وابو دجانة يقاتل بسيف الرسول ، فيسمع من يحرضن الناس ، ويدفعهم دفعا شديدا الى قتال المسلمين ، فيسل السيف على راسه ، فيولول ، وينتحب ، فاذا هى هند بنت عتبة ، فأبى أبو دجانة أن يضرب امرأة بسيف رسول الله .

وحشى الحبشى :

وهذا وحشى الحبشى يقدم على حمزة عم الرسول وهو صائح كالجمل الأورق(١) ، فيطعنه بحربته ، فيخر شهيدا فى سبيل الله .

الرسول يربط على قلوب المسلمين ويحذرهم المخالفة .

جلس الرسول صلى الله عليه وسلم تحت راية «الأنصار» يربط(٢) على قلوب المسلمين ، ويحذرهم المخالفة ، فلا يتركون مراكزهم ، ولا يغترون ببوادر النصر ، ولا يحرصون على جمع الغنائم .

أزال المسلمون المشركين عن عسكرهم :

أزال المسلمون المشركين عن عسكرهم ، وكانت الهزيمة منهم قاب قوسين أو أدنى ، وولى الكفار مدبرين .

نسى المسلمون نصح نبيهم : انخذلوا عن مواقفهم :

ولكن المسلمين نسوا نصح نبيهم ، وانصرفوا عنه ، وعصوا أمره وانخذلوا عن مواقفهم ، وانكبوا على الغنائم ، ولم يتابعوا النصر حتى النهاية :

« ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » .

غلام أبى طلحة :

وقد قاتل « غلام لأبى طلحة — وكان لواء الكفار معه ، حتى تطعت يداه ، فأخذ اللواء بصدره ، وبرك عليه ، فرفعته عمره بنت علقمة » الحارثية ، فلاذت به قريش ، واجتمعت تحت ظلاله .

---

(١) الأورق : ما فى لونه بياض الى سواد .
(٢) يربط على قلوب المسلمين : يقويهم ، ويصبرهم .

خضدت(١) شوكة المسلمين

الفتور والضعف والهم :

غشى المسلمين ما غشيهم من الفتور والضعف ، والهم ، حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصيبت رباعيته ، وشج وجهه ، وكلمت شفته ، واضطرب أمر المسلمين، فقد ذاع أن محمدا قد قتل : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين »

ذاع أن « محمدا » قد قتل :

سيجزى الله الشاكرين :

كعب بن مالك :

ثم نادى كعب بن مالك بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فنهض المسلمون به ، ونهض معهم نحو الشعب ، ومعه أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام ، فأدركه أبى بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت ان نجا ، فقال القوم : يارسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ ، فقال الرسول : دعوه ، فلما دنا تناول الرسول عليه السلام حربة ضرب بها عنقه ، فكانت سببا فى موته .

نهض المسلمون ونهض الرسول معهم :

أبى بن خلف :

تناول الرسول حربة ضرب بها عنقه :

ثم قدم على للرسول ماء ، فغسل دمه ، وكان يصلى من قعود ، لما أصابه من ضعف .

قدر الله أن يهزم المسلمون :

هكذا ، قدر الله أن يهزم المسلمون ، ويستشهد منهم سبعون . من خيارهم ــ وقد لمسوا النصر بأيديهم ــ : ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم(٢) باذنه ، حتى اذا فشلتم(٣) ، وتنازعتم فى الأمر . وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة . ثم صرفكم عنهم ، ليبتليكم(٤) ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ١٥٢ ، اذ تصعدون(٥) ، ولا تلوون(٦) على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم(٧) ، فأثابكم غما بغم(٨) ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون ١٥٣ ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة(٩) نعاسا ، يغشى(١٠) طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم(١١) أنفسهم ، يظنون بالله

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة :

الرسول يدعوكم فى اخراكم :

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة :

---

(١) خضدت شوكة المسلمين : عجزوا عن النهوض ، وضعفوا ، وساءت حالهم.
(٢) تحسونهم : تقتلونهم .
(٣) فشلتم : جبنتم ، وضعف رأيكم .
(٤) ليبتليكم : ليمتحنكم .
(٥) تصعدون : تذهبون وتبعدون .
(٦) لا تلوون على أحد : لا يقف أحدكم لصاحبه ، وينتظره .
(٧) فى أخراكم : فى ساقتكم ، والمراد : ساقة الجيش ، أى مؤخره .
(٨) غما بغم : غما متصلا بغم ، أو فجازاكم غما بغم أذقتموه رسول الله بعصيانكم أمره .
(٩) أمنة : أمناء ، واطمئنانا .
(١٠) يغشى : يأتى .
(١١) أهمتهم أنفسهم : أوقعتهم فى الهموم ، أولا يهمهم الا أنفسهم ، لتخليصها .

هل لنا من الأمر من شيء ؟ :

غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل : ان الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . قل : لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى

ليمحص ما فى قلوبكم :

صدوركم ، وليمحص مافى قلوبكم ، والله عليم بذات(١) الصدور ١٥٤ » .

انتهت الحرب

أشرف «أبوسفيان» على الجبل :

انتهت الحرب ، فأشرف أبو سفيان بن حرب على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : ان الحرب سجال ، يوم بيوم . فقال الرسول : قم يا عمر فأجبه ، فقال : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلانا فى

قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار :

الجنة ، وقتلاكم فى النار . فقال أبو سفيان : هلم الى يا عمر . فقال الرسول لعمر : ائته فانظر ما شأنه . فجاءه ، فقال

اقتلنا « محمدا »؟

أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وانه ليسمع كلامك الآن .

ارسال الرسول « عليا » فى آثار القوم :

ولما انصرف أبو سفيان بعث الرسول عليا : أن أخرج فى آثار القوم ، فان جنبوا الخيل ، وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل ، وساقوا الابل فهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ، ثم لأناجزنهم .

المشركون رجعوا الى « مكة » : مثلوا بكثير من قتلى المسلمين :

ولكن المشركين رجعوا الى مكة بعد أن مثلوا بكثير من قتلى المسلمين ، فقد جدع نساؤهم الأنوف ، وقطعن الآذان ، واتخذن منها قلائد ، وبقرت(٢) هند بطن حمزة عم الرسول عليه السلام ، ثم أخذت تلوك كبده ، فلم تسغها ، فلفظتها .

أمر رسول الله بحمزة فسجى ببردة ثم أمر بدفنهم :

وأمر رسول الله بحمزة فسجى ببردة ، وصلى عليه ، ثم نقل القتلى الى جانب حمزة ، فصلى عليهم اثنين وسبعون صلاة ثم أمر بدفنهم جميعا .

حمراء الأسد :

وخرج عليه السلام فى أثر العدو ، واللواء معقود لم يحل ، حتى وصل حمراء الأسد ــ على ثمانية أميال من المدينة ــ ليخيف قريشا فيعلموا أن قوة الله لا تغلب ، ولا تفل .

مضى «أبو سفيان» وأصحابه سراعا :

فمضى أبو سفيان وأصحابه سراعا الى مكة حين علموا بذلك . منتظرين بطش محمد فى كل وقت .

---

(١) ذات الصدور : خفياتها .
(٢) بقرت شقت ، سجى ببردة : غطى بثوب .

اشـــتروا الكفـــر بالايمـــان :

« ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ، ولهم عذاب اليم ١٧٧ ، ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى(١) لهم خير لأنفسهم . انما نملى لهم ، ليزدادوا اثما . ولهم عذاب مهين ١٧٨ » .

بنـــو النضير :

اجلاء بنى النضير

عمـــرو بن أميـــة الضمرى :

قال عمرو بن أمية الضمرى فاتك الجاهلية ، وفارس الاسلام : صـــادفت فى طريقى الى المدينة غرة من رجلين من بنى عامر فقتلتهما ، ورويت الثرى بدمائهما ، ولعلى أكون قد أطفأت وقدة غيظ تتسعر فى صدور المسلمين مما أصاب فينا بنو عامر يوم « بئر معونة » (٢) .

بنـــو عـــامر :
بئر معونة :

أردت المســـلمين على الصعاب :

قال محدثه : انك ركبت مركبا حراما ، وفعلت شرا قد حسبته خيرا ، فأوطأت المسلمين العشوة(٣) ، وأوردتهم على الصعاب ، ذاتك العامريان معهما من رسول الله عهد وجوار ، ولهما حرمة، وذمام .

خشى عاقبة أمـــره وذهب الى رسول الله :

« عمرو » يذكـــر للرســـول ما كان منـــه :

رد الرسول عليه :

فخشى عمرو عاقبة أمره ، وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خائفـــا يترقب . قال : يا رسول الله ، لقـــد قتلت العامريين اللذين صادفانى فى طريقى الى المدينة ، وحسبت انى أصبت فيهما من بنى عامر ثأرا . فتربد وجه الرسول ، وبان الهم بين عينيه ، وقال : لقد قتلت قتيلين لأدينهما(٤) .

وهذا دم فائر لا ينفع فى تســـكينه التسويف . ورســـول الله فى ضنك من العيش والمـــال .

بنو النضـــير

ان بنى النضير حلفاؤه ، وحلفاء بنى عامر ، فلماذا لا يستعين بهم على دفع دية القتيلين ؟

رسول الله عنـــد بنى النضـــير :

ذهب رسول الله فى نفر من صحابته الى أطراف المدينة حيث يقيم بنو النضير ، فهشوا به ، وبشوا ، وأسروا المكر ، والحنق.

يحدثهم :

قال الرسول : « لقد قتل واحد من المسلمين اثنين من بنى عامر ، حسب انه أصاب فيهما عدوا ، وأدرك ثأرا ، ولكنهما كانا معنا فى حلف ، ولهما ذمام ، وقد جئناكم نستعين بمالكم على دية هذين القتيلين ، بما بيننا من حلف وعهد .

---

(١) نملى لهم : نمهلهم .
(٢) بئر معونة : فى طريق المصعد من المدينة الى « مكة » .
(٣) العشوة : ركوب الأمر على بيان .
(٤) لا دينهما : لأدفع ديتهما .

حيي بن أخطب :

قال حيي بن أخطب زعيم بنى النضير : « لك ما تريد يا محمد، وهونا ما أردت ، استرح الى هذا المكان ، وأنظرنا قليلا حتى نجمع المال ، ونأتى بما تريد » .

بنو النضير .. يأتمرون بمحمد :

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جدار ، ومعه صحبه ، وأقبلوا يأتمرون بمحمد ، ويتشاورون فيه ، يريدون الفتك به ، ليستريحوا ، وتستريح العرب .

عمرو بن جحاش :

فقال عمرو بن جحاش : « دعونى أقتله ، فأنا بذلك زعيم » ، وتسلق الجدار ، وأعد صخرة ليرضخه(١) بها ، ثم نظر فاذا برسول الله قد انصرف .

أعلن رسول الله غدر «بنى النضير»

ثم أعلن رسول الله فى أصحابه : أن بنى النضير قد غدروا به ، ونكثوا ، فقد أرادوا قتله ، فأوحى الله اليه بما دبروا ، ولا جناح على المسلمين بعد ذلك فى حربهم » .

محمد بن سلمة :

وبعث الرسول محمد بن سلمة ، لينذرهم الجلاء عن ديارهم ، فنادى فيهم : يا بنى النضير ، قد علمنا مكركم ، وغدركم ، واطلع الله رسوله على مؤامرتكم ، ولاأمنكم على رجالنا ، فارحلوا عن هذه الديار سالمين بأنفسكم ، موفورين فى حياتكم ، ولكم أسوة فى أخوانكم بنى قينقاع .

ادرك بنو النضير .. عاقبة فعلتهم :
عبد الله بن أبى ابن سلول :

سمع بنو النضير هذا النداء ، فأدركوا عاقبة فعلتهم ، وكادوا يتهيئون للخروج لولا أن عبد الله(٢) بن أبى قال لهم : « لا تخرجوا من دياركم ، واياكم والجلاء عن أوطانكم ، واننا سنكون فى حزبكم، ومن أنصاركم . « لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وان قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون ».

الله يشهد انهم لكاذبون :

المسلمون يستعدون للحرب :
التجاؤهم الى الرسول :
أجابهم الى ماطلبوا

ونهض الرسول لقتالهم ، وحاصرهم ، فلم يلقوا اليه يدا ، ولما رأوا المسلمين يستعدون للحرب انخذلت قواهم ، والتجئوا الى الرسول يسألونه أن يجليهم ، على الا يأخذوا من أموالهم الا ما حملت ابلهم ، فأجابهم الرسول الى ما طلبوا ، فتركوا أوطانهم : « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » — « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب :

---

(١) يرضخه : يرميه .
(٢) عبد الله بن أبى بن سلول : رأس المنافقين بالمدينة .

الأحزاب وهى الخندق

حيى بن أخطب :

أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير عن المدينة، وبين أيديهم زعيمهم حيى بن أخطب ، لما ارتكبوه من نكث فى العهد ، وحنث فى اليمين .

يتربص بالرسول الدوائر :
موقفه من «محمد» وأصحابه :

ومنذ أجلى الرسول هذا الزعيم عن المدينة لا يزال يتربص به الدوائر ، ويود أن ينتصر الكافرون ، ويخذل المسلمون ، وأن يهلك الرسول بالمدينة ، ليعود هو الى وطنه ، فتعود اليه سابق زعامته ، ولكنه لا يسمع الا ما يبغضه من نصرة المسلمين ، وهزيمة الكافرين ، فيتسعر فى غيظه ، ويأكل الحقد والحسد قلبه .

مازينه له الشيطان

زين له الشيطان أن يجمع اليه نفرا من قومه ، ويؤلبوا على محمد القبائل والأعداء كافة .

انطلق الى«قريش» ومعه نفر ممن رأى رأيه :

وانطلق الى قريش ومعه سلام بن الحقيق الذى قتله عبد الله ابن عتيق بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و « كنانة ابن الربيع » وكلاهما من بنى النضير ، وهوذة بن قيس ، وأبو عمارة: من وائل ، وغيرهم ممن رأى رأيهم .

ماذا قالت «قريش»

قالت لهم قريش : « يا معشر يهود ، دعونا مما جئتم فيه الآن، وأخبرونا عما نسألكم عنه ، انكم أهل الكتاب الأول ، واليكم ينتهي علم ما تختلف فيه ، وقد أصبحنا فى أمرنا مع محمد على ريبة ، ومن ديننا فى شك ، فماذا ترون ؟ أديننا خير أم دينه ؟ وآلهتنا حق أم إلهه ؟ »

ردهم على «قريش»

قالوا لهم : « أأنتم فى شك من دينكم ، وفى ريب من عقائدكم ؟

تالله ان دينكم للحق :
حذار أن يدخل الشك الى نفوسكم
سنجمع عليه معكم القبائل :

تالله ان دينكم للحق ، وان دين محمد للخرافة ، وان آلهتكم لهى التى تضر وتنفع ، وتعطى وتمنع ، وان الهه لا يدفع شرا ، ولا يجلب خيرا ، فحذار أن يدخل الشك الى نفوسكم ، أو يجرى الظن الى عقائدكم ، فلا تتقاعسوا(١) عن مناهضته ، ولا تعدلوا عن محاربته ، وسنجمع عليه معكم القبائل ، وندعو العرب : سنحرض غطفان ، ونهيب بأشجع ، وندعو بنى قريظة .

وباتحادكم مع هؤلاء وهؤلاء لا تدعون شأن محمد يرتفع أبدا .

---

(١) لا تتقاعسوا : لا تتأخروا .

ذهبوا الى غطفان وأشجع . فأكرماهم

ثم ذهبوا الى غطفان ، وأشجع فوجدوا لقاء كريما ، وصدرا رحيبا .

بنو قريظة :

ولما انطلقوا الى بنى قريظة التى تساكن الرسول على عهد بينه وبينهم : الا يحاربهم ، ولا يحاربوه ، وأن يكونوا أحلافا على سواهم ، وظلوا حافظين للعهد حتى وفد عليهم حيى بن أخطب وصحبه قال رئيسهم كعب بن أسد القرظى : « لم يقصدكم هؤلاء الا لشر ، غلقوا أبوابكم ، وصموا آذانكم ، فوالله ما يدفعونكم لخير أبدا » .

ظلوا حافظين للعهد كعب بن أسد القرظى :

«حيى» و «كعب» :

فغلقوا الأبواب ، وجاء حيى وقال : « ويحك يا كعب ، افتح لى ، فأنا ابن عمك ، وعلى عقيدتك ، ولقد جئتك فيما أرجو أن يكون فيه صلاحك ، وصلاح قومك جميعا » .

كعب :

قال كعب : « انك لأشأم الطلعة ، متهتم النصيحة ، مزور فى الكلام ، لقد عاهدت محمدا فلم أر منه الا سلما ، وأمنا ، والا صدقا ، ووفاء ، ونحن — بنى قريظة — نعيش اليوم فى سلم من الأحقاد ، والأضغان ، وفى مأمن من المكايد ، والحروب».

حيى :

قال حيى : « ان محمدا — وان عاهدك — ليس على دينك ، وان صانعك فهو على بغض من جوارك ، ويود لو أجلاك . ولقد جئتك بعز الدهر ، وبهزيمة محمد على الأيام ، هذه قريش بقادتها ، وسادتها ، مازلت بها حتى أتت تحارب محمدا ، وهى الآن بمجتمع الأسيال فى طريقها الى المدينة .

جئتك بعز الدهر وبهزيمة « محمد » على الأيام :
قريش :
مجتمع الأسيال :
غطفان وأشجع :

وهذه غطفان ، وهؤلاء أشجع فى طريقهم الى المدينة وانهم فى حملتهم لصادقون ، وانهم من نصرتهم لواثقون » .

كعب :

قال كعب : « جئتنى والله بذل الدهر ، وخيبة الرجاء ، وبجهام[1] قد هراق[2] ماءه ، فهو يرعد ، ويبرق ليس فيه شىء . دعنى من حرب محمد ، فما أنا بناقض العهد ، ولا حانث فى الميثاق .

دعنى من حرب « محمد »

« حيى » يزور لكعب الغدر :

ولكن حييا مازال بكعب يزور له الغدر ، ويزخرف الفجور حتى لانت عريكته ، ونقض العهد ، وخرج بقومه لقتال المسلمين .

الرسول يأمر بحفر خندق

الرسول أمر المسلمين بحفر « خندق » حول المدينة :

عرف رسول الله ان قريشا وغطفان واشجع قد خرجوا لغزو المسلمين بالمدينة ، فأمر المسلمين بحفر خندق حول المدينة .

---

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه .
(٢) هراق : لغة فى أراق .

وبينما المسلمون يستعدون لصد قريش وحلفائها اذ بوافد ينبىء رسول الله أن بنى قريظة قد نقضت وعودها ، ونكثت عهودها ، وانحازت الى قريش ، ومن معها ، لغزو المسلمين .

علم الرسول والمؤمنون بما وقعوا فيه :

علم الرسول والمسلمون بما وقعوا فيه : من احاطة الأعداء بهم : من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، فزاغت أبصارهم ، واضطربت أفئدتهم ، وظنوا بالله الظنون .

المؤمنون :

أما المؤمنون فقد عرفوا أن الله يمتحنهم ، ويبتليهم ، فهم لا يخشون ضعف الاحتمال .

المنافقون :

وأما المنافقون فقد قالت طائفة منهم : « لقد كان محمد يعدنا أن نستولي على كنوز كسرى وقيصر ، ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا » .

همت طائفة بالفرار :

وهمت طائفة بالفرار ، يوقعون الضعف فى صفوف المسلمين ، وجاءت تستأذن رسول الله كذبا ، ونفاقا ، يقولون : « ان بيوتنا عورة(١) ، وما هى بعورة ، ان يريدون الا فرارا » .

موقف الرسول :

ووقف الرسول بين أعداء أحاطوا به من الأمام ومن الخلف ، وأعداء فى الصفوف .

نعيم بن مسعود :

وفى هذا الخوف والهلع ، والتفرق والفزع طلع عليهم نعيم بن مسعود ، وهو من رجال غطفان ، وقال : يا رسول الله ، انى قد أسلمت : وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » ذهب نعيم لا يحمل سيفا ، ولكنه كان يحمل عزيمة أمضى من السيف ، الى بنى قريظة ، وقال لهم : يا بنى قريظة لقد عرفتم ودى اياكم وحبى لخاصتكم وعامتكم قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم » ، قال : ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم ، وأبناؤكم ، ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ، وأموالهم ، ونساؤهم بغيره ، فان رأوها(٢) نهزة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ، ولا طاقة لكم به اذا خلا بكم » ، قالوا : وما الرأى وقد عاهدناهم على أن نحارب معهم ، ونسلك فى عداوة محمد سبيلهم ؟ وقال : « أن تأخذوا رهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم حتى تناجزوه ، وبذلك تكفلون صدقهم ونصرتهم » ، قالوا : « لقد أشرت بالرأى ، وتركهم نعيم وذهب الى قريش فقال لهم : لقد علمتم ودى لكم ، وبغضى محمدا ، وقد بلغنى أمر قد رأيت،

خذل عنا ما استطعت

ذهب « نعيم » يحمل عزيمة أمضى من السيف الى « بنى قريظة »

لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره :

خلوا بينكم وبين الرجل :

نسلك فى عداوة محمد سبيلهم :

لقد أشرت بالرأى :

---

(١) العورة فى الثغر والحرب : أمر يخاف منه .
(٢) نهزة : فرصة .

ثم ذهب الى « قريش » : انا قد ندمنا على ما فعلنا :

حقا أن أبلغكم اياه ، نصحا لكم وخشية عليكم ، فاكتموه عنى ، تعلموا أن بنى قريظة ، قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا اليه : « انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين : قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، فنعطيكم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم » ، فأرسل اليهم : أن نعم ، فان بعثوا اليكم يلتمسون رهنا من رجالكم فلاتدفعوا اليهم أحداً » .

فأرسل اليهم : أن نعم :

ذهب الى غطفان :

ثم تركهم وذهب الى غطفان ، وحدثهم بمثل ما حدث قريشا ، وانخدعوا له كما انخدعت قريش ، وترك نعيم الجمع ينظر ما يكون .

عكرمة بن أبى جهل رسول الى بنى قريظة

عكرمة بن أبى جهل

ثم ان قريشا وغطفان أوفدتا ليلةالسبت — عكرمة بنأبى جهل — فى نفر منهما الى بنى قريظة ، يستنفرونهم للقتال .

قد هلك « الخف » و « الحافر » :

قال عكرمة لرؤسائهم : انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فقالوا له : « ان اليوم يوم سبت لا نعمل فيه شيئا ، ولو فعلنا لعاد الخزى والخذلان علينا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا حتى نناجز محمدا ، فاننا نخشى أن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تتشمروا لبلادكم ، وتتركونا ومحمدا ، ولا طاقة لنا بقتاله » .

لسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم :

عودتهم الى قريش وغطفان :

ورجعوا الى قريش وغطفان ، وحدثوهم بما قالت بنوقريظة ، فقالوا : والله ان ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وعادت الرسل الى بنى قريظة ، وقالوا لهم : « والله لا ندفع اليكم من رجالنا أحدا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا ، وقاتلوا » ، فقالت بنو قريظة — وقد انتهت اليها الرسل بما انتهت به والله ان ما ذكره نعيم لحق ، ووقع الرعب فى قلوب الأحزاب ، ودبالتخاذل فى صفوفهم .

عادت الرسل الى بنى قريظة :

وقوع الرعب فى قلوب الأحزاب :

بعث الله الريح فى ليل شات على « قريش » :

وقد بعث الله الريح فى ليل شات على قريش ، فكفأت قدورهم وآنيتهم ، وزادتهم تخاذلا ، فقفلوا الى مكة فزعين .

وكفى الله المؤمنين القتال :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

انزلهم من صياصيهم

وعاد رسول الله الى الذين ظاهروا قريشا وغطفان من بنى قريظة فوجد الرعب قد حاق بهم ، فأنزلهم من صياصيهم(١) ، ثم قتل رجالهم ، وسبى نساءهم ، واورث الله المؤمنين أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وكان الله على كل شيء قديرا .

مشاهد شتى حول الرسول

١ — بلال بن رباح

أمية بن خلف :

حدث أمية بن خلف أحد خلصائه فى مجلسه بنادى قريش . « لقد شهدت عبدك بلالا فى قائلة النهار حينا ، وفى ظلام الليل أحيانا يذهب الى محمد خائفا ، يترقب وقد بدا عليه الحرص والحذر ، وانى لاتوسم أنه قد أسلم . فأنفض عليك خبره ، وافضى اليك بأمره ، عسى أن تخمد نار هذه الفتنة وهى ماتزال فى مهدها » .

يذهب الى «محمد» خائفـا :

عسى أن تخمد نار الفتنة فى مهدها :

كاد الغيظ يحرق قلب « أمية » :

فلمع الشر فى عينى أمية ، وكاد الغيظ يحرق قلبه ، وقام من فوره الى داره .

ترامى الى أنك آمنت بمحمد :

هذا بلال يبصر أمية حنيقا مغيظا ، وهو يوجه اليه قالته : «لقد ترامى الى أنك آمنت بمحمد ، وأنك تختلف اليه مظهرا(٢) انى،وفى جنح الليل (٣) آناء ، أحق ما سمعت ؟ » .

انى لا أكتمك :

قال بلال « انى لا اكتمك — وقد انتهى اليك أمرى — انى آمنت برسالته ، وصدقت دعوته » .

خرجت على دين سيدك :

قال أمية : « لقد خرجت على دين سيدك ، فتجاوزت بذلك حدك ، وأنت عبدى قد اشتريت روحك، وملكت عقلك،وجوارحك»

لا أنكر أنى عبدك ومولاك :

قال بلال : انى لا أنكر أنى عبدك ومولاك ، أما عقلى ، وروحى فليس لك عليهما سلطان » .

هاج هائج «أمية»:

هاج هائج أمية ، وصاح : « سأستل من قلبك هذا الضلال ، وانتزع من عقلك هذه الأوهام ، وسأنكل بك ، واذيقك ألوان العذاب » .

شد وثاقه ، ودفعه الى الصبية يلعبون به :

ثم هجم عليه غليظ الكبد ، وشد وثاقه ، ودفع به الى الصبية يلعبون به كما يلعبون بالكرة ، ويتقذفون به ، كما يقذفون بالحجارة.

---

(١) الصياصى : جمع صيصة ، وهى الحصن .
(٢) مظهرا : فى وقت الظهيرة .
(٣) آناء الليل : ساعاته ، المفرد « انى » .

قد ملك الايمان عليه روحه :

ولكن حلاوة الايمان التى ذاقها ، ونعمة الاسلام التى نعم بها قد ملكت عليه روحه ، وقلبه وعقله جميعا ، وهان فى سبيلها كل تعذيب ، وجعلته ينظر الى أمية نظرة احتقار ، وازدراء ، لما يوقعه به ، ثم قال : أحد ، أحد ، يؤكد استمساكه بالتوحيد ، والايمان ، والعقيدة ، والاذعان مهما يستقبله من ضروب المحن والبلاء .

أحد ، أحد :

أضجع « أمية » — بلالا — على الرمضاء :

وفى اليوم الثانى — وقد بسطت الشمس أشعتها قوية ، ملتهبة على الصحراء — أضجع أمية — بلالا — على الرمضاء ووضع على صدره صخرة ثقيلة ، قاسية ، وبلال يردد شعاره ، وعقيدته أحد ، أحد .

عقيدته : أحد ، أحد :

أحد ، أحد : لا أعبد غيره ، ولا أتوجه الى سواه ، أحد ، أحد : هو ملجىء فى ضيقى ، وبلائى .

ما يزداد « بلال » على الأيام الا صبرا « أبو بكر » :

فما يزداد بلال على الأيام الا صبرا ، ويقينا . وبينما كان أبو بكر ماشيا فى شعب من شعاب مكة اذ سمع بلالا يئن ، ويتلوى مما به ، وأمية ينظر اليه كأنه أطفأ بذلك نار غيظه ، وأرضى نفسه الظالمة العاتية ، فتحركت فى نفس أبى بكر الرحمة ، وأدركه العطف ، فقال لأمية : الام تجعل هذا المسكين هدفا لعذابك ، وغرضا لتنكيلك ؟ » .

الام تجعل هذا المسكين هدفا لعذابك ؟ :

انه عبدى أصنعبه ما أشاء :

قال أمية — وقد غمره غروره وخيلاؤه — انه عبدى أصنع به ما أشاء ، وما أوقعه فى هذا الا أنت وصاحبك ، فاذا كنت رحيما به ، فاشتره ، ونجه مما هو فيه .

اشتراه « أبو بكر » :

وكان « بلال » بعد المؤذن بالصلاة :

فاشتراه أبو بكر ، ليرفع عنه عذاب أمية ، ثم اعتقه ابتغاء رضوان الله ، وكان بلال بعد المؤذن بالصلاة .

وهل يستوى المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ؟

لقد كتب الله عاقبتهما ، وحكم فى أمرهما :

لا يصلاها الا الاشقى :

الذى يؤتى ماله يتزكى :

ولسوف يرضى :

فأنذرتكم نارا تلظى ١٤ ، لا يصلاها الا الأشقى ١٥ ، الذى كذب ، وتولى ١٦ ، وسيجنبها الأتقى ١٧ ، الذى يؤتى ماله يتزكى ١٨ ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ١٩ ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ٢٠ ، ولسوف يرضى ٢١ » .

٢ — الذين نافقوا

غزت رسالة «محمد» القلوب :

ذاعت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فغزت القلوب والنفوس ، بيد أن ثلاثة من صنوف الأعداء أخذوا أخذوا يكيدون

أخذ الأعداء يكيدون لهـا : ثلاثة من صـنوف الأعـداء :

لها ، حرصا على الرياسة ، والزعامة ، أو حسدا من عند أنفسهم .

(أ) مشركو قريش بمكة .

(ب) واليهود بالمدينة .

(حـ) والمنافقون بين الاسلام ، والكفر .

المشركون واليهود :

أما المشركون بمكة ، واليهود بالمدينة : فقد نفسوا(١) على رسول الله رسالته ، وأبدوا عداوتهم ، فكان الرسول بين هؤلاء ، وأولئك على العداوة الواضحة : حرب تارة ، ومعاهدة تارة أخرى .

المنافقون :

وأما المنافقون فكانوا من الأنصار أبناء عمومة أضمروا الكفر ، وأعلنوا الاسلام ، والمحبة ، والاخاء .

سيوفهم مع المسلمين ولكن قلوبهم مع الكفار :

وما فى قلوبهم غير الغدر والمكر والحقد ، سيوفهم مع المسلمين، ولكن قلوبهم مع الكفار .

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا : انا معكم ، انما نحن مستهزئون » .

مذبذبون بين الاسلام والكفر :

هم تذى فى عيون المسلمين :

يوم «بنى المصطلق» « جهجاه » بن مسعود الغفارى :

هم مذبذبون بين الاسلام والكفر ، لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء، وما كان الرسول ليستطيع الا أن يكتفى بما يبدو من ظاهرهم ، فهم قذى فى عيون المسلمين ، وشوكة فى جنوبهم حتى هتك الله أستارهم ، وكشف ماخبأته ضمائرهم يوم بنى المصطلق ، وعلى ماء المريسيع(٢) » .

وسنان بن مسعود الجهنى :

ياللمهاجرين :

يا للانصار :

وقع بين جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وسنان بن مسعود الجهنى ، حليف بنى عوف من الخزرج ماهاج الشر ، واضرم البغضاء ، فدعوا الى جاهلية قضى عليها الاسلام، اذ نادى الغفارى : يا للمهاجرين ، ونادى الجهنى : يا للأنصار .
— وقد أصبح المهاجرون والأنصار اخوانا بنعمة الله — يد على من سواهم ، وأمرهم على من عداهم .

عبد الله بن أبى ابن سلول :

نافرونا فى ديارنا :

فما سمع ذلك زعيم المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول حتى جمع طائفة من قومه ممن هم على شاكلته ، وقال لهم — معلنا مكنون حقده وغيظه — ما رأيت كاليوم مذلة : أو قد فعلوها : نافرونا فى ديارنا ، وكاثرونا فى بلادنا ، ما نحن والمهاجرون الا كما

---

(١) نفس عليه : حسده .
(٢) المريسيع : ماء لبنى خزاعة .

ليخرجن الأعز منها الأذل :

قال الأول : « سمن كلبك يأكلك » ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، هذا ما فعلتم بأنفسكم ، وصنعتم لأقوامكم !

جعلتم منكم دون محمد اغراضا للمنايا :

أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير دياركم ، ونزحوا لغير بلادكم ، أو لا ترون الى أنفسكم ، جعلتم منكم دون محمد أغراضا للمنايا ، وأهدافا للرزايا ، وطلائع للخيول ، ثم عدتم بالولد اليتيم ، والطفل اللطيم(۱) !

لا تنفقوا على هؤلاء المهاجرين :

يا قوم ، لو أردتم الخير لأنفسكم لا تنفقوا على هؤلاء المهاجرين حتى ينفضوا ، ولا تلاقوهم بوجه حتى يظعنوا » .

زيد بن أرقم :

وقد سمع الحديث فتى حديث السن ، شديد الحب للرسول ، حسن الاسلام ، شديد الغيرة على جمع كلمة المسلمين ، هو زيد بن أرقم فقال : أنت والله الذليل ، القليل ، المبغض فى قومك ، المشنوء(۲) فى عشيرتك ومحمد انما هو فى عز من الرحمن ، وقوة من المسلمين .

قص على رسول الله ما قال عبد الله :

ثم ذهب من فوره الى رسول الله ، وقص عليه ما قال عبد الله ، فتألم الرسول أن رأى نار الفتنة تسرى .

شيوخ الخزرج :

قال الحاضرون من شيوخ الخزرج : « يا رسول الله ، شيخنا وكبيرنا ، لا تصدق عليه كلام غلام ، عسى أن يكون قد وهم » ،

تلفت رسول الله الى زيد بن أرقم :

فتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زيد بن أرقم ، وقال له : لعلك غضبت عليه ! قال : لا ، قال : فلعله أخطأ سمعك ،

دعا الرسول عبد الله بن أبى :

قال : لا ، قال : فلعله شبه عليك ، قال : لا ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى ، وقال له : « أنت صاحب الكلام الذى بلغنى ؟ » فقال — غير مستحى : « والله

اتخذ يمين الله جنة :

الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك ، وان زيدا لكاذب ، وهكذا اتخذ يمين الله جنة ، والله يعلم انه لكاذب .

عمر بن الخطاب :

وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، مر بقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! ولكن اذن بالرحيل » .

ارتحل الناس مبكرين :

وارتحل الناس مبكرين ، ليشغلوا عن الفتنة ، ويصدوا عن دعوى الجاهلية .

اسيد بن الحضير :

وقد لقى أسيد بن الحضير فى طريقه رسول الله ، فعجب أن رأى القوم قد ارتحلوا فى ساعة مبكرة ، وقال : يا نبى الله ، والله لقد رحلت فى ساعة مبكرة ما كنت تروح فى مثلها » .

---

(۱) اللطيم : الغلام اذا مات أبواه .
(۲) المشنوء : المبغض .

رسول الله وأسيد ابن الحضير :

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو ما بلغك ماقال صاحبكم » ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله ابن أبى » ، قال : وما قال ؟ قال زعم انه ان رجـع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ، قال أسيد : « فأنت يا رسول الله — والله — تخرجه منها ان شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز »،

هو والله الذليل وأنت العزيز :

ثم قال : أرفق به يا رسول الله ، فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، وانه الآن ليرى أنك قد استلبت منه ملكا ، ونزعت منه رياسة ، وهو أبدا من الحسد فى هم ناصب ، وقلب حانق » :

هو أبدا من « الحسد » فى هم ناصب :

وما انتهى رسول الله الى المدينة حتى نزل عليه :

والله يعلم انك لرسوله :

اذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة(١) فصدوا(٢) عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع(٣) على قلوبهم ، فهم لا يفقهون ٣، واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب(٤) مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنى(٥) يؤفكون ٤ . واذا قيل لهم : « تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم،ورأيتهم يصدون(٦) وهم مستكبرون ٥، سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله لهم، ان الله لا يهدى القوم الفاسقين(٧) ٦ ، هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، ولله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون ٧ . يقولون . لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون ٨ »

ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا :

كأنهم خشب مسندة :

لووا رءوسهم :

ان الله لا يهدى القوم الفاسقين :

ليخرجن الأعز منها الأذل :

عرك الرسول أذن « زيد » :

ثم تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين ، وعرك أذن زيد ، وقال له : وفت أذنك يا غلام ، ان الله قد صدقك ، وكذب المنافقين .

عبد الله وابنه :

أما عبد الله فقد اعترضه ابنه خارج المدينة — وكان حسن الاسلام وقال له : وراءك ! والله لا تدخلها حتى تشهد على نفسك بالذلة ، وبالعزه لله وللرسول ، والمؤمنين .

---

(١) جنة : سترا .
(٢) صدوا : منعوا .
(٣) فطبع على قلوبهم : فأغلقت قلوبهم عن الفهم .
(٤) كأنهم خشب مسندة : كأنهم خشب مسندة الى الحائط لا تفقه قولا شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر .
(٥) أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن الحق ؟
(٦) يصدون : يعرضون .
(٧) الفاسقين : الخارجين عن الطاعة .

رسول الله قال له: جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا :

ولكن رسـول الله قال جزاك الله عن رسـوله وعن المؤمنين خيرا . وأمره أن يتركه لعله أن يتوب .

٣ — قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها

خولة بنت ثعلب وزوجها :

كانت خولة بنت ثعلب الخزرجية زوج أوس بن الصامت شابة رائعة الجمال ، حسنة القوام ، صبيحة الوجه ، وقد احتفظت بشىء من هذه الفتنة ، وذاك الجمال حين تقدمت بها السن .

رآها زوجها تصلى معتدلة خاشعة :
استحوذ عليه الغضب :

رآها زوجها تصلى معتدلة ، خاشعة ، فتاقت نفسه اليها ، فلما فرغت من صلاتها داعبها فنفرت فتملكته الدهشة ، واستحوذ عليه الغضب ، وحرمها على نفسه ، كما حرمت عليه أمه ، قائلا لها : أنت على كظهر أمى .

سقط فى يدها :

فلما علمت أنها قد حرمت عليه سقط فى يدها ، وعز عليها أن تفارقه ، وهو من سكنت اليه ، وسكن اليها ، وأبو ولدها .

ذهبت الى النبى :
بعد أن كبرت سنى وكثر أولادى جعلنى كأمه :

فذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم تفضى اليه بأمرها . وهى ترجو أن تجد لديه مخرجا من مأزقها ، فقالت : يا رسول الله ، ان أوسا قد تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فبعد أن كبرت سـنى ، وكثر أولادى جعلنى كأمه . وان لى منه صبية صغارا ، ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضممتهم الى جاعوا .

تتوسل اليه :
ما عندى فى أمرك شىء :

ثم توسلت اليه أن يعيد اليهما حياتهما ، ويصلح شأنهما ، فقال لها : ما عندى فى أمرك شىء ، فاشتد ألمها ، وقالت : يا رسول الله ، ما ذكر طلاقا ، وانما هو أبو ولدى وأحب الناس الى .

ماذا يفعل الرسول :

ماذا يفعل الرسول وهو لم يتلق فى أمرهما وحيا ، وما ينطق عن الهوى .

التجأت الى الله

فالتجأت الى الله ، وتفرغت اليه قائلة : أشكو الى الله فاقتى ووجدى .

كثر تضرعها :

كثر تضرعها ، وطال وقوفها ، فسـمع الله شكاتها ، وفرج كربتها .

أنبأها بأن الله قد سمع محاورتها واستجاب لدعائها:
العتق ، فالصيام فالاطعام :

وبينما هى حائرة ، مضطربة غشى النبى ما كان يغشاه حين نزول الوحى ، ثم أنبأها : بأن الله قد سمع محاورتها ، واستجاب لدعائها ، وأنه ليس على المظاهر بعدالآن اذا أراد التحلة من ايمانه الا أن يعتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا .

عاد اليها سكونها ، فقد أجاب الله سؤلها .

بعث رسول الله الى « أوس » :

هل من وسيلة أسترجع بها شريكة حياتى :

ثم بعث رسول الله الى أوس ، وقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : ان الشيطان لعب بعقلى ، واضاع صوابى ، فركبت متن الشطط ، وابعدت فى الغى فهل من وسيلة استرجع بها شريكة حياتى ، ومنية نفسى ؟

قال النبى : « نعم » :

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم :

تحرير رقبة من قبل أن يتماسا :

قال النبى نعم ، وقرأ عليه قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ، وتشتكى الى الله ، والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير ، الذين يظاهرون(١) منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول ، وزورا ، وان الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم » .

هل تستطيع عتق رقبة ؟

ثم قال له النبى : هل تستطيع عتق رقبة ؟ فقال : لا والله . فقال : هل تستطيع الصوم ؟ فقال : لا والله ، لولا أنى آكل فى اليوم مرة ، أو مرتين لكل بصرى ، ولظننت أنى أموت .

هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ :

فقال له : هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ فقال : لا ، الا أن تعيننى منك بصدقة .

مد النبى اليه يد المساعدة :

فمد النبى اليه يد المساعدة حتى استطاع أن يطعم ستين مسكينا ، فصارت بذلك زوجه حلالا له .

وبالاسلام أنار الله تلك الأرجاء المظلمة :

وقد أنار الله بالاسلام تلك الأرجاء المظلمة ، وبدد سحبها ، وقامت على مبادئه صروح العزة ، والحياة الكريمة .

الذين اتخذوا مسجدا ضرارا(٢)

معتب بن قشير يشكو :

مسجد قباء :

شكا معتب بن قشير لمن ذهب مذهبه من المنافقين : ان الغيظ لتشتعل بين جوانحى ، وان الهم ليسرى فى أحشائى ، اذا أبصرت مسجد قباء الذى زعم بنو عمرو بن عوف أن محمدا واضع أساسه ومقيم قواعده ، وكلما هتف من فى المدينة ببنى عمرو بن عوف

---

(١) كان من عادة العرب أنه اذا غضب أحدهم من زوجته قال لها : « أنت على كظهر أمى » فتحرم عليه ، وهذا هو الظهار » .

(٢) ضرارا : مضارة للمؤمنين ، وهو مصدر ضاره أى أضره .

الحسد : أغضيت طرفى على القذى ، وان الحسد ليتسعر فى نفسى ، ولست واجدا دواء ناجعا غير أن أرى هذا المسجد مقوضا .

ثعلبة بن حاطب : فقال ثعلبة بن حاطب : ان خطبك ليسير ، وان همك لهين ؛ وان الخطب الفادح لهو ذاك الدين الذى يذيع أمره ، ولا ينقطع

أذن بلال بالصلاة : دخول الناس فيه ، أو ما رأيتهم — وقد أذن بلال بالصلاة يسرعون الى المسجد ، فتزكو بينهم المودة ، وتقوى شوكتهم ، ويزيد عديدهم ؟

وديعة بن عامر : فقام وديعة بن عامر ، وقال : لقد جاءنى اليوم كتاب من أبى عامر الراهب(١) ، يذكر أنه من يوم أن ترك المدينة ما زال

انتهى به المطاف الى « هرقل » : يسير ، ويكمن ، وينجد(٢) ، ويتهم(٣) حتى انتهى به المطاف الى هرقل ملك الروم ، فألفاه متعصبا للنصرانية ، محنقا من أمر محمد ، وأنه قد استنفره ، فوعده النفر ، وعما قريب سيعود الى المدينة

لا نستطيع القيام فى وجه « محمد » : « ملق » و «نفاق» : فبماذا تشيرون ؟ وقد علمتم أننا لا نستطيع القيام فى وجه محمد ، لقوة سلطانه ، ولولا ما تظهره من ملق ونفاق ما استطعنا أن نساكنه فى المدينة وهو فى ريبة منا أبدا ، وأرى أن نبنى مسجدا ، ونتوهمه مصلى ، ونختار له اماما من بيننا . ونذهب الى محمد ،

ندعو « محمدا » للصلاة فيه : ندعوه للصلاة فيه مداهنين ، وفى الظلام يتخذه أبو عامر ملجأ لما يريد ، وهذا مجمع بن جارية قارىء القرآن ، عارف

بناء المسجد : بالفرائض ، ندعوه اماما لنا ، فآمن كلهم بهذا الرأى ، ثم بنوا المسجد ، وزين لهم الشيطان الآمال الخادعة .

ذهبوا الى رسول الله يدعونه للصلاة فيه : ثم ذهبوا الى رسول الله فألفوه متهيئا لغزو الروم ، فقالوا يا رسول الله ، انا بنينا مسجدا لتقام فيه الصلاة ، وتؤدى شعيرة

مجمع بن جارية : الله ، وقد وقع اختيارنا على مجمع بن جارية ، ليكون اماما ، وهو حافظ للقرآن ، عالم بالفرائض ، بصير بما فى كتاب الله ، ونحن ندعوك للصلاة فيه ، لننال الخير ، وتحف بنا البركة .

انا على جناح سفر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا على جناح سفر ، ولكن اذا رجعنا ان شاء الله .

جبريل : ولما عاد رسول الله من غزو الروم حتى لم يبق بينه وبين المدينة الا يومان ، نزل عليه جبريل الأمين مبلغا عن الله : « والذين

---

(١) أبو عامر الراهب : خزرجى كان قد تنصر فى الجاهلية ، وقرأ علم أهل الكتاب ، ولما قدم رسول الله الى المدينة بارز بالعداوة ، ولما انتصر المسلمون يوم « بدر » ذهب الى « مكة » ثارا وألب المشركين على رسول الله ، حتى كان يوم « أحد » وفيه امتحن المسلمون ، ولما رأى صبرهم وايمانهم ذهب الى « هرقل » ملك الروم .

(٢) ينجد : من « النجد » وهو المكان المرتفع من الأرض .

(٣) يتهم : يأتى « تهامة » وهى المنخفض من الأرض .

وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل :

اتخذوا مسجدا ضرارا ، وكفرا ، وتفريقا بين المؤمنين ، وارصادا(١) لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى . والله يشهد انهم لكاذبون ١٠٧، لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ١٠٨ ، أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ، ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا(٢) جرف(٣) هار(٤) ، فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين ١٠٩، لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة(٥) فى قلوبهم ، الا أن تقطع قلوبهم ، والله عليم حكيم ١١٠ » .

والله يحب المطهرين

لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم :

عرف الرسول قصتهم :

أحرقا المسجد :

فعرف الرسول قصتهم ، ولما وصل الى المدينة بعث رجلين ، فأحرقا المسجد ، وقوضاه ، وهدماه .

علموا أن الله قد فضح أمرهم :

ولما أصبحوا علموا أن الله قد فضح أمرهم « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

٥ — ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

غزا رسول الله بنى المصطلق :

هؤلاء بنو المصطلق غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل منهم من قتل ، ثم أصهر بهم ، وأسلموا .

الوليد بن عقبة :

الصدقات :

خرجوا للاحتفاء به :

ظنهم يبغون به شرا :

ولما عاد الرسول الى المدينة بعث اليهم الوليد بن عقبة ، ليأخذ من أغنيائهم الصدقات ، فيعطيها لفقرائهم ، فخرجوا لاستقباله ، والاحتفاء به ، وكان بينه وبينهم عداء قديم ، فظنهم يبغون به شرا ، فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زاعما أن بنى المصطلق قد ارتدوا عن الاسلام ، ومنعوا الزكاة .

تهيأ الرسول لغزوهم :

وفد « بنى المصطلق » !

الوليد بن عقبة يزعم :

خبر الوليد وخبرهم :

فتبينوا :

فتهيأ الرسول لغزوهم ، ولما بلغ ذلك القوم ذهب وفد منهم الى رسول الله ، وقالوا : « يا رسول الله ، خرجنا الى رسولك لنحتفى به ، ونكرمه ، ونؤدى ما لدينا من الصدقات ، فأسرع اليك يزعم أنا قد ارتددنا عن الاسلام ، ومنعنا الزكاة ، وخرجنا لنقتله ، ونحن مانزال على ايماننا ، وما أردنا به سوءا ، فوقف رسول الله بين خبر الوليد وخبرهم ، لا يقضى بحكم ، حتى نزل عليه : « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا(٦) أن

---

(١) أرصادا : ترقبا .
(٢) على شفا : على حرف .
(٣) جرف : الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، كل حين يسقط شىء منه .
(٤) هار : ضعيف .
(٥) ريبة فى قلوبهم : شكا ، ونفاقا .
(٦) فتبينوا : تعرفوا حقيقته .

تصيبوا(١) قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٦ ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر(٢) لعنتم ، ولكن الله حبب اليكم الايمان ، وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون ٧ » .

لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم :

أولئك هم الراشدون :

٦ ـ لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا

دعا رسول الله المسلمين الى الجهاد :

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للجهاد : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم ، وأنفسكم فى سبيل الله » .

وجهتنا غزو الروم :

ومن استطاع منكم الانفاق عن سعة ، وفضل فلينفق ، ومن استطاع أن يحمل غيره فليحمل ، واعلموا أن وجهتنا غزو الروم فلا يتخلف أحد منكم ما استطاع الى الجهاد سبيلا » .

الحر لافح :

نسرى عن نفوسنا بخير آت :

تساءل المسلمون : « ما بال الرسول يدعونا للجهاد والحر لافح ، ونحن فى ضيق من العيش ، وعسرة من المال ، لم نجن الثمر ، ولم نحصد الزرع ، وكنا نرقب اليسر ، ونسرى عن نفوسنا بخير آت ، وبرزق مقبل » .

بنو الأصفر :

وسرعان ما استعدوا للجهاد حين علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد العدة لصد بنى الأصفر(٣) الذين أعدوا الجيوش لغز المسلمين ، وقد آثر ايذائهم ليتهيئوا الشقة طويلة .

كل بحسب ما كتب له :

علموا أنهم لا يصيبهم ظلما :

ان الله لا يضيع أجر المحسنين :

وقد تلقى المسلمون هذه الدعوة وهم فيما هم فيه من سوء الحال ، كل بحسب ما كتب له من التوفيق ، والهداية ، واليقين ، فالطامع الى الجنة ، الراجى رضوان الله لا يبالى الحر، والقر(٤)، والعسر ، واليسر ، والشتاء والصيف ، والقوة ، والضعف ، فقد علموا أنه « لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ، ولا مخمصة(٥) فى سبيل الله ، ولا يطئون(٦) موطنا يغيظ الكفار ، ولا ينالون(٧) من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ١٢٠ ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ، ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ، ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ١٢١ » .

ذو النفوس الحائرة :

أما ذوو النفوس الحائرة بين الايمان والكفر ، واليقين والشك فانهم يمقتون الجهاد ، ويخشون سوء المصير .

---

(١) أن تصيبوا : كراهة ان تصيبوا .
(٢) لعنتم : لوقعتم فى « العنت » وهو المشقة والهلاك .
(٣) بنو الأصفر : الروم .
(٤) القر : البرد ، غزوة « تبوك » .
(٥) مخمصة : جوع .
(٦) لا يطئون موطنا : لا يدوسون مكانا .
(٧) ولا ينالون من عدو نيلا : ولا يصيبون منه شيئا كالقتل أو الأسر ، أو الغنم .

غزوة « تبوك » :

ولقد أسرع المسلمون فتطوعوا بأنفسهم ، وأموالهم ، وأعدوا عدتهم لغزوة تبوك ، ولم ينجح المنافقون فى تخذيل المسلمين وثنيهم عن الخروج للجهاد .

أربعة لم ينتظموا :

ولكن أربعة لم ينتظموا فى صفوف الغزاة الذين ماجت بهم الصحراء ، ولم يأخذوا أمكنتهم بينهم ، وهم من ذوى الغنى والايمان، وهم : أبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف .

وكعب بن مالك أخو سلمة .

ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف .

أبو خيثمة :

وهلال بن أمية أخو بنى واقف أما أبو خيثمة فقد ذهب الى أهله فى يوم حار بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما ، فوجد امرأتيه فى عريشين لهما فى حائطه(١) قد هيأت كل منهما عريشها ، نظافة ، وماء ، وطعاما ، فوجد شرابا باردا ، ولحما غريضا(٢) وظلا وارفا ، وامرأتين تعملان على اسعاده، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه فى الحرب والبلاء، لا يجدون الماء ، ولا يظفرون بالطعام .

قد هيأت كل منهما عريشها :

لا يظفرون بالطعام:

هيأ راحلته ولحق برسول الله :

فقال لامرأتيه : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ، وهيأ راحلته ولحق به .

قضوا بالمدينة أياما نحسات :

وأما الثلاثة : كعب ومرارة وهلال فقد قعدت بهم همتهم أول الأمر ، ثم سقط فى أيديهم ، وثناهم الحياء عن اللحاق بالرسول ، ثم صرفهم التردد والحيرة ، وقضوا بالمدينة أياما نحسات ، وليالى نابغيات(٣) ، لا يرون فيها الا ضعيفا عذره الله ، أو مغموصا(٤) عليه بالنفاق ، فتفيض شئونهم .

أقضت مضاجعهم :

عاد الرسول من الجهاد :

وكلما اقتربت عودة الرسول أقضت مضاجعهم ، وضاقت عليهم أنفسهم ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من الجهاد ، وذهب الى المسجد كعادته يصلى ركعتين ثم يستقبل الناس .

جاء قوم مخلفون :

وجاء قوم مخلفون أقسموا بالله جهد أيمانهم ، وبسطوا معاذيرهم ، فقبل علانيتهم ، وبايعهم ، ووكل الى الله سرائرهم .

أقبل « كعب » مضطربا :

ثم أقبل كعب مضطربا ، متعثرا ، فقال له الرسول : « ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » ، فقال : « بلى يارسول الله ، والله

---

(١) حائطه : بستانه .
(٢) غريضا : طريا .
(٣) نابضات : طويلة من قول النابغة :

كليتى لهم يا أميمة ناحب وابل أقاسيه بطىء الكواكب

(٤) مغموص عليه : مطعون عليه .

لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكنى والله لقد علمت أنى لئن حدثتك حديثا فيه كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو عفو الله ، والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت أقوى ، ولا أيسر منى حين تخلفت عنك » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

ولقد أعطيت جدلا :

انى لأرجو عفو الله :

قم حتى يقضى الله فيك :

وجاء مرارة ، وجاء هلال ، فتحدثا بمثل ما تحدث به كعب ، وتركهما رسول الله لقضاء الله كما ترك كعبا .

مرارة ، وهلال : تركهما رسول الله لقضاء الله :

ونهى رسول الله المسلمين عن كلامهم ، أو الاختلاط بهم حتى يفصل الله فى أمرهم ، ان شاء عذبهم ، وان شاء تاب عليهم ، وأحسوا من جفوة رسول الله الجهد والبلاء ، ومن عزلة أصحابه العنت ، والعناء ، وحاقت بهم الهموم .

جفوة رسول الله وعزلة أصحابه :

وقد استكان مرارة بن الربيع وهلال بن مرة الى بيتهما يبكيان ، وينتحبان ، ينتظران قضاء الله .

مرارة بن الربيع وهلال بن مرة :

وأما كعب فقد اضطرب فيما يضطرب فيه الناس ، يغشى الطرقات ، ويشهد الصلوات ، لا ينظر اليه أحد ، ولا يحدثه أحد ، ومضى فى الطريق موزع الفكر ، فدفع اليه بنط من أبناط أهل الشام كتابا من ملك غسان ، فاذا فيه : « أما بعد فقد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضيقة ، فالحق بنا نواسك ... » .

اضطرب « كعب » فيما يضطرب فيه الناس :

نبطى من أنباط أهل الشام :

ولما قرأ هذا الكتاب بكى : أن كان كعب قد هان أمره ، وانحط قدره ، وأصبح ممن يطمع فى دينه ، ويرجى تنصره ، ثم دفع بالكتاب الى التنور .

بكى « كعب » :

وبعد أربعين يوما أرسل اليهم الرسول : « أن اعتزلوا أهلكم حتى يقضى الله بالأمر فيكم » ، وظل أمرهم معلقا ، والحديث معهم محظور حتى مضى عليهم خمسون يوما ، ثم أطرق الرسول بعد صلاة الصبح رأسه ، وغاب عما حوله بروحه ، ثم أقبل على صحبه منشرح الصدر ، وأعلن فيهم : أن الله قد قبل توبة كعب ومرارة وهلال ، « فاذهبوا اليهم مهنئين مبشرين » .

بعد أربعين يوما أرسل اليهم الرسول أن أعتزلوا أهلكم :

أقبل الرسول بعد صلاة الصبح :

فخف الناس اليهم مسرعين مهنئين ، وجرى كعب الى رسول الله ، فوجده جالسا ، وحوله الناس فى المسجد ، فقال : « أبشر بخير يوم عليك منذ ولدتك أمك » ، ثم أقبل هلال وأقبل مرارة فهنأهما ، وتلا عليهما جميعا : « لقد تاب الله على النبى ،

خف الناس اليهم مسرعين :

لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار .. : أنه بهم رءوف رحيم : ضاقت عليهم الأرض بما رحبت : ظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه : انه هو التواب الرحيم :

والمهاجرين ، والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ(١) قلوب فريق(٢) منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رءوف رحيم ١١٧

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه، ثم تاب عليهم، ليتوبوا ،ان الله هو التواب الرحيم ١١٨ ».

« الفتح »

الرسول راضى النفس ، متهلل الوجه :

استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه راضى النفس ، متهلل الوجه ، فدعا اليه صحبه فرأوه مستبشرا ، مسرورا ، فقالوا : « لعل هناك نبأ سارا ! » .

الرؤيا : المسجد الحرام : العمرة والطواف : وطنهم الحبيب :

ولما اكتمل جمعهم أفضى اليهم برؤيا شرح الله بها صدورهم ، وطيب نفوسهم « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رءوسكم ومقصرين » ، فتأهبوا للسفر ، واجعلوا غايتكم العمرة والطواف ، ولتشعروا(٣) الهدى(٤) ، تعظيما للبيت العتيق، وذاعت الرؤيا فى كل واد ، وان رؤيا رسول الله لتجى مثل فلق الصبح ، لقد أصبحوا قاب قوسين ، أو أدنى من وطنهم الحبيب ، سيطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفا والمروة .

كلمة التوحيد :

ولعل كلمة التوحيد تعلو مكة والمسجد الحرام .

« بشر » الخزاعى: أتندس أسرارها : هيه يا « بشر » :

وفى الصباح نشطوا ، ونشطت آمالهم ، وأشرقت تباشير يومهم ، ساروا مطمئنين ، وفى منتصف الطريق سمعوا بشرا الخزاعى ، يقول : « أى رسول الله ، لقد دلفت — كما أمرتنى — الى قريش أتندس(٥) أسرارها ، وأتعرف أخبارها ، وما راعنى الا أن خبر مسيرك قد ترامى اليهم ، وحديث رؤياك قد هبط عليهم ، ولا أدرى كيف وقع عليهم الخبر ، ولا كيف استنشوا حديث الرؤيا! فقال رسول الله : هيه يا بشر ، وبماذا قابلوا هذا الخبر ؟

وماذا أعدوا للقاء ؟

العوذ المطافيل :

قال بشر : انهم يا رسول اله قد خرجوا ومعهم العوذ المكافيل(٦) ولبسوا جلود النمور ، وعاهدوا أنفسهم ألا تدخل عليهم مكة أبدا ،

---

(١) يزيغ : يميل عن الحق .
(٢) فريق منهم : المراد : المتخلفون عن الخروج مع الرسول ، ومكثوا بالمدينة.
(٣) أشعر الهدى ، وهو أن يشق جلده ، أو يطعنه حتى يظهر الدم .
(٤) الهدى : ما يهدى الى البيت من النعم .
(٥) أتندس : أتسقط الأسرار .
(٦) العوذ المطافيل : النياق معها أولادها .

خالد بن الوليد : كراع الغميم :

وهذا خالد بن الوليد ، وهو من يعدونه بهمتهم(١) وفارس حلبتهم، قد خرج يستقبلك بخيله ، ولعله الآن فى كراع الغميم(٢) .

مريح « قريش » : ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب : فما تظن« قريش »؟

فزفر رسول الله زفرة مرسلة من قرارة نفسه ، ثم قال : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، وماذا عليهم لو خلوا بنى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ! ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ ، والله لاازال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله بـه حتى يظهرنى الله ، أو تنفرد عنى هذه السالفة(٣) .

وماذا يريد «خالد»؟ ومـا ذاك يوم اشتباك القنا : من يخرج بنا الى طريق غير طريقهم؟

وماذا يريد خالد ؟ نحن ما خرجنا مقاتلين ، ولا محاربين ، بل خرجنا مسالمين ، موادعين ، وماذاك يوم اشتباك القنا ، ولا تقابل الأقران ، من يخرج بنا الى طريق غير طريقهم ، ويدفع بنا الى مكان بعيد عن عيونهم ، وطلائعهم ؟ .

رجل من أسلم

كان بصيرا بالطرق:

فتقدم رجل من أسلم — وكان بصيرا بالطرق : مستدقاتها ، ومنعرجاتها — فأمسك بخطام القصواء(٤) ، فأضنى القوم وأجهدهم فى الطريق الوعر حتى انتهى بها وبهم الى سهل فسيح .

أجهدهم فى الطريق الوعر : لكن ناقة الرسول وقفت فى عرض الطريق : ان فى وقوفها لسرا :

ساروا يحدوهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء ، ولكن ناقة الرسول وقفت فى عرض الطريق ، فيستنهضها الرسول للسير فتمتنع ، فقال : « لقد حبسها حابس الفيل عن مكة » وان وراء ذلك لشيئا ، وان فى وقوفها لسرا ، والذى نفسى بيده لا تسألنى قريش خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها .

أدرك الرسول أنه مصروف عن السير:

وأدرك الرسول أنه مصروف عن السير ، فأمر القوم أن يلتمسوا مكانا فسيحا ، فكانت الحديبية ، وفيها أناخوا جمالهم ، ونصبوا خيامهم ، وأقاموا الصوى(٥) ، والأعلام .

بديل بن ورقاء : تهافتوا عليه :

هذا بديل بن رقاء الخزاعى ، قادم الينا ، انه من خزاعة الصادقة ، الوفية ، سيصدقنا خبر قريش ، وأمرها ان كان قادما من مكة ، ثم تهافتوا عليه ، وألقيت الأسئلة من كل ناحية .

جلس الى الرسول ينفض خبره :

قال بديل : لست مطارحا بكلام حتى ينتهى مقامى عند محمد ، ثم جلس الى الرسول ينفض خبره ، فقال : يا محمد ، لقد جئتك

---

(١) البهمة : الشجاع الذى لا يعرف من أين أتى .
(٢) كراع الغميم : موضع على ثلاثة أميال من « عسفان » .
(٣) السالفة : صفحة العنق ، وانفرادها كناية عن القتل .
(٤) القصواء : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) الصوى : جمع « صوة » ، وهى حجر يكون علامة فى الطريق .

هذه الساعة وقريش لا تعلم من أمرى شيئا ، ولكنى سمعت تولا خشيت عليك من عاقبته ، ورأيت شرا وددت عنك دفعه ، لقد غدوت بالأمس كدابى على قريش فى متحدثهم ، فوجدتهم جلوسا يخوضون فى حديثك ، ويعيدون ، حديث كله غيظ ، وسخط ، وكله حنق ، وحقد ، وان أنوفهم لترقع(١) ، وان قلوبهم لتكاد تتمزع أن علموا انك مقبل وصحبك الى مكة تطأ حصاها ، وتجوز حماها .

حديث « كله غيظ وسخط » :

وانتهى بهم الحديث أن أخذوا للحرب عدتهم ، وشدوا أوتارهم ، وراشوا سهامهم ، واقسموا جهد أيمانهم الا تدخل عليهم مكة أبدا ، ثم اشهدوا على أنفسهم اللات والعزى ، وهبلهم الأعلى ، وقد خشيت أن تؤخذ منهم على غرة ، أو ينالوك على غفلة ، فخذ لنفسك ، ولقومك ما تريد .

أخذوا للحرب عدتهم :

خشيت أن تؤخذ منهم على غرة :

قال الرسول : اننا يا بديل ما جئنا نتحرف(٢) لقتال ، أو نقصد الى حرب ، ولكنا جئنا للبيت زائرين ، ولحرماته معظمين .

اننا ما جئنا نتحرف لقتال :

وهأنت ترى السيوف فى أغمادها ، والبدن مشعرة ، والقوم معتمرين ، ان شئت يا بديل فاحمل اليهم نبأنا ، وافصح لهم عن وجوه مقاصدنا ،لعل الله يحقن بك الدماء ،ويذيب ضغائن الصدور.

ان شئت فاحمل اليهم نبأنا :

ثم عاد بديل الى مكة ، والقوم يخوضون فى حديث محمد : لقد أقسموا أن يمنعوا محمدا ، وودوا لو كفوا الحرب والكفاح ، ولما رأوا بديلا ، وعلموا أنه جاء من عند محمد هرعوا اليه ،قائلين : « ألم يكف محمدا ما كان من قتل صناديدنا ، وان ذكرياتهم لأمامنا ، ويريد أن يغزونا فى دارنا ، وينال من عزتنا ! فما عندك ؟ » قال بديل : لقد جئت محمدا واستنبأته عن رأيه ، وتحدث الى عن عزمه ، ونيته ، انه لا يريد بكم حربا ، ولا يبغى عليكم عدوانا ، وانما جاء معتمرا ، وللبيت طائفا ومعظما ، ولقد أمضى الى برأى ارتاح اليه طبعى ، ووافق هوى عندى ، وفيه — لوحفظتموه — صلاح ذات البين ، واطفاء لوقدة الأحقاد ، وسل لسخائم النفوس : أن تخلوا طريقه للبيت يطوف ، ويعود ، ثم تهادنوه ويهادنكم ، وتتركوا شأنه مع العرب ، يظهر عليهم ، أو يظهرون عليه ، وأنتم بعد ذلك بالخيار ، تدخلون فيما يدخل فيه الناس ، أو تكونون بنجوة عن قتاله ، وعافية من معاداته ، وانى لكم فيما اقول مخلص السريرة ، أمين المغيب .

عاد « بديل » الى مكة :

هرعوا الى«بديل» :

ألم يكف « محمدا » ما كان من قتل صناديدنا ؟ :

بديل يتحدث :

انما جاء معتمرا وللبيت طائفا :

ثم تهادنوه ويهادنكم:

وانى لكم فيما اقول مخلص السريرة :

فقالوا : هذا الرأى فائل ، ومذهب خادع ، فاسد ، أن بديلا يريد أن يوطئنا(٣) العشوة ، ويشبه علينا وجوه الرشد ، ويلبس صور

هذا رأى فائل :

أن بديلا يريد أن يوطئنا العشوة :

(١) توقع : تتحرك من الغضب .
(٢) نتحرف : المراد : نستعد .
(٣) أوطأ العشوة : حمله على أمر غير رشيد .

السداد ، تنصحنا يا بديل أن نغمد سيوفنا ، ونطأطىء رءوسنا ، وندع السبيل الى محمد يدخل مكة ونحن صاغرون ، أذلة !

ان فى نصحك لريق الحية :

أن فى نصحك لريق الحية ، وسم الأساود ، الست من خزاعة، وشأنك مع محمد اليوم معروف ، وشأن آبائك مع آبائه مشهور .

ليخرس لسانك :

ليخرس لسانك ، واياك أن تخوض بعدها فى هذا الحديث » .

قال بديل : « شأنكم وما تفعلون ، وغدا تعلمون » .

أبو سفيان :

قال أبو سفيان : « هذا الحليس بن علقمة ، سيد الأحابيش(١) حاضر جمعنا ، وهو حليفنا ، وعليه حق جوارنا ، وفوق ذلك فان له رأيا يمزق ظلمات الاشكال ، ويطبق مفاصل الصواب ، ليذهب الى محمد رسولا أمينا ، ومبلغا كريما ، لعله يصده عن عزمه ، ويحوله عن قصده ، ولننظر بعد ذلك ما يكون .

يطبق مفاصل الصواب :

رأى رسول الله « الحليس » :

ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه :

ورأى رسول الله الحليس مقبلا من بعيد ، فقال : هذا الحليس مقبلا ، يظهر أن قريشا قد أرسلته سفيرا ، وهو من قوم يتألهون(٢)، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه .

بئس والله ماطاش سهمكم :

يمنع عن البيت «ابن عبد المطلب » :

ان القوم اتوا معتمرين :

وقد راع الحليس الابل قد اكلت أوبارها من طول ما حبست فعاد الى قريش مغيظا ، يقول : « أيها القوم ، بئس والله ماطاش سهمكم ، وفال رأيكم ، أتصدون عن البيت قوما أتوا معتمرين ، وله معظمين ؟ أتحج الى البيت جذام ، وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب ، وله فيكم شرف ينطح النجوم ، ولأجداده عز يعلو أجنحة النسور! هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم أتوا معتمرين، والله ما على البغى عاهدناكم ، ولا على العدوان حالفناكم ، لئن صددتم محمدا عن البيت لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد .

مهلا يا ابن علقمة :

قالوا مهلا يا ابن علقمة ، وأنظرنا نصنع لأمرنا ، ووجم القوم، وحاروا ، وأداروا حديثا حزينا ، مرا .

« محمد » واقف على ثنيات « مكة » ويوشك أن يدخلها :

ذلك محمد واقف على ثنيات(٣) مكة ، ويوشك أن يدخلها ، حقا لقد تعاهدنا على الحرب ، وشحذنا عزائمنا للدفاع ، ولكن ما غناء الحرب ؟ وما فائدة الدفاع ؟

وجدنا فيهم صبرا على القتال :

ان محمدا يقدم علينا اليوم فى قوم حاربناهم ، واشتبكت القنا فيما بيننا وبينهم ، فوجدنا فيهم صبرا على القتال ، وجلدا على الاستبسال ، ما فيهم الا ابن كريهة(٤) ، ومانع حريم ، لقد اخترقت المنية أبطالنا ، وطوحت الحرب بفتياننا .

---

(١) الأحابيش : أحابيش « قريش » تحالفوا بالله انهم ليد « على غيرهم ماسجاليل » ، ووضح نهار ومارسا « حبشى » ــ و « حبشى » بالضم : جبل بأسفل مكة » .

(٢) يتألهون : يتعبدون ، ويتنسلون .

(٣) الثنيات : جمع ثنية وهى الطريق ، أو الجبل .

(٤) الكريهة : الحرب .

لقد لقيناهم يوم « بدر » :

يوم « الخندق » :

ولقد لقيناهم يوم بدر فكان يوما منحوسا ، أغبر ، وحسبنا أننا هزمناهم يوم أحد ، وخضدنا منهم الشوكة ، ولكن ما أسرع ماالندملت القروح ، والتأمت الصفوف ، وعادوا يوم الخندق أشد ما يكونون منعة ، وأعظم ما أوتوا نصرا !

يعودون اليوم طالبين :

مسبة نخدش بها وجوه أحسابنا :

أمر لا ندرى أشر آخره أم أوله ؟ :

وهاهم أولاء يعودون اليوم طالبين بعد أن كانوا مطلوبين ، ومهاجمين بعد ان كانوا مدافعين ، اننا لو دافعناهم فأكبر الظن أن الدائرة علينا ، والهزيمة تأخذ سبيلها الينا ، وان خليناهم يدخلون البيت فانما هو عار نعصب به رءوسنا ، ومسبة نخدش بها وجوه أحسابنا ، لا يكون لنا شأن بعدها ، انه لرأى مضطرب ، وحيرة جائلة ، وأمر لا ندرى أشر آخره أم أوله ؟

لقد علمتمونى من أشرف العرب نسبا :

قد استبطنت سوادكم :

استنفرت لكم أهل « عكاظ » :

دعونى أذهب سفيرا عنكم :

وارجو أن أكون موفقا مجدودا :

أراد نعيم بن مسعود — وقد لمس حيرتهم ، واضطرابهم — أن يدلى برأى ، فقال : أى قريش ، لقد علمتمونى من أشرف العرب نسبا ، وابعدهم محتداً ، واكرمهم أرومة ، ونجارا ، ولى فى ثقيف رياسة ، وفى الطائف مال ، ثم انى — وان كنت بعيدا فى الوطن عنكم — من صميمكم وأجرى على عروق فى أنسابكم ، وقد استبطنت سوادكم ، وتعرفت دخائلكم ، وفطنت الى أموركم ، ولقد جربتمونى من قبل فما اتهمتمونى فى نصيحة ولا تعلقتم على بكذبة ، وتذكرون أنى استنفرت لكم أهل عكاظ من قبل ، فلما بلحوا(١) على جئتكم بأهلى وولدى ، ومن أطاعنى ، وان لى عليكم مشورة ، ورأيا ، وعندى لكم نصحا ، وبيانا ، دعونى أذهب اليه سفيرا عنكم ، ورسولا منكم ، أنافثه(٢) ، وأناقله ، وأجادله ، وأصاوله ، فان جئت اليكم من عنده بخطة فاقبلوا ، واعلموا أنى سأرمى عن قوسكم ، وأصدر عن رأيكم ، وأرجو أن اكون موفقا مجدودا .

اذهب حافظا للأمانة :

فقالوا : اننا يا أخا ثقيف ، ما اغتمرنا فيك رأيا ، ولا عهدنا عليك كذبا ، فاذهب حافظا للأمانة ، مفوضا فيما ترى .

جمع نفسه :

ما هذا الذى جمعت اليه جمعك ؟ :

انها والله لقريش :

ولما رأى نعيم بن مسعود ان المسلمين قد حاطوا الرسول بسياج من نفوسهم ، وملكوه عرش قلوبهم ، وقد وقرت مهابته ، وارتفعت مكانته فى الصدور والعيون تردد فى رسالته ، ثم جمع نفسه ، وشق الصفوف حتى وصل الى الرسول ثم قال : يا محمد ما هذا الذى جمعت اليه جمعك ، وحشدت اليه جندك ؟ أراك قد جمعت أوشاب (٣) الناس ، وزمر القبائل ، ثم غدوت بهم على قومك من قريش ، تحاول أن تذلهم ، وتنتهك حرمتهم ، انها والله لقريش ، قد علم الناس صدقها عند اللقاء ، وصبرها على اللأواء(٤) ،

---

(١) بلحوا : أبوا .
(٢) المنافثة : المقاتلة ، والمناقشة .
(٣) أوشاب الناس : أخلاطهم .
(٤) اللأواء : الشدة ، والمحنة .

وكفاحها فى البأساء ، هم مساعر(١) حرب ، واحتلاس(٢) خيول ، ولقد ترامى اليهم انك جئت غازيا ديارهم ، قاصدا الكيد بهم ، وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا وبقيت وحدك ، فلا أنت تحوطت لنفسك ، ولا احتفظت بقومك ، فتدبر أى شر أنت قادم عليه ، وأى أمر أنت متصد له .

لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا :

قال الرسول : « لقد تحدثت الى بديل ، وتحدثت الى الحليس : انى ما جئت أبغى حربا ،أو أريد قتالا ، وانما جئنا معتمرين ،وللبيت الحرام طايفين ، ومعظمين ، فان شاءوا خلوا لنا الطريق ، والا فان لنا معهم شأنا نترقب فيه أمر الله » .

لقد تحدثت الى « بديل » وتحدثت الى « الحليس » :

ثم عاد ابن مسعود الى قريش ، فقال لهم : « اسمعوا يا قوم لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر فى ملكه ، وعلى كسرى فى عزه ، وعلى النجاشى فى عرشه ، فوالله ما رأيت رجلا يعظمه قومه كما يعظم محمدا قومه .

عاد «ابن مسعود» الى « قريش » :

وقد ألقوا اليه بمقاليدهم ، وأمكنوه من قيادهم ، وانهم لايرجعون له قولا ، ولا يردون عليه رأيا ، فرووا رأيكم ، واقتدحوا زناد عقولكم ، والأمر نهايته بين أيديكم » .

ألقوا اليه بمقاليدهم :

فقالوا — وقد أدركتهم الحمية : ان قريشا جسر لا يعبر ، وكنف لا يوطأ ، وعقبة لا ترتقى ، ودون ما يبغى محمد شيب الغراب ومخ النعام .

ان « قريشا » جسر لا يعبر :

الصلح

قالت قريش : يظهر أن محمدا صادق العزم ، ماضى العزيمة ، وهؤلاء السفراء لم يستطيعوا أن يميلوه عن قصده ، أو يصرفوه عن عزمه ، أو يخذلوه فى رأيه ، فقم يا بن مكرز بما عهدناه فيك : من شجاعة ، وحزم ، وما بلوناه فيك من قوة ، وبأس ، واختر لنفسك نفرا ممن تراه ثبت الجنان ، صادق اللقاء ، رابط الجأش ، وطف بعسكر محمد ، فلعلك تكسر سهامهم ، وتلقى الرعب فى صدورهم ، فينكثوا ماأمروا(٣) ، وينقضوا ما غزلوا .

« محمد » صادق العزم :

ابن مكرز :

طف بعسكر محمد:

فلما جن الليل طاف حفص بن مكرز بعسكر المسلمين ، فذعر فجأة ، ثم قال لمن معه : « قفوا يا رفاق ، من هذا الذى يخفر أصحاب محمد ؟ تبينوه معى ، كأنى به محمد بن مسلمة ، انه هو ، أعرفه والله بقامته ، وسمته ، وبشيته وعلاماته ، وبحذره ، ويقظته ، احذروه ، فوالله ما هو الا ليث غاب ، ومسعر حروب ،

جن الليل :

قفوا يا رفاق :

احذروه :

فوالله ما هو الا ليث غاب :

---

(١) مساعر : جمع مسعر ، وهو موقد النار .

(٢) أحلاس الخيول : الملازمون لها ، والحلس : كساء رقيق تحت «السرج».

(٣) أمر الحبل : شد فتله .

انه لكالذئب ينام باحدى مقلتيه ، وكالأسد الخادر(١) ، اذا كشر عن نابه فان فتكه لا يصد ، وعزمه لا يرد ، فلما عرفوه مشت الرعدة فى مفاصلهم ، وارهف ابن مسلمة أذنه ، فسمع همس كلام، ووقع أقدام : ترى من هؤلاء ؟ انهم قريش ، أبدأوا العدوان ، يريدون حربا ، أيها القوم ، سلوا السيوف من أغمادها ، وابعثوا العزائم من رقادها ، فهذه قريش قد برزت بطلائعها .

مشت الرعدة فى مفاصلهم :

سلو السيوف من أغمادها :

القوم يقعون أسرى:

وبعد نزال ساعة أسرهم المسلمون .

أمر الرسول باطلاق سراحهم :

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاق سراحهم ، وفك أصفادهم ، وتركهم ليرجعوا الى أوطانهم ، وأن يذهب خراش بعد فى أثرهم ، ليتعرف ما بنفس قريش بعد اطلاق اسراهم ، والتجاوز عن مساءتهم .

خراش :

مازالت على مكرها :

ذهب خراش ، وعاد ، فقال : يا رسول الله ، ان قريشا مازالت على مكرها ، وحنقها ، ومازالت الحفيظة تملأ قلوب عامتها ؛ انهم أذلوا وفادتى ، وعقروا ناقتى ، ولولا اجابيش لأطلوا(٢)دمى .

سنصابر القوم بالحلم :

فأطرق الرسول ثم قال : « سنصابر القوم بالحلم ، ونعالجهم بالصفح ، فلعلنا بهذا نستل سخائم(٣) صدورهم ، وننزع الغل من قلوبهم ، وربما كان قد هان عليهم أمر خراش واستخفوا بالسفير من خزاعة .

ان فيك رأيا وعقلا:

فقم يا ابن الخطاب ، فان فيك رأيا ، وعقلا ، ولك فى قريش منزلة ، ومقاما ، اذهب اليهم ، وناضل عن قصدنا ، واشرح ما غم عليهم من أمرنا ، وما لبس من مسألتنا .

سمعا لقولك ، وطاعة لأمرك :

قال عمر : « أى رسول الله ، سمعا لقولك وطاعة لأمرك ، ولكنى أخاف هؤلاء القوم على نفسى ، ولا آمنهم على حياتى ، وليس فيهم الا من يضمر لى حسيكة(٤) ، أو يخفى ضغنا ، وغلا ، وقد نزح عن مكة من كان يشد ظهرى من بنى عدى(٥) ، فليس من يحمينى ، أو يدفع الشر عنى ، ولكن هذا عثمان بن عفان لايزال له فى مكة من أمية رحم ، ولا يعدم أن يصادف عندهم حاميا ، فهناك معاوية وأبو سفيان ، وهناك عقبة وأبان (٦)،وحسبه منهم حماة .

قد نزح من« مكة » من كان يشد ظهرى: هذ « عثمان بن عفان » لايزال له فى « مكة » من « أمية » رحم :

---

(١) الخادر : المستكن .
(٢) أطلوا دمى : سفكوا دمى .
(٣) سخائم ، جمع سخيمة ، وهى الضغينة .
(٤) الحسيكة : الحقد ، والعداوة .
(٥) بنو عدى : قوم عمر .
(٦) أبان : هو أبان بن سعيد بن العاص .

عثمان بن عفان يذهب الى مكة سفيرا

قرع « عثمان »باب « أبان بن سعيد»:

ذهب عثمان بن عفان الى مكة ، وقرع باب أبان بن سعيد ، فخرج ، فقال : مرحبا بك يا ابن عمى ، كيف جئت فى هذه الساعة، وخلفت صاحبك محمدا ؟ قال : لقد قدمت سفيرا عنه ، ورسولا من عنده الى قريش ، أبين لهم ما خفى عليهم من أمره ، وأكشف القناع عن قصده ، فلعل الأفهام تتقارب ، والأرواح تتعارف ، ولكنى أخاف على نفسى الايذاء ، وأتوقع من قريش المكروه ، فاقبلنى فى جوارك ، وأدخلنى فى حماك ، بما بيننا من عصب مشتبك ، ورحم ماسة » .

لقد قدمت سفيرا عنه :

لعل الأفهام تتقارب :

فاقبلنى فى جوارك:

غدا به « أبان على رؤساء قريش » :

فغدا به أبان على رؤساء قريش ، وقال هذا ابن عمى عثمان ابن عفان ورسول محمد ، وهو فى جوارى وحماى ، فقبلوا جواره على كره ، ثم قالوا : أما أن يدخل محمد ويطوف بالبيت فدون ذلك عزة تملأ نفوسنا ، ونخوة تدوى فى جوانحنا ، ولكنك ان أردت أنت الطواف فدونك وما تريد » .

قبلوا جواره على كره :

أقسم « عثمان » الا يطوف ما دام « محمد »ممنوعا :

فأقسم عثمان ألا يطوف ما دام محمد ممنوعا .

أن يوم الفتح قريب:

وهمس فى آذان المستضعفين من المسلمين الذين منعوا الهجرة : « ان يوم الفتح قريب ، وساعة الخلاص آتية ، وبلغ ذلك قريشا ، فحبسوا عثمان ، واستطار خبر قتل عثمان فى المسلمين ، فذهلوا ، ثم سخطوا ، وثاروا ، واستعدوا للقتال .

استطار خبر قتل « عثمان » :

مناجزة القوم الحرب :

واعلن الرسول للمسلمين — وكادت تقطع أمام عينيه خيوط الرجاء — أن لابراح من مكانه حتى يناجز القوم الحرب ، فجاءه أبو سنان الأسدى ، وقال : أمدد يدك أبايعك يا رسول الله،قال: علام تبايعنى يا أبا سنان ؟ قال : على ما فى نفسك يا رسول الله : من تفدية للنفس ، وبذل للروح ، وما شئت من صبر ، واستبسال، وجلاد ، وكفاح ... »

« أبو سنان » الأسدى :

البيعة :

تابع المسلمون « أبا سنان » :

وتابع المسلمون — أبا سنان — وعلم الله ما فى قلوبهم ، فرضى عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، ووعدهم فتحا قريبا .

سهيل بن عمرو :

« قريش »قد ندموا على ما وقع بأيدى أشرارهم :

وبينما المسلمون قد شهروا سيوفهم للقتال اذ رأوا سهيل ابن عمرو فجلس الى الرسول ، وقال يا محمد ، انه قد بلغنا خبر البيعة ، جملتها ، وتفاريقها ، وان قريشا قد استوبلوا(1) عاقبة أمرهم ، وندموا على ما وقع بأيدى أشرارهم ، وعثمان لم يقتل ، ولكنه حبس ، وما حبس الا عن حلم طائش ، ورأى فائل .

« عثمان »لم يقتل، ولكنه حبس :

(1) استوبل الشيء : لم يوافقه .

رسول موادعة :

وقد جئت رسولا من قريش ، رسول موادعة ، وسلام ، وصلح ، ووئام ، علنا نضيق مسافة الخلف ، ونسكن فورة النفوس ، وعثمان بعد ذلك بين يديك .

هدف رسول الله السلام :

وهدف رسول الله السلام ، وتجنب ما يريق الدماء ، وقد أرسل لقريش بديلا ، وخراشا وعثمان يبغى هذا الصلح ، وحدث نعيما بما لا يدع مجالا للشك .

« قريش » قد ثابت الى رشدها : سهيل :

وهذه قريش قد ثابت الى رشدها ، ومدت يدها للصلح . وهذا سهيل رسولها يمكث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجاذبان الحديث ، ثم يطلعان على المسلمين بما اتفقا عليه :

يرجع المسلمون بغير عمرة هذا العام :

١ — أن يرجع المسلمون بغير عمرة هذا العام ، فاذا كان العام المقبل جاء النبى وأصحابه الى مكة — وقد خلتها قريش — فيقيمون فيها ثلاثا يعتمرون ، وليس معهم من السلاح الا السيوف فى القرب(١) .

٢ — وأن تضع الحرب بين الفريقين أوزارها عشر سنين .

أن تضع الحرب أوزارها :

٣ — ومن جاء الى المسلمين من قريش يرد عليهم ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون رده .

٤ — ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد محمد دخل فيه .

حصرت بهذا العهد صدور المسلمين :

فحصرت (٢) بهذا العهد صدور المسلمين .

وغضب « عمر » غضبا شديدا :

أما عمر فقد غضب غضبا شديدا ، وأخذ منه الغيظ مأخذه .

« عمر »و«أبوبكر»

الزم غرزه :

ما شككت الا الساعة :

ثم وقف على أبى بكر ، وقال : نشدتك الله يا أبا بكر : أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى. قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال أبو بكر يا عمر الزم غرزه(٣) ، فانى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ولكنى أشهدك أيضا: انى منذ الساعة التى رأيتنى فيها مسلما بدار الأرقم ما شككت الا الساعة ، ولا اضطربت فى قلبى العقيدة الا الآن ، وقد تخالجنى الريب ، وأخذت تدب فى صدرى عقارب الظنون .

أن تبسط خوالج نفسك بين يدى رسول الله :

قال أبو بكر لا دواء لما قام بنفسك ، ولا مهدىء لسورة غضبك الا أن تبسط خوالج نفسك بين يدى رسول الله ، فدونك هو ، كلمه وما بينك وبينه حجاب .

---

(١) القرب : جمع قراب .
(٢) حصرت صدورهم : ضاقت .
(٣) الزم غرزه : الزم أمره ، ونهيه .

اتسم « عمر » بسلامة الفطرة :

وقد اتسم عمر بسلامة فطرته ، وطهارة سريرته ، ونقاء ضميره ، يجهر بما يعتقده ، ويعلن ما يراه ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، وان خالف — فيما يظنه الحق — رسول الله .

بهذه النفس الكريمة حادث رسول الله :

وبهذه النفس الكريمة ، وهذا الايمان الصادق حادث رسول الله ، فقال : ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : « فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ » قال رسول الله : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ، قال عمر : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه هذا العالم ؟

أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره :

فانك آتيه ومطوف به :

قال : لا ، قال : فانك آتيه ، ومطوف به ، فوجدت هذه الكلمات سبيلها الى ثائرة عمر فسكنتها ، والى ما فى نفسه من ريب فمحتها .

دعا رسول الله « عليا » ليكتب العهد :

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا : ليكتب العهد فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : ليكتب باسمك اللهم فرفع على القلم يستوحى عبارة العهد من رسول الله ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله — سهيل بن عمرو — فأمسك سهيل بقلم على ، وقال : لا تفعل ثم التفت الى رسول الله وقال : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك .

سهيل بن عمرو :

لو شهدت أنك رسول الله ماقاتلتك :

يكف بعضهم عن بعض :

فقال رسول الله : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله — سهيل بن عمرو ، اصطلحنا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

بيننا عيبة مكفوفة:

وأنه بيننا عيبة(١) مكفوفة ، وأنه لا اسلال(٢) ، ولا اغلال (٣) ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى قريش وعهدهم دخل فيه .

« محمد » لايدخل « مكة » عامه هذا :

وان محمدا يرجع عامه هذا ، فلا يدخل مكة ، فاذا كان عام قابل خرجت منها قريش ، ودخلها بأصحابه ، فأقام بها ثلاثا ، سلاح الراكب السيوف فى القرب .

شهد على الكتاب رجال من الفريقين:

وفرغ على من الكتاب ، وشهد عليه رجال من الفريقين .

---

(١) عيبة مكفوفة : صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة .
(٢) الاسلال : السرقة .
(٣) الاغلال : الخيانة .

وقرأه المسلمون وكأنما دفعوا به الى أمر عظيم ليس لأحد منهم فيه يدان .

أبوجندل بن سهيل:

وبينما هم فى هذه الحيرة اذ رأوا أبا جندل بن سهيل يرسف فى الحديد صارخا ، مستجيرا برسول الله ، وقال : يا رسول الله : « لقد وصلت الا دعوتك فأسلمت ، وبلغنى قرآنك فآمنت ، ولكن ما عرفت قريش » أنى صبأت عن دينهم ، ومرقت عن آلهتهم حتى أوسعونى كيدا ، وتعذيبا ، وزادونى رهقا ، وتنكيلا ، وكم حاولت أن أهاجر اليك فسدوا فى وجهى المسالك ، وكم حاولت أن أرحل عن مكتهم فحالوا بينى وبين ما أريد حتى خفت أن أفتن فى دينى ، وأوذى فى نفسى ، وأنت ترانى الآن مقيدا ، مغلولا ، فخذنى اليك مهاجرا ، مسلما ، مجاهدا فى سبيل الله ، مقاتلا » .

بلغنى قرآنك فآمنت :

زادونى رهقا وتنكيلا :

خفت أن أفتن فى دينى :

« سهيل » وابنه :

ورأى سهيل ابنه ، وسمع قوله ، فسهم ، ووجم ولكنه قال : يا محمد ، لقد انتهينا من العقد قبل أن يأتيك هذا .

واذا فليس هناك ما يحول دون أن أرده الى مكة راضيا ، أو ساخطا ، طائعا ، أو مكرها » .

صدقت ولك ما تريد :

قال رسول الله : صدقت ولك ما تريد ، ودفع سهيل ابنه الى مكة فأخذ يصيح : « يا معشر المسلمين ، أأرد الى المشركين يفتنوننى فى دينى » ، فلمست صيحته أعماق القلوب ، وماذا يفعل المسلمون أمام قضاء الله ، ورسول الله انما يصدر عن أمر الله وقد طمأن الرسول أبا جندل ، وقال يا أبا جندل ، اصبر ، واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، انا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم ، وأعطونا عهدا أنا لا نغدر بهم .

رسول الله انما يصدر عن أمر الله: طمأن رسول الله « أبا جندل » :

المنادى ينادى فى أحياء « مكة » :

ثم نادى مناد فى أحياء مكة : من أراد أن يدخل فى عهد أحد الفريقين فليدخل ، فتواثبت بكر ، ودخلت فى عهد قريش ، وتواثبت خزاعة ، ودخلت فى عهد المسلمين .

نادى المنادى عن رسول الله :

ثم نادى المنادى عن رسول الله : « لقد قضى الأمر ، وعقد العهد ، فتحالوا من احرامكم ، وانحروا بدنكم ، واحلقوا ، أو قصروا شعوركم ، ثم شدوا ابلكم للرحيل » .

الناس حائرة قلوبهم : ام مسلمة :

والناس حائرة قلوبهم ، مضطربة نفوسهم ، زائغة عيونهم ، فلم يجيبوا ، ودعا الثالثة فلم يلبوا ، فكبر ذلك على الرسول ، ودخل على أم مسلمة مطرقا ، مهتما ! قالت : ما خطبك يا رسول الله ؟ قال : « هلك القوم ، دعوتهم للاحلال ، والحلق ، والنحر فلم يجيبوا » ، قالت : « يا رسول الله : « ان لهم فيك لأسوة حسنة ، وقدوة كريمة ، فاخرج اليهم ، وانحر ، واحلق ، وما أظن الا أنهم سيسيرون فى نهجك ، ويقلدونك فى فعلك » .

ان لهم فيك لأسوة حسنة :

خرج رسول الله الى الناس :

خرج رسول الله الى الناس يقول : « أما ما أهمكم من العهد فان من ذهب اليهم منا فلا حاجة لنا به ، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجا ، وأما البيت فانكم ان شــاء الله مطوفون به فى قابل » .

وما فعلت عن أمرى :

وما فعلت ما فعلت عن أمرى ، وانما عن أمر الله ، وهــو نصيرى ، ولن يضيعنى » .

لانت عريكة القوم وطابت نفوسهم : ورجعــوا الى المدينــة :

ثم دعا الحلاق فحلق ، وعمد الى البدن فنحر ، وتحلل من الاعتمار فلانت عريكة القوم ، وطابت نفوسهم ، واقبلوا محلقين ، ومقصرين ، ثم نحروا البدن وتحللوا من الاحرام ، ورجعوا الى المدينة لم يمسسهم سوء ، عطاشا الى البيت ، والى مكةمنتظرين قضاء الله .

نقض العهــد

وعد الرسول : وما ينطــق عــن الهــوى :

وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم — ان شاء الله — مطوفون فى قابل ، وما ينطق عن الهوى ، وقد كانوا قبل اليوم أعز شأنا ، وأقوى سلطانا ، ولقد نسوا أبا جندل ، أو كادوا ، ولكن

حادث جديد :

حادثا جديدا جدد الأسى ، وأعاد الهم .

أبو بصير :

هذا أبو بصير واجف الفؤاد ، مضطربا ، للقيد والغل فى رجليه ويديه آثار تبعث الآلام ، قال — وقد اطمأنت نفسه وسكنت : لقد هاجر محمد من مكة ، وما كان أبغض الى من دعوته ، ولا أثقل على نفسى من رسالته ، وكنت أحسبه خارجا عن قومه ، متجنيا على عشيرته ، حتى أتيح لى مرة فى احدى سبحاتى بالليل ان سمعت رجلا يتلو شيئا من الكتاب الذى جاء به ، فوجدت فى طبعى له ارتياحا ، وله فى نفسى قبولا ، فأسلمت ، وأزمعت الهجرة اليه ، ولكنى ما جهرت باعلان ما اعتقدت ، وما عرفوا ما اعتزمت حتى وضعوا فى رجلى القيود ، وصفدونى تحت أعين الرقبــاء ، ولقيت من صنوف البلاء والأذى ما ينوء به كاهل الشجاع ، ولكننى فى ساعة ، من غفلتهم ، واشتغالهم بشئونهم حطمت قيدى،وفككت أسرى ، وفررت بنفسى ودينى ، لأشرككم فى الخطــوة ، ولأكون معكم فى الجهاد .

ما كان أبغض الى من دعوته ! :

وجدت فى طبعى له ارتياحا :

وضــعوا فى رجلى القيود :

فــررت بنفســى ودينى :

وجــد اثنــين من « قريش » يذكرانه بالعهــد :

ثم سار يريد الرسول ، وقبل أن يحدثه وجد اثنين من قريش أديه ، يذكرانه بالعهد .

قال أحدهما : يا محمد ، ما عرفناك غادرا ، صغيرا ، فكيف بك كبيرا .

قد أبق عن ديننا :

أوفدتنا «قريش» :

هذا أبو بصير قد أبق(١) عن ديننا ، وانسلخ عن جمعنا ، وجاءك فارا ، مسلما ، وقد عاهدناك أن ترد من جاءك منا مسلما ، وتدفع الينا من التجأ فارا . وقد أوفدتنا قريش ؟ لنرى مقدار قيامك على العهد ، ورعايتك للميثاق .

دونكما الرجل فخذاه :

قال رسول الله : ما نقضت العهد ، ولا حنثت فى اليمين ، ودونكما الرجل ، فخذاه ، ولعل الله يجعل له من أمره يسرا . وفى دينه مخرجا .

شيع المسلمون « أبا بصير » يغمرهم الأسى

شيع المسلمون — أبا بصير — يغمرهم الأسى ، وينال منهم الحزن العميق .

لقد قتلت احدهما . والجأت ثانيهما الى الفرار :

وبعد قليل عاد أبو بصير ، فسأله المسلمون عن غريميه ، فقال لقد قتلت أحدهما ، والجأت ثانيهما الى الفرار ، وقد وفيت بذمة الرسول ، وبررت بما قام به من عهد ، ولا على أن أقيم بينكم »

ويل أمه ، مسعر حرب :

ولكن لابقاء له فى « المدينة » :

فلما بلغ الرسول ما صنع أبو بصير قال : ويل أمه ، مسعرحرب لو كان معه رجال ، ولكن لابقاء له فى المدينة ، فأى ارض يذهب يجد مراغما (٢) ، وفى أى كان يصل يلق الله .

خرج « أبو بصير » مضطرب الفؤاد :

وخرج أبو بصير مضطرب الفؤاد حزينا،والم المسلمون الما شديدا.

« قرشى » جديد :

انه لأمين على العهد :

انا لنرجو لك فرجا قريبا :

ثم هبط على المسلمين فى المدينة — قرشي — جديد ، فظنوه مسلما مستجيرا ، وقال له أحدهم : أمسلما جئت ؟ انك لتعلم أن بينكم وبين الرسول — عهدا — الا يحمى مسلم — قرشيا — وأنه لأمين على العهد ، وان قريشا لتوشك أن ترسل فى أثرك ، فمن الخير أن تطلب حمى غير المدينة ، وانا لنرجو لك فرجا قريبا .

جئت « محمدا » فى أمر :

فضحك الرجل ثم قال : انكم حزرتم(٣) ، وتوهمتم فأخطأتم ، وما صدقتم ، لست مسلما ، ولا فارا ، وما اتخذت دينا غير دين قومى ، ولكنى جئت محمدا فى أمر .

ارسلتنى« قريش » فيما حزبها من أمر « أبى بصير » :

قتل غيلة وغدرا رجلا من خيار رجالنا :

لم تتسع لدينه جنبات « مكة » :

ثم دخل المسجد ، وتحدث الى الرسول قائلا : لقد أرسلتنى قريش ، فيما حزبها من امر ابى بصير ، وما يترصد لها من النكال ، لم يكفه أن قتل غيلة ، وغدرا رجلا من خير رجالنا ، وفتى من أشجع فرسانا ، حتى وثب الى سيف البحر ، فاتخذه مقرا يلجأ اليه كل هارب من قريش ، ويقيم عنده كل مسلم لم تتسع لدينه جنبات مكة ، وما كان يهمنا أمرهم ، أو نعبأ بجمعهم لولا أنهم اقاموا

---

(١) أبق : فر .
(٢) المراغم : المذهب ، والمهرب .
(٣) الحزر : التقدير .

علينا حربا ، وسلوا دوننا سيفا ، وهم لا يسمعون بقافلة منا تذهب الى الشام ، أو ترجع الى مكة حتى يناوئوها فى سيرها ، ويبدلوا أمنها خوفا ، ويوسعوا رجالها رعبا ، وفزعا ، ولسنا نرى — دفعا لشرهم ، أو ردا لجماعتهم — الا أن تعفينا من شرط أخذناه على أنفسنا ، وحسبناه خيرا لجماعتنا ، فاذا هو بلاء ، وشر ، واذا هو محنة ، وعناء ، فلتضم اليك من جاء منا مسلما ، أو خرج عنا فارا .

ويبدلوا أمنها خوفا :

أن تعفينا من شرط أخذناه على أنفسنا :

فلتضم اليك من جاء منا مسلما أو خرج عنا فارا :

فلما سمع المسلمون هذا العرض من قريش ارتاحت — هونا ما — نفوسهم .

ثم أن قريشا وفت بعهدها ، فأخلت مكة للمسلمين أيام الحج ، فدخلوها معتمرين ، وطافوا بالبيت ، ولكنها زورة خائف ، وطواف حذر ، والتجأ فريق منهم بعد صلاة العشاء الى سقيفة لهم يتحدثون ، حتى انتهوا الى ما كان بين خزاعة وبكر من عداء :

قريش أخلت «مكة» للمسلمين أيام الحج :

انتهوا الى ما كان بين خزاعة و «بكر» من عداء :

قال أحدهم : لقد حدثنى أبى فيما كان يحدثنا به فى ليالى سمره انه لم يكن بين خزاعة وبكر قديما الا صلات موثقة العرا ، وطالما تحالفوا على غيرهما ، وكانوا نصراء على من يعتدى على أحد منهما ، حتى خرج مالك بن عباد حليف بكر تاجرا فى أرض خزاعة فاعتدى عليه سقيط(١) فارداه قتيلا ، فاستطار شرر العداء ، ورنق صافى الود ، ويبس الثرى بينهما ، حتى ظهر محمد رسول الله بمكة فشغل به الناس .

طالما تحالفوا على غيرهما :

يبس الثرى بينهما :

ولما وقع صلح الحديبية ، ودخلت خزاعة فى عهد المسلمين ، و بكر فى عهد قريش عادت العداوة الى الظهور ، واتخذت سيرتها الأولى .

صلح الحديبية :

ثم هموا بالانصراف ، فسمعوا الكلب ينبح طارقا غريبا ، فذهب رجل ، وعاد ومعه « عمر بن سالم » الخزاعى .

« عمرو بن سالم » الخزاعى :

أخذ عمرو مجلسه ، ثم قال : ان ما جئت فيه الليلة ليس بعيدا عن هذه الحرب . وويلاتها ، وليس قصيا عن هذه العداوة ومايجرى فى سبيلها :

أخذ « عمرو » مجلسه :

لقد بدأ لنا فى العداوة خطب جديد ، واضافنا هم طريف ، أصابت بكر فينا غرة مصبح يوم عند الوتير(٢) ، فأسالت دما ، ومزقت أشلاء ، وهممنا أن نأخذ لثأرنا ، وننتقم لقتلانا . لولا أن قريشا نقضت العهد ورفدت بكرا بالسلاح ، وأمدتها بالرجال ، والكراع (٣) ، فكثر الجمع ، وغلب العدو ، واستمر فينا القتال .

بدا فى العداوة خطب جديد :

لولا أن « قريشا » نقضت العهد :

---

(١) السقيط : الأحمق .
(٢) الوتير : ما بين عرفة الى أدام .
(٣) الكراع : جماعة الخيل .

لقد التجأنا الى « الحرم » : دار « بديل » :

ولقد التجأنا الى الحرم نستجير بحرمه ، ونحتمي الى جواره، ولكنهم ماراعوا له مقاما ، ولا حفظوا فيه جوارا ، ولولا من التجأ الى دار بديل بن ورقاء لفنى من بمكة من خزاعة أجمعين .

ذاع النبأ أن « قريشا » نقضت العهد :

وذاع النبأ : أن قريشا نقضت العهد ، وأعانت بكرا على خزاعة ، ونصرت حليفا على حليف ، وهرع الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو جالس و عمرو بن سالم ينشد بين يديه بصوت متوجع :

عمرو بن سالم ينشد بين يدى الرسول :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا(١) ، وكنا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردوا	ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا	ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لى فى « كداء رصدا(٢)
وزعموا أن لست أدعوا أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير (٣) هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا .

ان قريشا أخلفوك الموعد :

وهم أذل وأقل عددا :

نصرت يا « عمرو ابن سالم » :

فقال الرسول : نصرت يا عمرو بن سالم ، ثم توجه الى الله قائلا : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى فى بلادها .

نصر مبين

أدركت « قريش » خطأها :

أدركت قريش خطأها ، وشعروا بسوء المصير ، وأخذوايقلبون الرأى ، ثم انتهوا الى أن يذهب أبو سفيان الى المدينة فيوثق العهد ، ويزيد فى المدة .

رأى حديث « بكر » و « خزاعة » قد اضطربت به الألسنة :

سافر أبو سفيان ، فرأى حديث بكر و خزاعة قد اضطربت به الألسنة ، فوجم ، وتوقع الخطب .

ترده رداغير كريم:

يذهب أبو سفيان الى بيت الرسول موزع الفؤاد ، ثم يتحدث الى بنته أم حبيبة(٤) ام المؤمنين ، فترده ردا غير كريم ، ثم يلتقى

---

(١) يشير الى أن « عبد مناف » أمه من خزاعة .
(٢) كداء : موضع بأعلى « مكة » .
(٣) الوتير : الموضع الذى وقع فيه غدر « قريش » بخزاعة .
(٤) أم حبيبة : اسمها « رملة » تزوجها رسول الله ، وقد زوجه اياها « خالد ابن سعيد بن العاص » وهما بأرض « الحبشة » وأصدقها « النجاشى » عن رسول الله « أربعمائة دينار » .

ما يصيب الا صدا وسخطا :

بعد برسول الله ، ثم بأبى بكر ثم بعمر ، فما يصيب الا صــدا ، وسخطا ، وامتعاضا ، فيعود الى مكة يائسا ، منذرا أهلها ماكشف عنه هذا اللقاء الساخط .

أمر رســـول الله بالتهيؤ :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتهيؤ ، وأعلن فيهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليشهد رمضان فى المدينة. التأم جيش المسلمين فى جمع لم يؤلف من قبل ، ورأى الرسول أن يضن المسلمون بأسرارهم ، فيصيبوا قريشا على غير استعداد ، فلا تثار حرب ، ولا تزهق روح ، ولا يسفك فى البلد الحرام دم .

رأى الرســـول أن يضـــن المســلمون بأسرارهم :

ســـــاروا ترفرف فوقهم العقاب :

ساروا ترفرف فوقهم العقاب(١) ، وتحرسهم رعاية الله ، ويطلع عليهم فى الطريق العباس بن عبد المطلب مهيبا ، جليلا ، فارعا ، بادنا فى نفر من الناس فيقول : يا رسول الله ، لقــد علمت أنى أسلمت من عهد ، ولكننى ما استطعت أن أجهــر بالايمـــان ، وما استطعت أن أصبر بعد ذلك على الكتمان ، وقد خرجت مهاجرا الى الله ، واليك بنفسى ، وهاهم أولاء زوجى وولدى » .

ما اســـتطعت أن أصبر بعد ذلك على الكتمان :

ليبارك لك الله فى الايمـــان :

قال رسول الله : مرحبا بك يا عم ، ليهنئك الاسلام ، وليبارك لك الله فى الايمان ، أرسل الى المدينة أهلك ، وولدك ، وارجـــع معنا الى مكة حتى تشهد ما يكون بيننا وبين قريش .

أبصر « العباس » جيش المسلمين :

وأبصر العباس جيش المسلمين ، فقال : وارحمة لقريش ! ان دخل هذا الجيش مكة عنوة فانه سوف لا يبقى فى قريش طفلا ، ولا كهلا ، ولا امرأة ، ولا رجلا ، وخرج الى الصحراء لعله يلقى أحدا فيحمله رسالته الى قريش أن يحضر كبراؤها ، ورؤساؤهـــا الى محمد يؤمنونه على نفوسهم ، ويعاهدونه على تســـليم حرمهم ، فيكون هذا أحقن لدمائهم وأبقى لحياتهم .

وخرج الى الصحراء لعله يلقى أحــدا فيحمله رسالة الى « قريش » :

رأى « أبا سفيان » :

ثم رأى أبا سفيان ، فقال عجبا ! أأنت أبو سفيان ! ماجاء بك فى هذا الظلام يا أبا حنظلة ؟ قال هم العشيرة ، وأفــداح القبيلة ، ورزء الزمان . . . لقد خرجت أتحسس خبر ابن أخيك . واتطلع طلع المسلمين ، وقد حزبت قريش الحرب ، وتوقعت الشر من يوم أن انتقض العهد ، وفجرنا فى اليمين .

لقد خرجت أتحسس خبر « ابن أخيك » :

ويحـــك يا « أبا سفيان » :

قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ان هذا محمدا رسول الله قريب منك ، فى جند كعديد الرمل ، ولئن ظفر بك لأختشـــين أن تضرب عنقك ، وشديد على أن أرى رأس قريش مجندلا ، وشيخها مقتولا ، اركب معى هذه البغلة ، لعلى آتى بك رسول الله أطلب لك الأمان ، واستوهب منه الحياة »

اركب معى :

---

(١) العقاب : اسم راية الرسول صلى الله عليه وسلم .

أبو سفيان رديف للعباس :

شاهد الناس أبا سفيان رديفا للعباس ، ورآه عمر بن الخطاب، فوثب على قدميه ، وقال : أبا سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ، ولا عهد .

انطلق يعدو الى رسول الله :

وانطلق يعدو الى رسول الله ، قال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه من غير عقد ، ولا عهد ، فدعنى أضرب عنقه ، ليخبوا ضرام غيظى ، وتهدأ ثائرة ضلوعى » .

انى قد أجرت أبا سفيان :

قال العباس : يا رسول الله ، انى قد أجرت أباسفيان . وأعطيته الأمان ، وهيهات للرسول الأمين ، الكريم ، الحليم أن يرد جوارى، ويرجعنى فى أمانى » .

ذاك يا رسول الله شيخ قريش :

قال عمر : ذاك يا رسول الله شيخ قريش يوم بدر ، ومحرضها يوم أحد ،وزعيمها يوم الأحزاب ، وقد أمكن الله منه بعد عهد نقضوه ، وحلف ضيعوه ، وان فى قتله لراحة للمسلمين ، وشفاء لما فى الصدور .

على رسلك يا عمر :

قال العباس : على رسلك يا عمر ، فوالله لو كان من قومك من بنى عدى ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف .

قال عمر : لقد جاوزت الحد يا عباس ، فوالله لساعة اسلامك يوم أسلمت أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى الا أن عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله من اسلام الخطاب لو أسلم .

هم العباس بالكلام :

وهم العباس بالكلام ، ولكن رسول الله حجز بينهما ، وفصل. كريما ، حكيما ، ثم قال : يا عباس ، اذهب به الى رحلك ،ودعه يقضى عندك هذا المساء ، ثم ائتنى به الغداة .

انطلق العباس بأبى سفيان :

فانطلق العباس بأبى سفيان ، راجيا أن يطمعه فى الاسلام ، ولما غدوا ذهبا حتى جلسا بين يدى الرسول ، فقال الرسول: ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك ، وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيئا .

ألم يأن لك أنتعلم أن لا اله الا الله؟

ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟

قال : ويحك يا أبا سفيان ! « ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله » ؟ قال : « بأبى أنت وأمى ، وما أحلمك ، وأوصلك ! أما هذه والله فان فى النفس حتى الآن منها شيئا ! » .

لقد وضح الصبح لذى عينين :

قال العباس : يا أبا سفيان ، لقد وضح الصبح لذى عينين ، فان كان على عينيك غمامة فارفعها ، وان كان على قلبك غشاوة

فمزقها ، وأسلم ، ابقاء على حياتك ، وحرصا على دنيـاك وآخرتك » .

اضطرب أبو سفيان :

اضطرب أبو سفيان ، وتردد ، ثم قال : « شهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » ، فسر بذلك الرسول والعباس، ثم أخذ العباس بيد أبى سفيان ، وعلمه الوضوء والصلاة وبصره بمبادىء الاسلام .

الوضوء والصلاة :

أبو سفيان رجل يحب الفخر :

أجعل لهشيئا يقضى به حاجة نفسه :

ثم رجع العباس الى الرسول يقول : « يا رسول الله ، ان أبا سفيان — كما أعلمه — رجل يحب الفخر »، وتميل به الخيلاء، وانه حتى هذه الساعة لا يزآل الاسلام غريبا فى قلبه ، والعقيدة غير مستقرة فى نفسه ، فاجعل له شيئا يقضى به حاجة نفسه من الزهو ، والمخيلة ، ويجعله فى الاسلام أثبت قدما ، وأكبر يقينا .

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، من دخل دار أبى سفيان من مكة فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » .

قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به :

لا تغرنكم هذه عن أنفسكم :

لقد جاءكم «محمد» بما لا قبل لكم به:

ويسمع أبو سفيان قول رسـول الله ، فيصيح فى عرصات مكة : « يا معشر قريش قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ، فقامت اليه زوجته هند وقالت: « اقتلوا الحميت(١) الدسم ، الأحمس(٢) ، قبحت من طايعةقوم!»، قال : « يا قوم ، لا تغرنكم عن أنفسكم ! وقد نصحتكم ، وما أردت الا حقن دمائكم ، وحفظ أرواحكم ، ولقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به » ، ففزع القوم وقالوا : « ويلك : وما تغنى عنا دارك ؟ »

قال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » ، « ومن دخل المسجد الحرام ، فهو آمن » .

فهرع الناس الى « المسجد » و « الدور » :

فهرع الناس الى المسجد والدور .

دخول رسول الله مكة

دخل الرسول « مكة » حانيا ظهره ، غاضا طرفه :

ودخل رسول الله مكة حانيا ظهره ، غاضا طرفه ، شكرا لله ، وحمدا ، لابسا عمامته السوداء ، معتجرا(٣) شقة برد حمراء ، لم يجد أمامه صادا ، ولا شاكيا ، وهو يتلو :

---

(١) الحميت : السمين .
(٢) الأحمس : من لا خير فيه .
(٣) الاعتجار : لف العمامة .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما(٢) وينصرك الله نصرا عزيزا(٣) هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما ٤ ، ليدخل المؤمنين ، والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ٥ ، ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء ، وغضب الله عليهم ، ولعنهم ، وأعد لهم جهنم ، وساءت مصيرا ٦ ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عزيزاً حكيما (٧) » .

ويهديك صراطا مستقيما : ويكفر عنهم سيئاتهم : عليهم دائرة السوء : ولله جنود السموات والأرض :

ثم طاف بالبيت ، واستلم الركن ، واجتمع الناس فى المسجد ، ينظرون ما يقول محمد ، وما يصنع .

طاف بالبيت ، واستلم الركن :

ووقف الرسول على شرف المسجد ، وقال :

وقف الرسول على شرف المسجد :

« يا معشر قريش ، ما تظنون انى فاعل بكم » ؟

ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ :

قالوا : « خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم » .

قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

اذهبوا فأنتم الطلقاء :

ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

يوم حنين

دريد بن الصمة :

ها هو ذا دريد بن الصمة الخبير بأساليب القتال ، شب فيها ، واكتهل ، فهو — وان تهدم اليوم ، وفنى ، وليس فيه لقومه من بنى جشم من عون ، ولا عليه من معقول — فيصل فى الأحكام ، ومرجع فى المشكلات .

بنو جشم : فيصل فى الأحكام :

قال لقومه — وقد حملوه فى هودجه — « بأى واد أنتم ؟ » قالوا له : نحن بأوطاس(١) قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ، ضرس(٢) ، ولا سهل دهس(٣) ، ولكن مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار(٤) الشاء ؟

نعم مجال الخيل :

---

(١) أوطاس : مكان .
(٢) ضرس : صعب .
(٣) دهس : سهل .
(٤) اليعار : الشديد من أصوات الشاء .

لقد ساق مالك بن عوف الناس للحرب:

قالوا : لقد ساق مالك بن عوف الناس للحرب ، وحشد وراءهم أموالهم ، ونساءهم ، وأبناءهم .

دلونى عليه :

قال دريد : دلونى عليه ، فوالله ما أراه الا دبرى(١) الرأى ، أفيل(٢) الفكرة ، أهكذا تكون الحرب ؟

أمسك غلامه بخطام جمله :

وأمسك غلامه بخطام جمله حتى وقف به على مالك .

قال دريد : يا مالك ، لقد أصبحت بعدى رئيس القوم ، وزعيم الجماعة ، فحدثنى عن هذا الحشد .

هؤلاء قومى وقومك:
لم يلقوفيها صادا :

قال مالك : هؤلاء قومي وقومك ، دفعت بهم الى لقاء محمد ، لقد علمت أنه قد دخل مكة فى جيش لم تر العرب مثله ، ولم يلق فيها صادا ، ولا رادا ، ولم يصادف عقبة ، ولا عثرة ، فذلت له قريش ، ولم تعد لهم بعد فى مكة كلمة ، وانه ليوشك — ان لم تغره — أن يغزونا ، وما يبعد — ان لم نستعد له — أن تذل له هوازن ، وتخضع نصر وجشم ، وتدين ثقيف ، ويصبح محمد ملك العرب جميعا .

لم تعد لهم بعد فى مكة كلمة :

يصبح « محمد » ملك العرب جميعا :

ولكننى — كما ترى — أعددت له قبل أن يعد لنا ، وأزمعت المسير اليه قبل أن يسير الينا .

دريد :
يعار الشاء :

قال دريد : هؤلاء الرجال ، وهؤلاء الفرسان ، ولكن ما هذا الذى أسمعه : من رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟

مالك :

قال مالك — وحسب أنه أصاب الرأى — لقد خشيت هزيمة القوم وهم قلة بجانب أصحاب محمد ، ولهذا سقت وراءهم أموالهم، وأبناءهم ، ونساءهم ، ليقاتلوا ، ولعلهم بهذا يكونون أصدق لقاء ، وأثبت أقداما .

لعلهم بهذا يكونون أصدق لقاء :

راعى ضأن والله:
ان كانت عليك فضحت أهلك ومالك :

فهز دريد رأسه ، وقال : راعى ضأن (٣) والله ، وهل يرد المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ، ورمحه ، وان كانت عليك فضحت أهلك ومالك .

ارفعهم الى متمنع بلادهم :

يا مالك أنك لم تصنع بتقديم البيضة : بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم الى متمنع بلادهم ، وعليا قومهم ، ثم الو الصباة(٤) على متون الخيل ، فان كانت لك لحق بك من وراءك .

---

(١) الرأى الدبرى : هو الذى يسنح بعد فوات الفرصة .
(٢) أفيل الفكرة : ضعيفها — وفى المحيط : مؤفل كمعظم .
(٣) راعى ضأن والله : قصد بذلك تجهيله .
(٤) الصباة : التاركون دينهم ، وبهذا كان الكفار يسمون المسلمين .

أحرزت أهلك ومالك : وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال مالك: يا دريد ، لقد كبرت فى السن ، وكبر علمك ، فدعها لمن يعرفها ، اترك من سيخوض غمارها : واترك من سيخوض غمارها ، ويدبر خطتها .

يا معشر هوازن : ثم عاد الى القوم ، وقال : يا معشر هوازن لتطيعننى ، أو لأتكأن على سيفى فيخرج من ظهرى .

عرفاء القوم : قال عرفاء القوم : دونك يا مالك وما تريد .

الرسول يتهيأ للعودة الى المدينة: وبينما الرسول يتهيأ للعودة الى المدينة اذا بالخبر يطير اليه : مالك بن عوف : أن مالك بن عوف يوشك أن يشتبك مع المؤمنين فى قتال ، ومعه هوازن وثقيف ونصر وجشم .

وجه الرسول دعوته الى المسلمين للقاء مالك : فوجه رسول الله دعوته الى المسلمين للقاء مالك فلبوا دعوته فى جيش لم يعد من قبل .

عماية الصبح : وخرج المسلمون فى عماية(١) الصبح منحدرين الى وادى حنين(٢) وقد سبقهم المشركون اليه ، وكمنوا فى شعابه ، ثم خرجوا عليهم ارتاع المسلمون : فجأة ، فارتاع المسلمون لذلك ، ورجعوا متقهقرين ، وغزا الرعب قلوبهم .

والرسول قد انحاز الى ذات اليمين : ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد انحاز الى ذات اليمين راكبا بغلته البيضاء ، وهو يصيح : « أين أيها الناس ؟ ، هلموا أنا محمد بن عبد الله : الى أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » .

ثم يلتفت حوله فلا يجد الا أبا بكر وعمر وعليا والعباس ، « أبو سفيان » يكشف ما خفى من حقده : وقليلا من خاصته ، وأهل بيته ، وأبو سفيان يكشف ما خفى من حقده ، ويقول : « ان هزيمتهم لا تنتهى الا الى البحر » .

كلدة بن حنبل : ويصيح كلدة بن حنبل : الآن قد بطل السحر .

ثم يدعو الرسول — العباس — ويأمره أن يهتف بالأنصار ، العباس : وكان العباس فارعا ، جهير الصوت ، فنادى : « يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة(٣) ، هذا رسول الله يدعوكم ، يصل صوته الى القلوب والنفوس : ويستنصر بكم على عدوكم ، واذا بصوته يصل الى القلوب والنفوس .

ويلبى الأنصار ، قائلين : « لبيك يا رسول الله ، لبيك ... »

---

(١) عماية الصبح : ظلمته .
(٢) حنين : بين الطائف ومكة .
(٣) السمرة : الشجرة ، والمقصود : شجرة البيعة .

درس للمسلمين : لقد أرى الله المسلمين بذلك عاقبة غرورهم ، واطمئنانهم الى كثرتهم ، وألقى عليهم درسا يفيدون منه فى حياتهم .

رحمة الله قد وسعتهم : النصر للمسلمين من رب العالمين :

على أن رحمته قد وسعتهم ، فثبت أقدامهم ، وربط على قلوبهم، وأمدهم بجنود لم يروها ، فانتصروا على المشركين ، والعاقبة للمتقين .

قال الله تعالى فى سورة « التوبة » :

لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة : فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت وأنزل جنودا لم تروها : والله غفور رحيم :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ٢٥ ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ٢٦ ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ، والله غفور رحيم » ٢٧ .

أسس الرياسة عند الرسول

يكره أن يتميز على غيره :

لقد كان أصغر أتباعه عنده كنفسه ، يكره أن يتميز على غيره :

اعداد « الشاة » فى السفر :

روى أنه أمر أصحابه باصلاح شاة — وقد كان فى سفر — فقال واحد منهم : على ذبحها ، وقال الثانى : على سلخها وقال الثالث : على طبخها .

وعلى جمع الحطب

فقال عليه السلام : وعلى جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله ، نكفيك العمل ، قال : « علمت أنكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، ان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » .

حفر « الخندق » حول « المدينة » :

ولم يرض الا أن يعمل بيديه مع المسلمين فى حفر الخندق حول المدينة .

قضاء حوائج الناس

ويرى أن فى قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله ، فيقول : « ان لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس ، يفزع اليهم الناس فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » .

حاسب الناس بما ظهر له :

وقد وكل الضمير الى صاحبه ، والى الله ، وحاسب الناس بما ظهر له :

فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض

خرج الى الناس وهم يختصمون ، فقال : « انما أنا بشر ، وانه ليأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صدق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها ، أو فليتركها » .

كان سباقا الى تقديم « الرحمة » على « العدل » :

ولقد سبق المدعين من المصاحين المحدثين ، فدعا الى تقديم الرحمة على العدل — ولم يدع قط الى غيرها — فقال : « ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : « ان رحمتى تغلب غضبتى » .

ان الله رفيق يحب الرفق :

وقال : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف » .

وقال : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنتا ، ولا متعنتا ، ولكن بعثنى معلما ، ميسرا » .

اختياره ايسر الحكمين :

وروى عنه بعض اصحابه أنه ما خير بين حكمين الا اختار أيسرهما ، ما لم يكن فيه خرق للدين .

الاسلام دين العزة للفرد والمجموع

المسلم لا يخش أحدا الا الله :

لقد برئت نفس المسلم من خشية غير الله ، وتلك البراءة تستأصل منه الذلة من أصلها .

وكم من عزيز فى رأى الناس ذليل فى رأى نفسه ، بما يشعر من رهبة ، أو رغبة عندما يلقى من يرهبه ، أو يرجوه ، من عدو ، أو رئيس .

كفى الاسلام المسلم شر الخضوع لغير الله :

وقد كفى الاسلام المسلم شر الخضوع لغير الله ، وصان عزته، بما قرره من مبادىء المساواة وميزان الحق والعدل .

وقاه ذلة الفقر والدين :

ووقاه ذلة الفقر والدين ، بما فرض من حق الزكاة عند العجز، وبما حرم من الربا عند التداين وفى التعامل ، وبما تكفل به ولى الأمر من سداد الدين عن المدين الذى يموت وليس فيما ترك سداد لدينه .

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ، ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه » .

العزة النفسية :

ان الدين فوق كل شىء :

وقد كفل الاسلام للمسلم العزة النفسية ، اذ أمره بالهجرة من بلد قد استذل فيه الى آخر يعز فيه ، ولو اضطر أن ينزل عن بعض ماله ، لأن الدين فوق كل شىء .

فان لم يستطع الهجرة فعليه الا يسمع ما يشعره بالذلة فى نفسه : من طعن فى دينه ، وأن يترك مجلسا يهان دينه فيه .

كان الأمر بالهجرة لهذا قبل أن تقوى شوكة الاسلام :

وقد كان هذا فى العهد المكى ، وأوائل العهد المدنى من الرسالة قبل أن تقوى شوكة الاسلام .

أعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره :

يقول الله تعالى فى سورة الأنعام — المكية — « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا :

ويقول فى سورة النساء — المدنية — وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ، ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ، ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » .

تشبيه المسلم المتهاون فى ذلك بالمنافق والكافر :

وفيه تشبيه المسلم المتهاون المتساهل فى ذلك بالمنافق والكافر أسوأ تهديد ، ووعيد .

الجهاد فى سبيل الله :

وان مبدأ الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله لهو أساس عزة الجماعة .

ترك جهاد العدو :

وقد قرر الاسلام أن المسلمين كافة آثمون اذا تركوا جهاد العدو ، ما لم تقم به طائفة منهم قوية تصده ، وتنقلب عليه .

جهاد الفرد :

الاستعداد الفردى كان الزاما فى صورة تطوع :

جهاد الجماعة والاستعداد التام له :

وكان كل مسلم فى عهد الرسول ، والخلافة الرشيدة ، وبعدها يحمل عبء الجهاد ، ويقوم بنفقة نفسه ، وتجهيزها ، وقد يقوم بتجهيز غيره ، فالاستعداد الفردى كان الزاما فى صورة تطوع فحقق الله بذلك للجماعة العزة ، وللفرد فضيلة الجهاد — عن رغبة — وقد أمر الاسلام الجماعة كلها بالاستعداد التام .

يقول الله تعالى فى سورة « الأنفال » :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

حماية « الذمى » :

كما قرر حماية الذمى ، لقاء مبلغ يسير يدفعه كل سنة ، وذلك من أجل مظاهر العزة ، فى الاسلام .

العزة فى الأرض لله وللمؤمنين القائمين بحكم الله :

فالعزة فى الأرض لله وللمؤمنين القائمين بحكم الله ، وان اهمال المسلمين دينهم دين العزة صيرهم فيما صاروا اليه اليوم .

العرب ومثل الاسلام العليا

الحماسة القومية والروحية :

١ — أضرم الاسلام فى قلوب العرب الجذوة المتأججة من نار الحماسة القومية ، والروحية ، فتمكنوا من القضاء على الأمبراطوريتين العظيمتين : الفارسية والرومانية اللتين كانتا مهيمنتين على دنيا ذلك الزمان .

الحضارة والعلوم:

ثم قطعوا فى سبيل الحضارة والعلوم أشواطا لم يبلغها الأولون .

اشتغال زعمائهم بالدنيا :

٢ — ولما اشتغل زعماؤهم بالدنيا تاركين كل شىء وراءها بعدوا عن المثل الدينية العليا .

هاتان صورتان :

هاتان صورتان تبعث أولاهما فى نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا العظماء ، وترسل أخراهما الوانا من الأسى والأسف من أجل السير فى سبيل الضلال والأثرة .

اننا لنعرف هذا الداء ، ونصف الدواء ، ونرجو أن نعود الى مثل الاسلام العليا فى عهد الثورة المجيد .

«أبو بكر» الصديق يوصى أم المؤمنين « عائشة » :

جريش طعامهم وخشن ثيابهم :

قال أبو بكر الصديق لابنته عائشة أم المؤمنين — وهو على فراش الموت — « أعامى يا بنيتى أنى لم آخذ من أموال المسلمين وأفيائهم شيئا ، وانما أكلت من جريش طعامهم ، وأرتديت من خشن ثيابهم ، وليس لى من أموالهم سوى هذه القطيفة ، وهذه البغلة، وهذا العبد ، فاذا مت فخذى هذا كله ، وسلميه الى عمر ، فقامت عائشة بما أوصى به أبوها بعد وفاته .

ما قام به «عمر»:

فأعتق عمر — العبد — وأرسل القطيفة الى بيت المال .

ثم قال : أن ركبتيك يا عمر ينبغى أن تحملاك من بيتك الى دار الحكم ، ورد البغلة الى بيت المال .

حكامنا الأولون :

هكذا فعل حكامنا الأولون ، وبهذا صلحوا قديما ، وهو سبيل هذه الأمة الدائم فى الصلاح ، كما قيل : لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

مكانة المرأة فى الاسلام

المرأة فى«الجاهلية»

كانت المرأة فى الجاهلية متاعا يورث ، ويوزع بين الوارثين توزيع السائمة .

رفع الاسلام من شأنها :

فرفع من شأنها الاسلام ، وجعلها صاحبة حق مشروع ، ترث، وتورث ، وتتصرف بمالها كما تشاء فى حدود الدستور الاسلامى .

دفنها فى مهدها :

وكان وجودها عارا ، وعبئا تفر منه العرب بدفنها فى مهدها ، فرارا من هذا العار ، أو من نفقة طعامها ، ولباسها .

رعاية الاسلام لها:

فرعاها الاسلام ، وعاقب من أساء اليهـا ، وما كانت فى البـلاد الأخرى بأحسن حالا منها فى البلاد العربية .

من شمائل الرسول

« محمد » العطوف تعلق — وهو صبى بعمه أبى طالب :

يود الرسول من عرفه ، ويخلص له الود دائبا عليه ، حياته ، فلقد تعلق — وهو صبى — بعمه أبى طالب يوم سافر فلم يتركه ،

بكاؤه على قبر امه حنانه وحفـاوته بمرضعته« حليمة »

وبكى على قبر أمه بكاء الذاكر لها — وهو شيخ قارب الستين — وعظم حنانه على حليمة مرضعته ، وحفاوته بها ، واكرامه اياها — وقد جاوز الأربعين .

مودة « أم أيمن » حاضنته :

ولم ينس مودة أم أيمن — حاضنته — وسره أن تنعم بالحيـاة الزوجية .

عطفه على الـكبير والصغير :

وكان يبسط عطفه على الكبير والصغير ، وعم كل ضعيف حتى الحيوان .

رحمته بالخادم :

قال أنس : « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لى : اف قط ، ولا قال لشىء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشىء تركته : لم تركته ؟

رحمته بالصـغير ومعرفته حق الكبير صفاء قلبه :

وهو القائل : من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وكان صافى القلب ، يرى فى وجهه ما فى قلبه اذا كره ، واذا رضى .

يقول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله :

رحمته بالحيوان :

« دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

انه لجـدير بأوفى حب وأكرمه :

صفات جعلته جديرا بأوفى حب ، وأكرمه :

زيد بن حارثة : « زيد بن حارثة » يؤثر البقـاء مـع « محمـد » على العودة مع أبيه :

فهذا زيد بن حارثة الذى خطف من أهله فى صـغره ، ثم لقيه أبوه ، وعرف كل صاحبه — شيقا اليه — بعد يأس طال أمده ، قد آثر البقاء مع سيده محمد على العودة مع أبيه .

« بلال بن رباح »:

ويقول بلال — وقد أدركه الموت — واطرباه ! غدا ألقى الأحبة ، محمدا وصحبه .

رحيم بالاعداء :

وكثيرا ما عطف على أعدائه :

فقد أحسن الى من أساء اليه وعفا عن رجل هم بقتله وهو نائم .

عبد الله بن أبى ابن سلول :

وعامل الرسول عبد الله بن أبى بن سلول ، رأس النفاق معاملة كانت مثلا للصفح الجميل .

صلى عليه ووقف على قبره حتى دفن :

ولما مات أعطى ابنه قميصه يكفن به أباه ، وصلى عليه ، ووقف على قبره حتى دفن .

عمر بن الخطاب يثنى الرسول عن الصلاة عليه : يرد الرسول عليه:

وحاول عمر بن الخطاب أن يثنى الرسول عن الصلاة عليه ، وذكره بالآية الكريمة : « استغفر لهم ، أولا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فقال الرسول : « لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر له زدت » .

محمد الشجاع

أنس بن مالك :

عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ،

فزع أهل «المدينة»

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا — وقد سبقهم الى الصوت — وهو على فرس لأبى طلحة ، فى عنقه السيف ، وهو يقول :

لم تراعوا ، لم تراعوا :

« لم تراعوا ، لم تراعوا ، فقال : « وجدناه بحرا ، أو أنه البحر ، وكان فرسا يبطىء » .

محمد الجواد

ابن عباس :

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان ، ان

رسول الله وجبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة:

جبريل عليه السلام كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان حتى ينسلخ ، ويعرض عليه صلى الله عليه وسلم القرآن ، فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

حسن خلقه

أنس بن مالك :

عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله أحسن الناس خلقا .

« أبو طلحة »يأخذ بيد « أنس » :

وعنه — رضى الله عنه — قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى ، فانطلق بى الى رسول

خدمته فى السفر والحضر :

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ان أنسا غلام كيس ، فليخدمك ، قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ، ولا لشىء لم أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟

سخاؤه

ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا اعطاه : ان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

عن موسى بن أنس عن أبيه ، قال « ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا أعطاه » ، قال « فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه ، فقال : يا قوم ، أسلموا ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

كثرة حيائه

كان أشد حياء من العذراء :

عن أبى سعيد الخدرى قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

اختياره من المباح أسهله

« عائشة » أم المؤمنين :

فان كان اثما كان أبعد الناس منه :

عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه ، وما أنتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله عز وجل » .

تواضعه

امرأة كان فى عقلها شىء :

خلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها :

عن أنس رضى الله عنه : أن امرأة كان فى عقلها شىء ، فقالت : « يا رسول الله ، ان لى اليك حاجة » فقال : « يا أم فلان ، انظرى أى السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك »(١) ، فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها .

---

(١) خلا معها : وقف معها فى طريق مسلوك حتى أفتاها فيما سألت عنه .

علمه بالله وخشيته منه

صنع رسول الله أمرا فترخص فيه :

عن عائشة قالت : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ، فترخص فيه . فبلغ ذلك ناسا من أصحابه ، فكأنهم كرهوه ، وتنزهوا عنه ، فبلغه ذلك ، فقام خطيبا ، فقال : « ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه ، فكرهوه ، وتنزهوا عنه ، فوالله لأنا أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » .

والله لأنا أعلمهم بالله :

حجة الوداع(١)

حجة النبى صلى الله عليه وسلم :

عن يحيى بن سعيد قال : حدثنا جعفر قال : حدثنى أبى : قال : أتينا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، وهو فى بنى سلمة ، فسألناه عن حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بالمدينة تسع(٢) سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج هذا العام ، قال : فنزل المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفعل مثل ما يفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر(٣) بقين من ذى القعدة وخرجنا معه . رواه أحمد بلفظه — الفتح ج ٢١ ص ٢١٨ .

مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج :

نزل « المدينة » بشر كثير :

خطبة « الوداع » يوم « عرفة »

ابن اسحق :

قال ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب — وكانت عند أبى سعيد الخدرى — عن أبى سعيد الخدرى قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم .

خطب خطبته :

وخطب خطبته التى بين فيها ما بين :

فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

اسمعوا قولى :

أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

---

(١) تعتبر « حجة الوداع » دستورا للحجاج الى يوم الدين ، وقد بلغ جملة من كان معه من أصحابه تسعين ألفا ، وقيل : مائة وعشرين ألفا .

(٢) مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج : لم يحج فى هذه المدة ، ولكنه اعتمر ، وقد فرض الحج سنة تسع من الهجرة على رأى الكثيرين من العلماء .

(٣) عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى « الحج » لخمس بقين من « ذى القعدة » .

ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام :
وقد بلغت :

أيها الناس ، ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من أئتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون .

قضى الله أنه « لا ربا » :
« ربا » عباس بن عبد المطلب :
دم « ابن ربيعة ابن الحارث ابن عبد المطلب :

قضى الله أنه لاربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم . كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

ان الشيطان قد يئس (من) ان يعبد بأرضكم :

أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

ان النسىء زيادة فى الكفر :

ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا :

أيها الناس : ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ، ورجب مضر[1] الذى بين جمادى وشعبان .

ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا عليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة :
لكم أن تهجروهن فى المضاجع :
فانهن عندكم عوان :

اعقلوا أيها الناس قولى :
كتاب الله وسنة رسوله :
ان المسلمين اخوة
اللهم نعم :

أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح[2]، فان انتهين فلهن رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان[3] ، لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله ، وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولى ، واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت .

---

(١) أضيف « رجب » الى « مضر » ؛ لأنها كانت تعظمه دون سائر العرب .
(٢) غير مبرح : غير شديد ، نقول : برح به الأمر ، اذ اشتد عليه ، وشق
(٣) عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة ، وفى بعض الروايات : « عوار » « بالراء » المهملة جمع « عارية » .

اللهم اشهد :

فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

خطبة الرسول فى حجة الوداع
يوم النحر

يوم النحر :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر ، فقال :

يوم حرام :

« أيها الناس ، أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام (١) .

ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام :

اللهم هل بلغت :

قال : فان دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، فأعادها مرارا ، ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت(٢) » .

لا ترجعوا بعدى كفارا :

قال ابن عباس رضى الله عنه : فالذى نفسى بيده انها لوصيته الى أمته — فليبلغ الشاهد الغائب . لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

محمد يمجد أصحابه

تكريم الصحابة جماعات :

من أحبهم فبحبى أحبهم :

ان محمدا العظيم ليمجد أصحابه جماعات ، وفرادى ، فيقول : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا من بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

اصحابى كالنجوم :

ويقول : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

تكريم الصحابة فرادى :

وانه ليكرم كل واحد منهم ، فيقول :

« سعد بن أبى وقاص » مجاب الدعوات :

أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلى باب مدينة العلم ، وابن الزبير حمامة المسجد ، وسعد ابن أبى وقاص مجاب الدعوات ، وطلحة بن عبيد الله الشهيد

---

(١) شهر حرام : يحرم فيه القتال ، وكذا فى اليوم ، والبلد .

(٢) هل بلغت ، هل بلغت : كرر ذلك ، لأن التبليغ فرض عليه ، فأشهد الله انه بلغ ، وأدى ما عليه .

الذى يمشى على الأرض . وأبو عبيـدة عامر بن الجـراح أمين هذه الامة . وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وحنظلة غسيل الملائكة ، وجعفر بن أبى طالب الطيار فى الجنة ذو الجناحين .. الى غير ذلك من روائع التكريم .

« خالد بن الوليد» سيف الله المسلول

فرح الرسول بأصحابه

وبهذا نستطيع أن نقول : ان محمدا قد بعث عظمته فى صحابته وشاركهم فى صـفاته ، وبركاته ، وشاورهم فى كبير الأمور ، وصغيرها ، وأفاض عليهم تحياته واكرامه .

شاركهم فى صفاته

شكر لكل فاضل : وقدر كل عامل ، وشـكر لكل فاضل ، وفرح لما يجـرى من المكارم على أيدى صحبه .

واجب الراعى : فعلى الراعى أن يقدر العاملين ، ويعمل — جاهدا — على تهيئة الفرص للنابهين .

واجب الرعية : وعلى الأمة أن تقتدى براعيهـا ، فتكثر بذلك الكفـايات . والعبقريات .

كيف نشر دين محمد ؟

خطأ من زعـم أن « دين محمد » نشر بحـد السيف : لقد أخطأ من تحدث عن نشر دين محمد بحد السيف ، واتخذوا هذا برهانا على كذبه ، وانه طاغية ، متجبر من أولئك الطغاة المتجبرين الذين يريدون المجد بالقوة .

لولا السيف والحرب ما انتشر «دين محمد» الاسلام فى عهـده الأول كـان هـو المعتدى عليه : فقالوا : انه لولا السيف والحرب ما انتشر دين محمـد ، وما وجد أنصارا ، وفاتهم أن الاسلام فى عهده الأول كان هو المعتدى عليه ، ولم يعتد على أحد .

المسلمون لم يعتدوا : فلما اجتمع العرب على النبى صلى الله عليه وسلم قاتلوا من قاتلهم : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » .

صبر المسلمين على المشركين : ولقد صـبر المسلمون على المشركين طويلا حتى نزل قوله تعالى : وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

حروب المسـلمين حروب دفاع : المبادرة بالدفاع : وكانت حروب المسلمين حروب دفاع لا هجوم ، الا ما كان على سبيل المبادرة بالدفاع بعد ايقان من نكث العهـد ، والاصرار على القتال .

لم انتصر الاسلام ؟

انتصر هـذا الدين لأنه الحق :

لقد انتصر هذا الدين ، لأنه الحق الذى ينشر نفسه ، فلا ضير على الحق أن ينشر ، سواء باللسان كان أم بالسيف ، أم بغيرهما ، لأن الحقائق يجب أن يظلل سلطانها فى كل مكان .

ما أعدل حكم الطبيعة : وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض :

انه حكم الطبيعة ، وما أعدله ! والحق لا ينهـزم ، لأنه أعمق جذورا ، وأكثر اعراقا فى الطبيعة : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

عظمة محمد

شتى نواحى « محمد »

ان عظمة محمد قد اجتمعت له من شتى نواحيه ، وليس فى الوجود انسان رزق العقل والرشاد ، وأوتى الحكمة ، والسداد يبغض هذا الرجل العظيم .

برىء من «الرياء» والكبر : ليس بالخانع : أباطرة الروم وأكاسرة الفرس :

فلقد برىء طبعه من الرياء ، واستقل برأيه ، لا يعول الا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه ، ليس بالمتكبر ، ولكنه لم يكن الخانع الذليل ، يخاطب بقوله الحر المبين أباطرة الروم وأكاسرة الفرس ، وهو مرتد جلبابه المرقع ، كما أنشأه ربه ، وكما أراد له .

القسوة والرحمة :

يضع نفسه فى موضعها اللائق بها فلا يقسو حيث تستحب الرحمة ولا يرحم حيث تفيد الشدة .

حروبه مع الأعراب

مضاء العزم :

غزوة تبوك :

لم تخل حروبه المتعددة مع الأعراب من مظاهر القسوة ، ولكنها لم تخل من مشاهد الرحمة وسعة الصدر غير معتذر من الأولى ، ولا فخور بالثانية . عرف بمضاء العزم ، لا يؤخر عمل يومه الى غده ، فلقد نظر الى المسلمين نظرته النافذة الى قلوبهم ، وبين لهم ضعفموقفهم حين امتنعوا عن السير الى ساحات القتال فى غزوة تبوك . فلم يسعهم الا اذعان لرأيه .

يعرف الطريق الى الله :

يعرف الطريق الى الله ، فالصدق أساسه ، وأساس ما جاء به من فضل ، ومحمدة .

الاخلاص الحر العميق :

والاخلاص الحر العميق أول خواصه ، لأن الوجود يروعه ، ويهوله ، ويرى الكون مدهشا ، ومخيفا ، فلم تفارقه هذه الحقيقة منقوشة بحروف من اللهب ماعاش .

نظرته الى الكون:

وان نظرته هذه الى الكون لأكبر برهان على عظمته ، وصدق رسالته .

الآية الكبرى : فالآية الكبرى فى رأيه ذلك العالم يستدل به على الخالق المبدع، فهو عنده آية الآيات ، ينظر اليه على أنه سر من أسرار الحياة .

سر الرسالة

سر الرسالة وسمو النبوة : ان عظمته المتجمعة فى شخصه قد وزعت على أصحابه ، فظهر بذلك سر الرسالة ، وسمو النبوة :

أبو بكر : فهذا أبو بكر الصديق يسطع نور يقينه ، فيصفه الرسول بقوله : « لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الأمة لرجح ايمان أبى بكر على ايمان هذه الأمة .

عمر بن الخطاب . وهذا عمر بن الخطاب يعمق تفكيره ، ويحسن تدبيره ، ويؤصل رأيه ، فيقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : ان الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

عثمان بن عفان : وذاك عثمان بن عفان تدمث أخلاقه ، وترق طباعه ، ويشتد حياؤه حتى يستحى من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله ، فيصفه صاحب الرسالة بقوله : أصدق أمتى حياء عثمان .

ان الرسول ليستحيى منه : وان الرسول ليستحيى منه ، فاذا سألته عائشة عن ذلك قال : ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة ؟

على بن أبى طالب : وأما على بن أبى طالب فقد بلغ من زهده وتقشفه أن هانت أمامه أعراض الحياة ، ولذائذ العيش ، فيوجه الى الدنيا قوله :

الى تعرضت أم الى تشوقت ؟ : يا دنيا غرى غيرى ، الى تعرضت أم الى تشوقت ؟ هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن ، آه من طول الطريق ، وقلة الزاد ، ووحشة السفر .

أزواجه صلى الله عليه وسلم
أمهات المؤمنين

خديجة بنت خويلد : « **خديجة بنت خويلد** » قرشية :

هى أول من تزوج ، ولها أربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، خطبته لنفسها بنفسها ، وكانت أول من أسلم ، فأقامت معه خمسا وعشرين سنة ، قضى زهرة حياته ، وعنفوان شبابه ولم يتزوج غيرها . وولدت للرسول ولده كلهم عدا ابراهيم . وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد .

سودة بنت زمعه :

« سودة بنت زمعة » قرشية :

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة ، كفلها صلى الله عليه وسلم — وهو المثل الأعلى للمروءة — بعد موت زوجها ، وكانت مسنة ، ولم يكن معه غيرها ، ومكث معها خمس سنين الى أن تزوج السيدة عائشة فى السنة الأولى من الهجرة .

عائشة بنت أبى بكر :

« عائشة بنت أبى بكر » قريشة :

تزوجها بمكة :
بنى بها بالمدينة :

تزوجها بمكة وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ولم يتزوج بكرا غيرها : مكافأة لأبيها ، واحكاما للرابطة بينهما .

زينب بنت جحش:

« زينب بنت جحش » : عربية :

وهى بنت عمته ، وكان قد زوجها لمولاه زيد بن حارثة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد ، للتشريع ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا .

هند بنت أبىأمية:

« أم سلمة : هند بنت أبى أمية » : قرشية :

وكانت تحت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد — أبو سلمة — الذى مات من جرح أصابه فى غزوة أحد .

حفصة بنت عمر :

« حفصة بنت عمر بن الخطاب » قرشية :

وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمى ، ومات عنها من جراح أصابته ببدر ، وتزوجها رسول الله حبا فى أبيها الذى سره كل السرور هذا النسب الشريف .

أم حبيبة :
ملك الحبشة :

« أم حبيبة : رملة بنت أبى سفيان » قرشية :

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك الحبشة حين سمع بانقطاعها ، وفقد نصرائها ، وكانت قبله عند عبيداللهبنجحش الأسدى الذى هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم تنصر ومات بالحبشة .

تنصر ومات بالحبشة :

جويرية :

« جويرية بنت الحارث » عربية :

سيدة « بنى المصطلق » :
يوم « المريسيع » :

كانت سيدة بنى المصطلق وبنت سيدهم ، وقد قتل زوجها مساقع ابن صفوان المصطلقى كافرا يوم المريسيع فكانت من بين أسرى بنى المصطلق ، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها،

أصهار رسول الله

فلما سمع المسلمون بذلك اعتقوا من فى أيديهم من بنى المصطلق ، وقالوا : هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم بسببها بنو المصطلق ، وحسن اسلامهم .

صفية بنت حيى بن اخطب :

« **صفية بنت حيى بن أخطب** » غير عربية :

حيى بن أخطب :
كنانة بن الربيع :
يوم خيبر :
تزوجها رسول الله :

هى بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، قتل عنها زوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق . يوم خيبر ، فسباها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعتقها ، ثم تزوجها ، رغبة فى اسلام قومها اليهود ، وقد أسلم كثير منهم .

ميمونة بنت الحارث :

« **ميمونة بنت الحارث الهلالية** » عربية :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها وسنها زهاء خمسين سنة ، ايواء لها ، وتألفا لقومها .

زينب بنت خزيمة :

« **زينب بنت خزيمة** » عربية :

عبد الله بن جحش :
يوم « أحد » :
عبيدة بن الحارث :
جهم بن عمرو :
أم المساكين :

وكانت قبله عند عبد الله بن جحش ، فقتل عنها يوم أحد .

وقيل : انها كانت عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف ، وكانت قبل عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها ، وكثير ما رحمت المساكين وعطفت عليهم ، فسميت أم المساكين .

تزوجها ايواء لها :
وحفظا لدينها :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ايواء لها ، وجبرا لمصابها فى زوجها عبد الله ، وحفظا لدينها .

هؤلاء احدى عشرة بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن تسع ، ومات قبله منهن ثنتان .

لم يدخل رسول الله باثنتين من زوجاته

هما : « **أسماء بنت النعمان الكندية** » عربية :

تزوجها فوجد بها بياضا ، فمتعها ، وردها الى أهلها .

و« **عمرة بنت يزيد الكلابية** » عربية :

استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بكفر — فردها الى أهلها .

مرض النبى صلى الله عليه وسلم

ميمونة «زوجته» :

ابتدأ مرضه عليه الصلاة والسلام فى بيت ميمونة زوجته ، ومكث مريضا ثلاثة عشر يوما .

عائشة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

فاطمة :
بكت :
ثم ضحكت :

دعا النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام فى شكواه الذى قبض فيه ، فسارها بشىء ، فبكت ثم دعاها ، فسارها بشىء ، فضحكت ، فسألناها عن ذلك ، فقالت : سارنى النبى صلى الله عليه وسلم انه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه ، فبكيت ، ثم سارنى ، فأخبر انى أول أهله يتبعه ، فضحكت .

البخارى ج ٦ ص ١٠

رغبته عليه السلام فى أن يمرض فى بيت عائشة

يمرض الرسول فى بيت عائشة :
عباس بن عبد المطلب وآخر :
هو على :
سبع قرب :
طفقنا نصب عليه من تلك القرب :

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى، فأذن له ، وهو بين الرجلين تخط رجلاه فى الأرض ، بين العباس ابن عبد المطلب وبين رجل آخر ، قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله بالذى قالت عائشة ، قال لى عبد الله بن عباس : أتدرى من الرجل الآخر الذى لم تسم عائشة ؟ قلت : لا قال ابن عباس : هو على ، وكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل بيتى اشتد به وجعه،قال : هريقوا(١) على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن(٢) لعلى أعهد الى الناس، فأجلسناه فى مخضب(٣) لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ، قالت : ثم خرج الى الناس ، فصلى بهم ، وخطبهم(٤).

البخارى ج ٦ ص ١١

---

(١) يقال : أراق الماء — يريقه ، وهراقه ، ويقال فيه : أهرقت الماء ، أهرقه اهراقا .

(٢) أوكيتهن : الوكاء : الخيط الذى تشد به الصرة ، والكيس ، وغيرهما .

(٣) المخضب : اناء كبير يغتسل فيه ، والحكمة فى كونها « سبعا » أن لها خاصية فى رفع بعض الأمراض .

(٤) فى حديث عن « ابن عباس » أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى مرضه ، وفى خطبته : « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت « أبا بكر » خليلا «الحديث».

تعوذه عليه السلام فى مرضه

عروة :
نفث على نفسه بالمعوذات :
طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات :

عن عروة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نصبا نفث(١) على نفسه بالمعوذات(٢) ، ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث ، وأمسح بيد النبى صلى الله عليه وسلم عنه .

البخارى ج ٦ ص ١١

دعاؤه عليه السلام
فى مرض موته

سمعت النبى صلى الله عليه وسلم :
وهو مسند الى ظهره :

عن عباد بن عبد الله بن الزبير أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصغت اليه قبل أن يموت ، وهو مسند الى ظهره يقول : « اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، والحقنى بالرفيق الأعلى » .

البخارى ج ٦ ص ١١

استنانه عليه السلام بالسواك
فى مرض موته

عبد الرحمن بن أبى بكر :
مع عبد الرحمن سواك رطب يستن به :
استن به :

عن عائشة دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدرى ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن(٣) به ، فأمد(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فأخذت السواك ، فقضمته (٥) : ونفضته ، وطيبته ، ثم دفعته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستن به ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استنانا قط أحسن منه ،

---

(١) نفث : تفل بغير ريق أو مع ريق خفيف .
(٢) أى يقرؤها ماسحا لجسده عند تراءتها ، وكان يفعل ذلك عندما يأوى الى مضجعه ، والمعوذات « قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، على التغليب » .
(٣) يستن به : يستاك به .
(٤) أى مد نظره اليه .
(٥) القضم : الأخذ بأطراف الأسنان ، أى : مضغته ولينته — أى بالماء .
الحاقنة : ما سفل من الذقن .
الذاقنة : ما علا منه ، وهذا لا يغاير الحديث ، أن رأسه كان على فخذها ، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها الى صدرها .

في الرفيق الأعلى :

فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يده ، أو اصبعه ، ثم قال : في الرفيق الأعلى ثلاثا ، ثم قضى ، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي .

البخاري جـ ٦ ص ١٠

سروره عليه السلام في مرض موته باجتماع أصحابه على أبي بكر في الصلاة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

المسلمون في صلاة الفجـــر :

نظر اليهم رســـول الله وهم في صفوف الصـــلاة :

هم المســـلمون أن يفتتنوا :

أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضـحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ، ليصل الصف. وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخـرج الى الصلاة ، فقال أنس : وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار اليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة ، وارخى الستر .

البخاري جـ ٦ ص ١٣

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

مولى « عائشة » :

توفى في بيتي وفي يومى وبين سحرى ونحـــرى :

عبد الرحمن :

يحب الســواك :

الينه لك :

ثم نصب يده :

عن أبي عمرو ذكوان مولى عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تقول : ان من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى في بيتي وفي يومى ، وبين سحرى(١) ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، دخل على عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته ينظر الى، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسـه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت : الينه لك، فأشار برأسه أن نعم ، فلينته وبين يديه ركوة(٢) أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « لا اله الا الله ان للموت سكرات » ثم نصب يده ، فجعل يقول : « في الرفيق الأعلى ، حتى قبض ، ومالت يده » .

البخاري جـ ٦ ص ١٣

---

(١) السحر : هو الصدر ، والنحر منه هو موضع النحر .
(٢) الركوة : اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، والجمع ركاء .

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .

البخارى جـ ٦ ص ١٥

موقف ابى بكر وعمر من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابو بكر :

عن عائشة رضى الله عنها أن ابا بكر رضى الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسنح(١) ، حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مغشى بثوب حبرة(٣) ، فكشف عن وجهه ، ثم اكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ، قال الزهرى : وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج ، وعمر يكلم الناس(٤) ، فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس اليه ، وتركوا عمر ، فقال أبو بكر :

تيمم رسول الله :

فقبله وبكى :

الزهرى :

فاقبل الناس اليه:

اما بعد من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فان الله حى لا يموت ،

فان محمدا قد مات :

قال الله : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين » .

قد خلت من قبله الرسل :

وسيجزى الله الشاكرين :

وقال : « والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها » .

تلاها « أبو بكر »:

فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال : « والله ما هو الا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت(٥) حتى ما تقلنى(٦) رجلاى ، وحتى أهويت الى الأرض حين سمعته تلاها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات » .

سعيد بن المسيب :

وحتى أهويت الى الأرض :

البخارى جـ ٦ ص ١٤

---

(١) السنح : موضع خارج « المدينة » فيه منازل « بنى الحارث بن الخزرج » ، وكان مسكنا لزوجته .

(٢) تيمم : قصد .

(٣) نوع من برود « اليمن » مخططة ، غالية الثمن .

(٤) يكلم الناس ، ويخبرهم بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يمت ، وهذا من شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) عقرت : هلكت .

(٦) تقلنى : تحملنى .

ادب النبـــوة

سيرة « محمد » :
رعتــه العنــاية الربانية :
الله أعلـــم حيث يجعل رسالته :

من أنعم النظر فى سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ألفى مثلا رائعة للأدب الفطرى الذى قد رعته العناية الربانية قبل البعثة ، وبعدها ، هبة من الله يفيض بها على خير خلقه : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

فهـو رائدهـــا وقائدهـــا :

يمتاز بنفس كبيرة ، وآيات فى الذروة من أكرم الخصال ، وأشرف المحامد اللائذة بمحمد ، الناطقة بسلطانه عليها ، فهو رائدها ، وقائدها ، ومثلها الأعلى ، تنطق بذلك حياته المجيدة .

كان ملهمـــا :
فبسط رداءه :
أمر كل قبيـــلة ،، تأخذ بطرف :

كان ملهما ، راجح العقل : حقن دماء أهل مكة حين اختلفوا على وضع الحجر الأسود فى موضعه ، فقد تحاكموا الى الرجل العظيم ، فبسط رداءه ، ووضع الحجر الأسود فيه وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من الرداء ، ووضع الحجر الأسود فى موضعه .

حمدت له « مكة » هذا العقل الحكيم:

وقد حمدت له مكة هذا العقل الحكيم ، وعرفت أن لصــــاحبه شأنا أى شأن .

سيكون لابنى هذا شأن :

وكان عمه أبو طالب يقول : سيكون لابنى هذا شأن .

الثقة المطلقة به :

ولقد اجمعوا على الثقة المطلقة به عندما جمعهم وأخبرهم بأمر الرسالة قائلا لهم :

« أرايتم لو اخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى » ؟

ما جربنا عليـــــك كذبا :

قالوا نعم ، « ما جربنا عليك كذبا » .

هذه اجابة خير شاهد على حسن سيرته ، وأمانته ، وبرهــــان رسالة صادقة ، وأدب الهى كريم .

أدبنى ربى فأحسن تأديبى :

أليس هو القائل : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ؟

وانك لعلى خـلق عظيم :

ويخاطبه ربه بقوله جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

نظرة خاطفة حول جنبات رسول الله
« محمد » صلى الله عليه وسلم

١ ــ أعد أبرهة جنده وفيله لدخول مكة ، ليهدم البيت ولم يلق فى سبيله قوة تصده .

وقد قال عبد المطلب قولته : « انى أنا رب الابل ، وان للبيت ربا سيمنعه » .

وقد تولت قدرة الله رده خاسرا ، اذ أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

فأرخ العرب بعام هذا الحادث العجيب ، وكان ذلك سنة ٥٧٠ م

اليس ذلك ارهاصا لنبوة محمد سليل عبد المطلب ؟ .

٢ ــ وان هجرة محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة على شباب أعد نفسه للفتك به لموقف فى المحل الأول من الشجاعة ، ورباطة الجأش ، وصدق اليقين .

والاسراء به يدفعه الى الكفار المعاندين ، لينبئهم نبأه ، رافعا صوته ورأسه غير هياب ، ولا آبه لما يلقاه منهم ، اظهارا للحقيقة التى لا مراء فيها .

٣ ــ وقد كان استمساكه بالقيام بقسط من العمل مع أصحابه وهم يعدون الشاة فى السفر ، وفى حفر الخندق وفى بناء أول مسجد أسس على التقوى اكبر دليل على تواضعه .

٤ ــ وان بكاءه على قبر امه بكاء الذاكر لها وهو شيخ ، وحنانه على حليمة مرضعه ، ومودته لأم أيمن حاضنته ، ورحمته بالخادم ، وبالصغير ، وبالحيوان ، وبالأعداء لترينا مبلغ عطفه وشفقته .

٥ ــ وانك لترى سخاءه وكثرة حيائه ، وعدله وعلمه بالله ، وخشيته منه فى قوله وفعله مع الناس كافة ــ فى الذروة .

ولقد شهد الله له بها ، والله خير الشاهدين .

المراجـــع

١ — **سيرة النبى صلى الله عليه وسلم .**

لأبى محمد عبد الملك بن هشام .

٢ — **الأنباء عن الأنبياء .**

للقضـــاعى .

٣ — **الجواهـــر .**

للأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى .

٤ — **المفردات فى غريب القرآن .**

للأمام الراغب الأصفهانى .

٥ — **تفسير القرطبى .**

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى .

٦ — **الشهاب فى المواعظ والآداب .**

للقضـــاعى .

٧ — **شرح سنن الامام أبى داود .**

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد خطاب السبكى .

٨ — **احياء علوم الدين .**

للأمام أبى حامد الغزالى .

فهرس الكتاب

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة